

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



تداولية النص الشعري في
ديوان محمد العيد آل خليفة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم

في الدراسات اللغوية: اللسانيات العامة بين النظري والتطبيق

إشراف:

أ. د / هشام خالدي

إعداد الطالب:

محمد علام

لجنة المناقشة			
الصفة	جامعة الانتساب	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر قسم "أ"	د/ عبد الكريم لطفي
مشرفا ومقررا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ هشام خالدي
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر قسم "أ"	د/ نور الدين قدوسي
عضوا مناقشا	جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ محمد سعدي
عضوا مناقشا	جامعة البليدة (02)	أستاذ محاضر قسم "أ"	د/ عبد الحليم ريوقي
عضوا مناقشا	المركز الجامعي تندوف	أستاذ محاضر قسم "أ"	د/ عبد الله لاطرش

السنة الجامعية 2018 - 2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

- إلى اللّذين بهما ما كت لأجد لذة الدّرس، وعَبَق الحياة:
- إلى روح أمي الطاهرة وإلى أبي أطال الله عمره قبل الإجلال والمودة.
- إلى عائلتي الصّغيرة :
- زوجتي الفاضلة، وابني: "عبد الحق وابنتي": نور الهدى وعمارية تسنيم
- إلى إخوتي وأخواتي وكلّ الأبناء.
- إلى أصهاري الكرام.
- إلى الأصدقاء اللّذين تجشّموا مشقة التحفيز بكلّ أشكالها.
- إلى اللّذين وإن غابوا عن العين فقد استقرّوا في القلب.
- إليكم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع.

الطّالب: محمّد علام

إهداء خاص

إلى روح أمي الطاهرة، التي حملت وربت وعلمت
وأفدت بنفسها حتى أصبح اليوم طالب علم والحمد لله
لك الفضل بعد الله، كم تأملت لأفرح، وتعبت لأسعد
فلن أنساك أبدا، وأدعوك مادمت حيا بالرحمة والمغفرة وأسأل الله
إسكانك الجنة، آمين
وإلى روح ابن أختي، ذاك الشاب البشوش - الله قدر وما شاء
فعل - أسأل الله لك جنات النعيم، بعون الله العليم.
إليكما أهدي هذا الجهد

الطالب: محمد علام

كلمة شكر

أقدم بفائق الشكر والامتنان، إلى الأستاذ المشرف:

أ. د هشام خالدي

على ما بذله من جهد وإخلاص، في توجيهاته الثمينة والتي أفضت إلى ميلاد هذا العمل المتواضع على شكله النهائي، كما أقدم إلى من ساعدني من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث العلمي.

كما أشكر اللجنة الموقرة التي ستولى - إن شاء الله - مناقشة هذه

الرسالة مع فائق العرفان والتقدير.

الطالب: محمد علام

قائمة المختصرات

ت: التركيب .

(...): أبيات محذوفة من القصيدة نفسها.

تر: ترجمة.

تح: تحقيق.

د ط: دون طبعة .

د ت: دون تاريخ.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان علمه البيان ، وجعل اللغة العربية أشرف لسان، وأنزل كلامها في أساليب الحسان، ولولاه ما جرى القلم، ولا تكلم اللسان وأصلي وأسلم على أفصح من نطق بالضاد، سيدنا و حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وصحبه الذين فتحوا البلاد، ونشروا لغة القرآن وعلموها العباد.

أما بعد :

للخطاب الشعري ميزات وخصائص تجعل من نصّه الواحد، متناً لنصوص موازية، ففيه يتجاوز المعنى لفظه، متحولاً إلى معان كثيرة، عبر علاقات ، تمنح المجرد شكلاً معيناً، وخفيةً مستترّة تُسهّم في دلالات كثيرة، ومتعدّدة، لتكون بذلك قضية المعنى من القضايا المعقدة، والتي أجهدت الفلاسفة واللغويين ، فتوالت المباحث وتواردت النظريات بغية رسم منهج قويم يمكنها من الوصول إلى المعاني الكامنة خلف التراكيب و البنى، ولعلّ التداولية البديل الأساسي والإستراتيجية الهامة في تحليل الخطاب الأدبي وعلى وجه الخصوص الشعري منه لاعتبارات عدّة .

وبصراحة لم يكن من السهل اختيار الموضوع، كون البحث في المجال اللسان يقتضي الدخول إلى معترك التنظير والتطبيق، فبدأت بالقراءة للعديد من رواد اللسانيات الغربية قصد معرفة كيف انتقل البحث من الدراسة التي تخلص للنظام اللساني (langue) من ديسوسير (de Saussure) إلى تشو مسكي (Chomsky)، إلى دراسة لسانية تركز على الاتصال الوظيفي ، بالبحث في الكلام (Parole) والاستعمال اللغوي؛ مما دفعني إلى الاطلاع على مصادر أخرى من أبرزها: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام لـ "جون لانكشو أوستين"، و المقاربة التداولية لـ "فرنسواز أرمينكو"، والتداولية اليوم علم جديد في التواصل

ل "آن روبل" و"جاك موشلار"، والتداولية من أوستين إلى غوفمان ل "فيليب بلانشيه"، والنص والسياق ل "فان دايك ..".

أما عند العرب فاطّلت على كتاب التداولية عند العلماء العرب، لمسعود صحراوي وكتاب التداولية والحجاج، لصابر حباشة، وكتاب في اللسانيات التداولية، لخليفة بوجادي والذي أفادني كثيرا في بحثي هذا، و في ظل التحوّل الجذري الذي عرفه الحقل المفاهيمي بعد اهتمام اللسانيين، بالبنّي اللغوية من حيث التركيب والدلالة، ظهر مصطلح التداولية الجديد، وهو يحيل إلى رؤية خاصة للغة ، كونها تجمع بين البنائية الوصفية، والسياقية، والوظيفية، وغيرها من الحقول التي تلتقي مع الدرس التداولي، في الوقت الذي باتت فيه الحاجة إلى تفسير الظواهر أكثر من وصفها، فالعملية الإبداعية أو اللغوية لا تتحقق إلاّ في ظلّ تواصل فعلي يستوفي كل شروط التداول، فالأدلة اللغوية (ملفوظات الخطاب) لا يمكن رصد حركتها إلاّ في ارتباطها بمقتضيات العملية التواصلية، لتشق اللسانيات التداولية طريقها من اللغة إلى الأدب كقراءة جديدة للإنتاجية الأدبية، تراعى فيها كل عناصر الاتصال اللغوي ذات المستويات المتداخلة، كالبنية اللغوية وقواعد التخاطب، وعلاقة البنية بظروف الاستعمال .

لذا ارتكز بحثي هذا على اللغة الشعريّة لما فيها من مدارج المعنى و معارج الدلالة، فالتداولية تعطي الكلمة قيمتها خاصة في الحقل الشعري، فنظرة الدارسين تفر بلا محدودية المعنى في الشعر لوجود دلالات مترامية فيه، و تعدّ التداولية سندا أساسا للانتقال في أوجه استخدام اللغة، فالوظيفة النصيّة العامّة للتركيب الشعري في القصيدة هي تحقيق عملية تواصلية اتصالية بين المتكلم والمخاطب في إطار تداولي خالص.

وبدأت وأنا متيقن من هدف لا بدّ من تحقيق الجزء الأكبر منه على الأقل، إذ ما لا يترك كلّ لا يدرك جلّه .

فكان عنوان الرسالة كالتالي:

" تداولية النص الشعري في ديوان محمد العيد آل خليفة "

فاختياري لديوان هذا الرجل جاء لأسباب عدة أذكر منها :

- يمثل محمد العيد آل خليفة مرحلة مهمة من مراحل التاريخ الجزائري الحديث، لإسهامه في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهو من أعضائها البارزين .

- يعتبر شعره تصويراً قريباً من الحياة العادية، وذخيرة ثمينة، نشرت في صحف الجمعية مثل: البصائر والسنة والشريعة والصراط وكذا صحيفتي (المرصاد، و الثبات).

- كما يعد شعر الرجل أنموذجاً للحياة الكريمة، لتوفره على رؤية شاملة لها صلوات، وجذور اجتماعية ودينية وفكرية في البيئة التي عاش فيها.

فرحابة موضوع التداولية واستنادها إلى الفلسفة والمنطق واللسانيات، دفعني لاختيارها وحصرها في الوقت نفسه فيما يرتبط بالتداولية الإبداعية، من خلال دراسة بنية التراكيب فيما يرتبط بالمتكلم ومقاصده، وبالسامع ومنزله من الخطاب.

فكانت الانطلاقة بعدما استقر الأمر على التحليل التداولي المبني على التلغظ أو ما يعرف بالأفعال الكلامية، مروراً بالسياق، وصولاً إلى الحجاج حتى يتحقق التواصل ، فكان لابد من الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي ، المعتمد على الملاحظة و التحليل، فالوصف ظاهر في تعريف التداولية والمباحث المرتبطة بها، وذكر مميزاتها، والتحليل يتمثل في التعامل مع التراكيب اللغوية الشعرية، الموجودة في الديوان ، قصد الوصول إلى المعنى التداولي الذي يكتنفها، وفي المقارنة بين الشعر والتداولية، كما استعنت بالمنهج التاريخي ، للوقوف على أصل مصطلح

التداولية منذ القرون الوسطى، وتتبع الظروف والأسباب التاريخية المؤدية إلى الاهتمام بها، في ظل تراجع التيار البنيوي والتوليدي عن الدراسات اللسانية .

أما بالنسبة لإشكالية البحث فهي: ما هي أبعاد التداولية في ديوان محمد العيد آل خليفة من خلال وظيفة نصية عامة للتركيب الشعري في قصائد الديوان وما موقعها لدى المتكلم والمخاطب.؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، استقام البحث على :

ومدخل وأربعة فصول وخاتمة ، فالمدخل كان بعنوان :دوافع التداولية وعلاقتها بالشعر، أما الفصل الأول فقد وسمناه ب: "التداولية أنواعها ومباحثها"، وتم تقسيمه إلى أربعة مباحث، المبحث الأول: أصل مصطلح التداولية و روافدها، والمبحث الثاني عنوانه: علاقة التداولية بالمباحث اللغوية، والمبحث الثالث: أنواع التداولية و وظائفها و مهامها، فالمبحث الرابع: مباحث التحليل التداولي، أمّا عن الفصل الثاني عنوانه ب : الأفعال الكلامية في الديوان، واستقام على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: أفعال الكلام في الديوان، و المبحث الثاني: صيغ أفعال الكلام في الديوان فالمبحث الثالث: أغراض أفعال الكلام في الديوان، وبالنسبة للفصل الثالث جاء بعنوان : تداولية التراكيب في الديوان، وجعلناه في مبحثين: المبحث الأول: القوّة الإنجازية للتركيب النحوي، و المبحث الثاني : القوّة الإنجازية للتركيب البلاغي ، أمّا الفصل الرابع والأخير، فلقد خصصناه بجانب الحجاج و وسمناه بعنوان : البنية الحجاجية في الديوان، واستقام على مبحثين : المبحث الأول : المظاهر الحجاجية في الديوان ، والمبحث الثاني: المرجع الديني وأشكاله في الديوان.

وفي الملحق لمحة موجزة عن حياة الشاعر ، تمكن القارئ من الاطلاع على معرفته، وفهرس قصائده، اعتماداً على ما ورد في الديوان .

وفي الخاتمة عملت على استخلاص مجموعة من الملاحظات، و النتائج الخاصة بالتحليل التداولي في ديوان محمد العيد آل خليفة، والتي أسعفتني إليها الدراسة.

وفي الختام فإنني لا أدعي الأخذ بمجامع هذا الموضوع الواسع ، أو بلوغ في بحثه الغاية المنشودة والمنزلة الأعلى ، لأن موضوع التداولية كما أسلفت شاسع ، كون التداوليات تستند إلى الفلسفة والمنطق، واللسانيات .

و إنني لا أنسى في هذه المقدمة أن أتقدم بجزيل الشكر و العرفان للدكتور "هشام خالدي" الأستاذ المشرف الذي منحني كل التسهيلات، والمساعدات، ولم ييخل علي بتوجيهاته الصائبة و السديدة بعد فضل من الله تعالى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٩﴾ سورة النمل .

تلمسان في يوم: 05 محرم 1440 هـ

الموافق ل: 2018/09/15 م

محمد علام

المدخل

دوافع التداولية وعلاقتها بالشعر

1 - أهمية اللفظ والمعنى في الدرس اللغوي

2 - دوافع التداولية

3 - ماهية الشعر ووشائج قرابته بالتداولية

1- أهمية اللفظ والمعنى في الدرس اللغوي التداولي

للفظ والمعنى أهمية كبرى ، ومحور أساس في الدرس اللغوي اللساني التداولي يستلزم منا بداهة الرجوع إلى الإرهاصات الأولى لظهور هذه القضية ، أين حظي اللفظ بعناية كبيرة إلى جانب المعنى في دراسات واسعة، من جوانب لغوية و نقدية عند القدماء و المحدثين حيث نجد اللغويين والنحاة هم السباقون لهذه القضية في ظل البيئة العقائدية و الفكرية السائدة في ذلك الوقت: وهذا ما ظهر في مباحث الأصوليين و الأشاعرة والمعتزلة

1-الأصوليون :

لقد لجأ الأصوليون إلى "النص" مباشرة، حيث نجدهم يعتمدون اعتماداً مطلقاً عليه، باعتباره أول سمات تفكيرهم إذ نتج عن ذلك عندهم ما يُعرف بالقصدية في المبحث التداولي المعاصر، و يرى الباحث تمام حسان في هذا الباب: « أن اعتماد الثقافة العربية على النصوص في أول أمرها، ما كان ليحرمها نعمة التفكير المنطقي، الذي يتطلبه الاجتهاد، لكن المنطق الطبيعي لم يكن منطق أرسطو، و إنما كان نتاج تكوين العقل الإنساني الذي منحه الله للعرب و اليونان وسائر الأمم و الشعوب و يبدو ذلك في جهد الأصوليين من الفقهاء، استدلالاً و قياساً و تعليلاً ودلالة ألفاظ»⁽¹⁾، و لعل هذا ما أشار إليه منذر العياشي في حديثه عن الأصوليين «أنهم لاحظوا أنه تمة ارتباطا بين بنية القول صوتاً و صيغةً و تركيباً و بين دلالة القول، كما لاحظوا أن للسياق دوره الفعّال في طريقة إنشاء العبارة و توجيه المعنى»⁽²⁾

¹ - الأصول دراسة إستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان عالم الكتب، القاهرة، 1430هـ-2000م، ص49-ص50

² - اللسانيات والدلالة، منذر العياشي، مركز الأنماط الحضاري، ط 1، 1991م، ص7.

كما أقرّ منذر العياشي نفسه على أنّ « يمكن للمرء أن يزعمَ دون وهم أو مبالغة، أنّ علم الأصول على وجه الإجمال إنّما هو بحث في الدلالة لفظاً و جملةً نصّاً و سياقاً، و هذه الأمور تشكل موضوع الدرس الدلالي المعاصر و مادة البحث فيه » (1).

و يمكن الإشارة هنا إلى أنّ البحث في الدلالة و خاصة بالمفهوم الحديث في اللسانيات البنيوية ينبنى على مبادئ هي التصنيف و التوزيع و التفسير، و لكن المباحث اللسانية الحديثة تجاوزت ذلك لتبحث عن القصدية أو القصد. مما أدى بالعلماء إلى الاعتماد على الأصول للوصول إلى المبتغى أو الهدف .

و لا بأس هنا أن نذكر بأنّ مباحث الأصوليين في الدلالة تنقسم إلى ثلاثة أقسام وفق ما قدّمه منذر العياشي:

-الاتجاه الأول يرتكز في وجوده البعد الحضاري

- الاتجاه الثاني يرتكز في وجوده إلى الوجود الاجتماعي

- الاتجاه الثالث يرتكز في وجوده إلى الوجود القرآن نفسه" (2)

و يقصد الباحث " منذر عياشي " بالاتجاه الأول، تطوّر اللّغة في الاتجاه الحضاري، فالحضارة الإسلاميّة وجود يقوم على اللّغة.

أمّا الاتجاه الثاني يقصد به النّظر إلى الخطاب موزعاً، على أنواعه التي يحقّق فيها نفسه ويُنتج من أجلها الدلالة، و هو الخطاب التداولي في الكلام اليومي الاستهلاكي، يقع في قالب

¹ - اللسانيات والدلالة، ، منذر العياشي، ص11

² - نفسه، ص11

السياق الاجتماعي، و الهدف القائم على الاتصال، وكذلك الخطاب الأدبي القائم على النظام والأداء.

و أخيرا الاتجاه الثالث المتمثل أساساً في قضية الإعجاز التي أثارَت مسائل كثيرة منها قضية اللفظ والمعنى (1) .

وخلاصة ما سبق حول رأي الأصوليين ومباحثهم في الدلالة يجمله لنا الباحث مولود السريري حيث يعتقد أنّ: «الأصوليين فرقوا بين قولنا: دلالة اللفظ وبين قولنا: الدلالة باللفظ، فاشتراط في الدلالة باللفظ القصد أي قصد المتكلم بمعنى أن دلالة إنمّا هي ما قصده وأراده من ذلك اللفظ من تكلم به لا ما تعلّقته منه أنت مجرداً» (2)

ويمكن أن نشير إلى أنّ مفهوم الكلام بهذه الشاكلة سيفتح لنا الباب لمناقشة مسألة اللفظ والمعنى عند المعتزلة والأشاعرة .

2-المعتزلة والأشاعرة:

إنّ السّاحة العلميّة العربيّة في القرون المتقدمة شهدت صراعاً، نتج عنه إشكال معرفي مهم، وهو قضية الإعجاز القرآني، هل تكمن مظاهره في اللفظ أو المعنى. وهذا ما أدى إلى ظهور هذه الفرق الإسلامية التي أصبحت كلّ فرقة تدافع عن رأيها باستعمال الحجج و البراهين سواء المعتزلة أو الأشاعرة.

وهذا ما أدى كذلك إلى ظهور علم الكلام، ويفسر محمد التّويري سبب ظهوره قائلاً: «مما يفيد أنّ نشأة علم الكلام، إنّما كانت استجابة إلى رغبة الثقافة العربيّة الإسلاميّة، في تجاوز ما

¹ اللسانيات والدلالة، منذر العياشي، ص92-ص95

² منهج الأصوليين في بحث الدلالة اللفظية و الوضعية، مولود السريري، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 2003م،

ص70-ص72

أحست به من عَوَز إلى منهج في النَّظر و التَّأويل للإجابة عن الأسئلة التي لم يكن السَّلف الذي نهض لرد شبهة التَّجسيم قادرًا على الإجابة عنها» (1)

وما ذكره الباحث يعد سببا رئيسيا في نشأة علم الكلام، فالغاية كانت الإيفهام و البيان والإفادة.

ويقول الباحث نفسه عن الأشاعرة: «أما الأشاعرة الذين يقولون بأزلية الصفات و قدمها، فقد قرروا أنّ كلامه تعالى قديم شأنه شأن سائر الصفات دون تمييز بينها، و هذا في تقديرهم أقرب إلى حقيقته تعالى باعتباره ملكا مريدا» (2)

ومن هنا يمكن القول أنّ الفرقتين عملتا على استخدام الحجج و البراهين لتحقيق مبتغاهما إلا أنّهما لم يسلما من بعض الانتقادات التي وجهت لهما، و لعل أكبر خطأ وقعت فيه الفرقتان هو الانفصام الذي حدث لقضية اللفظ و المعنى، حيث يقول " طارق النعمان": «و وفق هذا التحديد للكلام لدى كل من (المعتزلة) و (الأشاعرة)، يتضح لنا أنّ هدف أيّ منهما، ليس هو إدراك طبيعة الكلام و آليته، و صياغتهما مفهوما، بل هو استعمال بعض جوانب و مظاهر (ظاهرة الكلام) للتدليل بها على مجموعة من التّصورات القبليّة -الميتافيزيقية- لدى كل من الطرفين» (3).

و تبين من خلال قول السَّابق أنّ الفرقتين استعملتا الحجج و البراهين لإثبات أفكارهما، إلا أنّ النتيجة كانت ذلك الانفصام الواضح بين الدّال و المدلول ، حيث لم يكتمل ذلك المفهوم الدّلالي، المرغوب فيه و هذا ما يقرّه الباحث نفسه بقوله: «و ناتج هذا هو تجزئ (ظاهرة الكلام)

1 - علم الكلام و النظرية البلاغية عند العرب، محمد التّويري، دار محمد علي الحامي صفاقص، ط1، 2001م، ص79

2 - نفسه، ص109

3 - اللفظ و المعنى بين الإيديولوجيات و التأسيس المعرفي للعلم، طارق النعمان ، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1994م،

و تقدم مفهومات مشبوهة و ملتبسة، فيعزل المعتزلة كلية عن المستوى الدلالي من الكلام، كما يقلص الأشاعرة وظيفة الدال على نحو لا تفترق فيه هذه الوظيفة، عن وظيفة الحامل أو الناقل الذي يوصل شيئاً ما، ثم ينفصل عنه هذا الشيء فور وصوله، وعليه، فلسنا إزاء وحدة دليل (الدال والمدلول) على نحو يكون حضور أحد منهما مستدعياً لحضور الآخر و تحيلاً عليه، بل نكون إزاء إشارة تشير إلى غيرها لتوجه إلى هذا الغير منفصلين عنها إذ أنّ لهذا الغير وجوده المستقل تماماً»⁽¹⁾.

لقد تم الكشف مما سبق عن الصراع الإيديولوجي و القبلي الذي كان سائداً من جهة وعن طبيعته العلميّة كذلك من جهة أخرى.

كما نشير إلى الهدف من عرض رأي الأصوليين والمعتزلة و الأشاعرة هو ذلك التأثير الذي أبداه واللّغويون بهذه الفرق خاصة في القياس والعلل.

ولذا كان لابد من استعراض قضية اللفظ و المعنى عند بعض النحاة و اللّغويين من جهة، والبلاغيين والنقاد من جهة أخرى،

أولاً: النحاة واللّغويون: لقد أشار النحاة و البلاغيون في هذا الصدد إلى انفصام الصّوت و الدلالة و هذا عند تناولهم لقضية اللفظ و المعنى، و لقد أشار إلى ذلك محمد العمري قائلاً: «لعل القارئ الواعي بالمكونات الأساسيّة للبلاغة العربيّة القديمة، و خاصة بلاغة الشعر، قد سجل بدون استغراب غياب عنصر مهم من هذه البلاغة، و هو التناسب الصّوتي والدلالي»⁽²⁾

إنّ ما ذكره الباحث يُعد دليلاً واضحاً عن غياب التّناسق بين اللفظ و المعنى، أو بين الصّوت و الدلالة، و يواصل الباحث الحديث عن هذه القضية قائلاً: «و غيابُ هذا الجانب مبرر

¹ - السابق اللفظ والمعنى بين الإيديولوجيات و التأسيس المعرفي للعلم، طارق النعمان ص85

² - البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، محمد العمري، إفريقيّا للشرق، الدار البيضاء، دط، دت، ص116

فهو لا يشكل انزياحًا عن القوانين التطبيقية، و لا يخلّف مفارقةً دلاليةً في نسق الكلام، إنّنا لا نستطيع موضوعياً أن نسأل أبا عُبيدة و غيره من اللّغويين عن غياب هذا الجانب، لأنّه لم يكن يبحث في مكونات النّص الأدبي أو خصوصياته « (1).

لقد استطاع محمد العمري توضيح ذلك التذبذب الذي ميّز قضية (الصّوت والدلالة) حيث أشار إلى الهدف الذي كان من ورائه النّحاة و هو سلامة النّص من الخطأ و ليس الوُوقوف عند الخصوصيات و المكونات، حيث يقول في هذا الصّدّد: « بأنّ اللّغويين إن كانوا يدفعون الحرج، ويخرجون من الاختلاف في القراءات و الإعراب والملتبس من الدلالات، عن طريق الاستئناس بالنّص الشعري (الشّاهد الشعري)، فإنّ هذا العمل في حد ذاته مشكل بالنسبة للمتكلّم الذي يواجه سؤال دلالة الاختلاف على بشرية النّص كما زعم المشكّكون « (2)

إنّ محمّد العمري أشار في هذا القول إلى قضيّة الشّاهد الشعري، و هذا ما يدفعنا للحديث عن مسألة أخرى و هي الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم و اختلاف النّص البشري عن النّص القرآني، لأنّ النّحاة وقعوا في حرجٍ وهم عاجزون أمام آيّ القرآن الكريم الذي يتميز عن الكلام البشري وتصوّره، و هذا ما استنتجه الباحث عبد الله بن عويقل السّلمي في قوله: « فقد وصف القرآن بالإبانة و من مستلزماها أنّ كلّ حرفٍ أو كلمةٍ أو حركةٍ فيه تناسب موقعها و توافق القصد منها، سواء أدركه المشتغلون بتفسيره و إعرابه أو لم يدركوه « (3)

و من خلال قول الباحث يظهر شيئٌ مهم و هو أنّ مسألة الإعجاز القرآني، تعدّ الاستثناء

¹ - البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، محمد العمري، ص116.

² - نفسه، ص121.

³ - موقف التّحويين من الآيات المعضلة إعراباً، مظاهره و أسبابه، عبد الله بن عويقل السّلمي، مجلة الأحمديّة، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، دبي، العدد 15، رمضان 1424هـ، أكتوبر 2003م، ص364.

و لعل الباحث بقوله هذا استشهد بقوله تعالى:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾^(١).

ولهذا كانت المواجهة بين الفرقتين عُرضةً إلى الانتقادات في مسألة التّأويل، أو ما سمّوه بالتّأويل الدّاتي، يقول الباحث عبد الحكيم راضي في هذا الباب: «أنّ هذه المواجهة بين الفريقين انطلاقاً من خصوصيّة التّكوين الثّقافي لكل منهما، أفضى إلى التّبعية إلى جهتين من جهات النّظر إلى النّص اللّغوي انطلاقاً من خصوصيّة العمل الذي يضطلع به كل الفريقين فالنّحو ينظر إلى الجائز وغير الجائز، من حيث الصّواب و الخطأ أما البلاغي و النّاقذ فلا يعنيهما هذا المعيار»^(٢)

ومن خلال المواقف السّابقة يتبيّن لنا أنّ النّحاة أثناء معالجتهم لقضيّة اللفظ و المعنى واجهوا إشكالاً مزدوجاً تمثل في قضيّة انفصام الصّوت عن المعنى من جهة و اتّهام الشعراء النّقاد بعدم تذوّق النّصوص الأدبيّة من جهة أخرى.

ونظراً لأهمية الصّوت في تكوين المعنى، نجد النّحاة و اللّغويين اهتموا بهذا الجانب، كيف لا والكلام يتحدّد بداهةً بأنّه أصوات متقطعة و منظومة على وجه مخصّوص^(٣)

لذا لم يخرج النّحاة و اللّغويين عن هذا المفهوم فقد "كان مدخل النّحاة إلى إنشاء أصل وضع الحرف هو فكرة ذوق الحروف، وقد كان الغرض من هذه الفكرة في البداية أن نختبر المخرج والصفّات التي تحدّد نطق الحرف في حالة إفراده، والطريق إلى ذلك كما حدّدها الخليل وسيبويه"^(٤)

^١ -سورة الشعراء، الآيات: 193، 194، 195

^٢ - نظرية اللّغة في النقد الأدبي، عبد الحكيم راضي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م، ص20، ص21.

^٣ - ينظر مقدمة لدراسة التراث المعجمي، حلمي خليل، دار الهدى العربية للطباعة والنشر ط1، 1997م، ص124،

^٤ - ينظر الأصول دراسة إيسيمولوجية للفكر اللّغوي عند العرب، تمام حسان، ص109

و يُعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) من الأوائل الذين أرسوا قاعدة اللفظ والمعنى في إطار معيّن من خلال كتابه المشهور "العين".

يقول الباحث أحمد مختار عمر عن الخليل: «و من الدّراسات الصوتيّة التي قدمها العرب حديثهم عن ائتلاف الحروف و كيفية بناء الكلمة العربيّة و قد لاحظ الخليل أن اللّغات تختلف في ذلك و ما قد يتلاءم مع أمّة ربّما لا يتلاءم مع أمّة أخرى» (1)

و الملاحظ أنّ الخليل يسعى في كل ذلك إلى غربة اللّغة العربيّة، خاصة أنّه اعتمد على طريقة رياضيّة علميّة. في حين يذهب الباحث "حمدان حسين محمد إلى أنّ: «أقدم صورة للتعبير عن فكرة اللفظ و المعنى، كانت لدى سيبويه لأنّه وضع الرّمز و صيغته من جهة، و مدلوله الجزئي من جهة أخرى» (2)، و لعل هذا ما ذكره في عبارته المشهورة: «الكلم اسم، و فعلٌ و حرفٌ جاء المعنى ليس باسمٍ و لا فعلٍ» (3)

كما أكثر سيبويه في حديثه عن الاستقامة، هي تتمثل في الحسنه القبيحة والكذبة، فالحسنه هي التي تنتقي القبيحة، "فوضع الألفاظ في غير موضعها، دليل عند سيبويه على فُبح النّظم و فساده" (4)، إلا أنّه في هذا الموضوع يركز على قضية مهمة وهي الضرورة الشعريّة حين نجده يقول: «أعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا يتصرّف من الأسماء» (5)

و من هنا نلاحظ أن الضّرورة و خاصةً في لغة الشّعْر هي الخاصيّة النوعية للّغة العربيّة، حيث يجوز للشاعر ما لا يجوز للنّاثر و لكن يجب أنّ تكون وسيلة لا غايةً، إذ تهدف إلى محاولة إحصاء القواعد اللّغوية، من خلال كلام العرب و هذا ما يؤكّد مفهوم الاستقامة عند سبويه،

1- البحث اللّغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 2003م، ص118، ص119

2- التفكير اللّغوي الدلالي عند علماء العربيّة المتقدمين، حمدان حسين محمد، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1 2002م، ص202

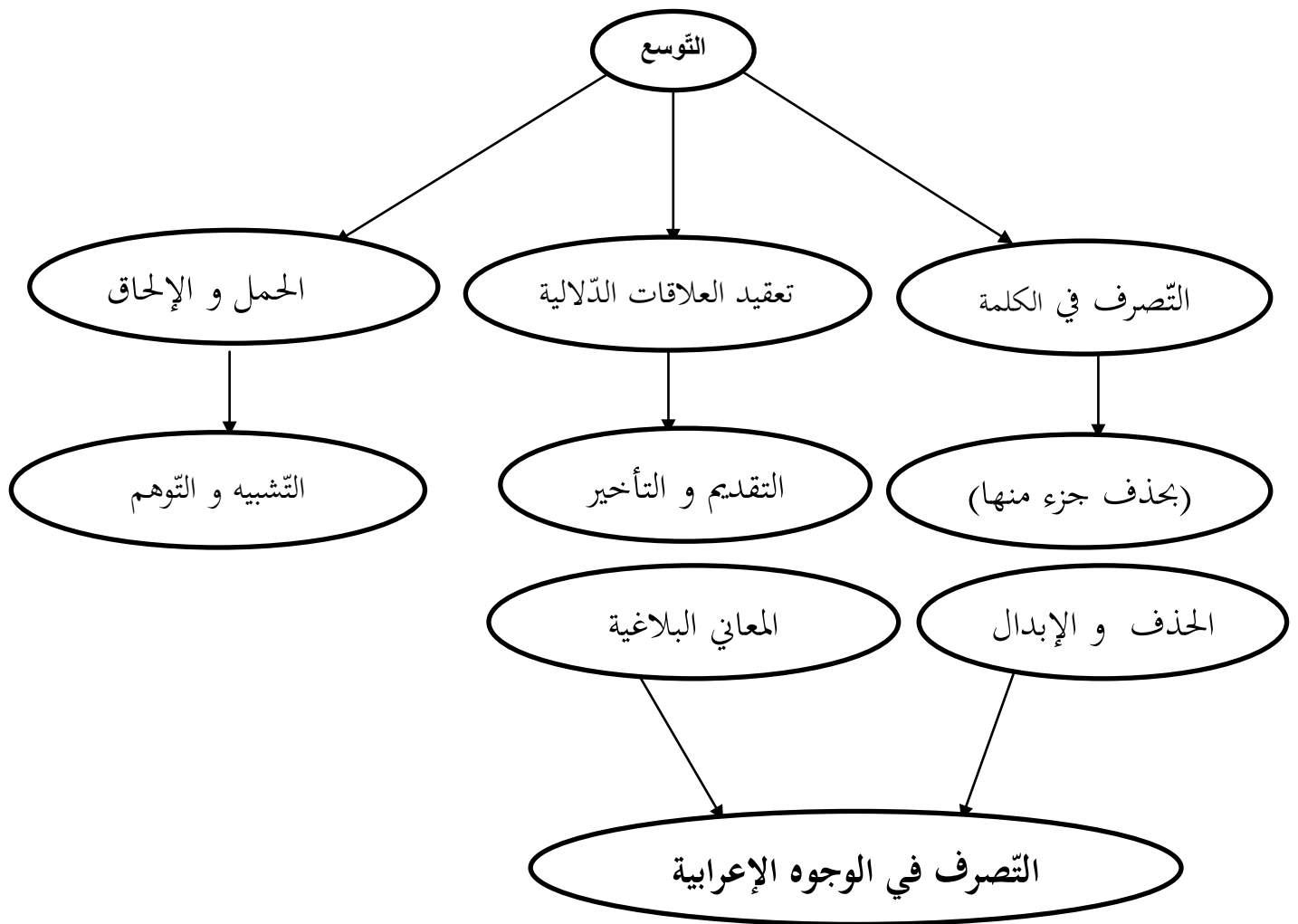
3- الكتاب، سيبويه تح: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، لبنان، دت، ج1، ص12

4- ينظر، أثر النحاة في البحث الدلالي، عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، دت، ص111

5- الكتاب، سيبويه، ص26-27

فلاستقامة تقوم على المستوى العادي، و المستوى الأدبي و هو الشعر ثم الكذب هو مجاز عند البلاغيين. و لعل هذا يذكرنا بما قاله الباحث "محمد العمري" حول فكرة التوسع: «حين نتأمل اليوم مفهوم ما يحتمله الشعر عند سبويه نجد مجزئاً من التصرف في الكلمة بحذف جزء منها إلى تعقيد العلاقات الدلالية بالتقديم و التأخير والحذف و الإبدال عبر التصرف في الأوجه الإعرابية، يتم ذلك كله ضمن مفهوم التوسع في اللغة، مما يقتضيه الإنجاز و يسيغُه الحمل و الإلحاق عن طريق التشبيه و التوهم»⁽¹⁾.

و لقد أشار الباحث نفسه للتوسع عند سبويه بالخطاطة التالية:⁽²⁾



¹ - البلاغة العربية، محمد العمري، ص118

² - نفسه، البلاغة العربية، ص118

يجب الإشارة هنا أن الاستقامة و التوسّع يشتركان في كونهما وسيلتان لا غاية.

أما ابن فارس (ت 396هـ) يعرّف الكلام على أنّه «حروف مؤلفة دالة على معنى»⁽¹⁾

و يشير التعريف رغم بساطته إلى أمرين مهمين هما التّأليف و الدّلالة، و يقصد بالتّأليف الفصاحة، و هذا ما نجده عندما يتحدث عن واضح الكلام بقوله: «أما واضح الكلام فالذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب، أمّا المشكل فالذي يأتيه الإشكال من غرابة لفظه أو أن تكون فيه إشارة إلى خبر لم يذكره قائله على جهته، أو أن يكون الكلام في شيء غير محدود أو يكون وحيزاً في نفسه غير مبسوط، أو تكون ألفاظه مشتركة»⁽²⁾

فنجد من خلال هذا التعريف ابن فارس يبحث عن معنى الاستقامة من النّاحية الدّلالية عكس سيوييه الذي يبحث عنها من النّاحية المثالية التّركيبية لهذا تعرض إلى التّقديم و التّأخير والإبدال.....

أمّا ابن جني (ت 392هـ) فيرى في قضية اللفظ و المعنى «أنّ العرب كما تعنى بألفاظها فتصلها وتهذبها، وتلاحظ أحكامها بالشعر تارةً و بالخطب أخرى، فإنّ المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرًا في نفوسها»⁽³⁾.

لقد تحدث ابن جني في هذا القول عن عناية العرب باللفظ و المعنى، و خاصة اللفظ وذلك لحصول الفهم و الدلالة، حيث يواصل قوله: «فأول ذلك عنايتها بألفاظها، فإنّها لما كانت عنوان

¹ - ينظر الصّاحبي في فقه اللغة ابن فارس، تح عمر فاروق الطّباع، مكتبة المعارف، لبنان، ط1، 1993م، ص81

² - نفسه ، الصّاحبي في فقه اللغة، ص73-75

³ - الخصائص، أبو الفتح عثمان بن الجني تح الدكتور عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتاب العلمية بيروت ط2، ج1، 2003، ص190.

معانيها و طريقا إلى إظهار أغراضها و مراميها، أصلحوها و رتبوها و بالغوا في تحبيرها وتحسينها، ليكون ذلك أوقع لها في السَّمع و أذهب بها في الدلالة على القصد» (1)

و يضرب ابن جني مثالا واضحا على عملية وقع الكلام على أذن السامع بقوله: «ألا ترى أنّ المثل إذا كان مسجوعاً لَدَّ لسامعها فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديرا باستعماله، و لو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النَّفس به، ولا أنقت لمستمعه» (2)

وعلل الباحث عبد القادر حسين مواقف الباحثين و اهتمامهم باللفظ قائلا: «ويلاحظ ابن جني أنّ العرب الأقدمين كانوا يظهرون حفاوةً بالغةً بالألفاظ، لأنّ حياتهم القبليّة محصورة في نطاق ضيق محدود، وعدم التماسهم أسباب الحضارة ومتطلباتها، وعزلتهم عن المدن والأمصار جعلت معانيهم كحياتهم ضيقة محدودة، فجعلت عنايتهم بالألفاظ، و زادت حصيلتهم منها، ولذلك يستشهد بالقدماء في الألفاظ، أما المولدون الذين أخذوا بأسباب الحضارة فقد انفتحت لهم أبواب المعاني.» (3)

ولعل هذا التعليل يوضح لنا تأثير البيئة، باعتبارها عامل أساسي في اختيار اللفظ محورا للوصول إلى المعاني بل إلى القصد بخلاف البيئة الحضارية التي أصبحت مسرحا للمعاني.

ويتبين مما سبق أنّ النحويين ركّزوا على اللّغة، لأنّها هدفهم الأساس غير الكلام وهذا ما دفع بعض إلى نقد التراث النحوي، يقول عبد القادر المهدي و هو باحث: «وهكذا ينقد التراث النحو على أساس موقف يبدو لنا اليوم فيه خلط بين اللّغة والكلام» (4).

1- السابق، ص 190

2- نفسه، ص 190

3- أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص 294

4- ينظر، نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهدي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1993م، ص 110

ثانيا: البلاغيون و النقد

وهنا نذكر أنّ البلاغيين ركزوا على الجانب الجمالي للّفظه حين نشأ خلافٌ في قضية اللفظ والمعنى، وعلاقتهما بالنص الأدبي، يقول عبد الحكيم راضي: «على أنّ هذه المادة هي المعاني يتفقون على أن محور عمل الأديب هو في الصّورة اللفظية، التي يكون عليها العمل، ففي هذه الصّورة تظهر صناعته، و هي تمثل مرحلة تالية لمرحلة المادة الخام سواء كانت هذه المادة هي مفردات الألفاظ أو المعاني.»⁽¹⁾

يشير عبد الحكيم راضي في هذا القول إلى الجانب الجمالي، وأهميته و الأساسية خاصة في صورته اللفظية التي تعد انعكاساً مباشراً لجانب المعنى.

ويعدّ العالم اللغوي و البلاغي الجاحظ، من السّباقين إلى تقديم تلك الأدوات المعرفية المتعلقة باللفظ و المعنى في كتابيه البيان و التبيين، والحيوان.

و لقد عالج في كتابه الأوّل البيان و التبيين مسألة التطور اللفظي كما اعتمد على أسلوب الشكّ في كتابه الثاني..الحيوان، حيث يقول: «و العوام أقل شكوكا من الخواص، لأنهم لا يتوقفون في التصديق و لا يرتابون بأنفسهم فليس عندهم إلاّ الإقدام على التصديق المجرد أو على التّكذيب المجرد و ألقوا الحال الثالثة التي تشتمل على طبقات الشكّ»⁽²⁾

و من هنا يظهر أسلوب الشكّ عند الجاحظ، المفقود عند الآخرين لأنّ ما هو موجود عندهم إما التصديق المطلق أو التّكذيب المطلق.

و ما يمكن قوله عن الجاحظ أنّه أعطى أهمية بالغة للفظي على حساب المعنى وذلك تحقيقاً لعملية الإدراك و الفهم.

¹-نظرية اللّغة في النقد الأدبي، عبد الحكيم راضي ص174

²- الحيوان، الجاحظ، تح ، يحيى الشامي، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1977،3م، ج6، ص371

يقول أحد الباحثين: « أنّ الأهمية في الشعر الألفاظ و تليها المعاني و من العدل أن نقول أنّ الجاحظ كان سبّاقاً إلى إشارة هذه القضية و الكشف عن المعنى الجمالي فيها، فقد نفّض عن المعاني كلّ أهمية و ذلك عندما نفى الجمال في الكلام عن المعنى »⁽¹⁾

و يُردفُ قائلاً: «و من لفظة الشّكل يمكن القول إنّ اللفظ لا يقوم إلا داخل بنية الكلام، و إن الأفكار لا تكتسب قيمتها في النصّ الأدبي إلا إذا التحمت بنسيجه الفنيّ »⁽²⁾

ومن خلال ما قاله الباحث، يتضح لنا اتجاه الجاحظ نحو الجانب الشكلي في حين يقوم بتهميش جانب المعنى، و يقول عبد العزيز حمودة في هذا الباب: « أنّ الجاحظ أحد أقطاب المدرسة اللفظية، التي انتهت بالشعر العربي و النشاط النقدي إلى الاهتمام بزخرف اللفظ أكثر من الاهتمام بالمعنى »⁽³⁾.

ولكن يمكن الإشارة إلى شيء مهم، يعدّ الدافع إلى اهتمام الجاحظ باللفظ وهو الفصاحة أو مفهوم خلق الأصوات و كان هدفه يدور حول مفهوم التنزيه عند علماء الكلام.

و هذا ما يتحدث عنه الباحث محمد الصغير بنّاني، عندما قدم وجهة نظره للفصاحة عند الجاحظ من زاويتين: «الفصاحة كخصلة لسانية محضة مرتبطة بالنظام اللغوي في مظاهره الصوتية والإفرادية والتّركيبية والثّانية كون هذه الخصلة اللسانية طبيعياً تكاد تقتصرُ على أعراب البادية ثم على العرب عامّة كميّزة عنصريّة »⁽⁴⁾

¹ - روافد الاتجاه الجمالي في التراث النقدي العربي، كريب رمضان، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، العدد 5، ماي، 2005م، ص 157.

² - السابق، روافد الاتجاه الجمالي في التراث النقدي العربي، كريب رمضان ص 158

³ - المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 2001م، ص 273

⁴ - النظريات اللسانية الأدبية و البلاغية، من خلال البيان و التبيين، محمد الصغير بنّاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص 126- 127

وما يمكن ذكره أو استخلاصه في قضية اللفظ و المعنى عند الجاحظ هو أنّ للفظ أهمية كبرى في تحديد المعاني، حتى و إن كانت الألفاظ عاجزة عن حمل هذا المعنى لكن يجب أن يفهم هذا على مستوى الاختيار « فالفائدة في تلاؤم حسن الكلام في السمع و سهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حُسن الصّورة، و طريقة الدّلالة، و مثل ذلك قراءة الكتاب في أحسن ما يكون الخط و الحرف، و قراءته في أقبح ما يكون من الخط و الحرف، فذلك متفاوت في الصورة و إن كانت المعاني واحدة » (1).

و في ختام هذا الجزء الخاص بالبلاغيين و النقاد، يكمن الإشارة إلى شيء مهم هو أنّه لا يمكن اعتبار الجاحظ و أقرانه شكلايين و أنّهم يدعون إلى انفصام بين الدال و المدلول، أو ما يعرف بـ الدليل اللغوي، و لعل هذا ما يحاول تبريره الباحث تمام حسان عند قوله: « لهذا السبب بالذات لم تقم علوم البلاغة في أية مرحلة من مراحل تاريخها الطويل بدور المنهج النقدي الأدبي المتكامل، لأنّها لم تتخط النقد الشكلي إلى نقد المضمون، إلّا مع الكثير من القصور حتى على مستوى فهم القدماء أنفسهم لفكرة النقد، و لكنّ البلغاء في إطار شكلية البلاغة التي ذكرناها ربّما فطنوا إلى أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعية و أنّها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي بتكلمها و أنّ الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يُسمّون كلاً منها مقاما » (2).

و ما يؤكّد وحدة الدليل اللغوي حتى عند الجاحظ نفسه ما قاله الباحث حمادي صمود: « كما أنّ مراعاة الجاحظ - للمقامات لاسيما المقام الخطابي أدت به إلى مقياس آخر دقق به وجه تأدية اللفظ المعنى، و قوامه تزامن بلوغ الدال إلى السمع و المدلول إلى القلب أو العقل ضمنا

¹ - تحليل الخطاب الشعري، رثاء صخر نموذجاً، نور الدين السد، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، العدد 8، 1996م، ص104

² - اللّغة العربية معناها و مبناها، (د) تمام حسان، عالم الكتب للنشر والتوزيع و الكتابة، ط 1998م، ص336-337

لقدرته السامع على متابعة المتكلم، و تجنباً لكل قطيعة دلالية ينخرم من أجلها حبل التّواصل، فتتعطل وظيفة الكلام» (1).

ولعل الصورة اتضحت بخصوص سبب عرض قضية اللفظ والمعنى ، بهذا الحجم لما تكتسبه من أهمية بالغة في المجال التداولي ، ففكرة التوسع عند سيبويه مثلاً ، لها أهمية كبرى في تحديد المعنى في الجانب التداولي، لأن في الحذف والتقديم والتأخير والإبدال بعدُ تداوليُّ خالص داخل النصّ الشعري. كما أن قضية الدلالة باللفظ تشترط القصد، وهذا ما يتوفر في تداولية الكلام، والتي تعد نتاجاً للدلالة الواقعة في القالب الاجتماعي فهي القائمة على الاتصال أو التواصل والخطاب الأدبي المرتكز على النظام والأداء الحسن، فهل تعد التداولية مخرجا لقضية اللفظ والمعنى؟.

2- دوافع التداولية:

لم تنشأ العلوم سواء القديمة أو الحديثة، العربية أو الغربية دفعة واحدة بمبادئها وأسسها ومجالاتها، بل نشأت عبر مراحل إلى أن وصلت على ما هي عليه من النضج والكمال. فالتداولية تعود إلى تلك الإرهاصات التي تعد بمثابة الجذور الأولى لنشأتها ووالدتها عبر مراحل، فكانت الكثير من الدراسات اللغوية والتّقديدية والمناهج قبل التداولية و التي حاولت تحليل النصوص الأدبية من منطلقات لسانية شكلية، ومن بين هذه المناهج البنيوية والمقاربة الشكلانية، التي تستند مفاهيمها إلى اللسانيات وكان الهدف من هذه الدراسات تقريب النصوص الأدبية إلى العلمية والموضوعية أكثر .

ورغم أن البنيوية كانت تستند من الناحية الفكرية إلى خلفية ذات إغراء من حيث الكمال، إلا أن النقاد المحدثون أثبتوا فشلها في إنارة النصّ وإثباته وتحقيق معناه .

¹ - التفكير البلاغي عند العرب، أسسه و تطوره، منشورات ، حمادي صمود، الجامعة التونسية، د.ط، 1981م، ص280-ص281

ولقد أسهمت هذه الدراسات في ولادة مجال علمي جديد ألا وهو: التداولية فهي متشكلة من علوم عديدة ، تُرى ما هي الأسباب الدافعة إلى هذا المجال العلمي؟

توجد عدّة أسباب تقف وراء الاهتمام بالتداولية مؤخرًا . بعضها تاريخي وبعضها غير ذلك، فقد بدأ الاهتمام بهذا المجال العلمي باعتباره زّدة فعل على معالجات تشو مسكي (Chomsky) للغة بوصفها "أداة تجريبية" أو قدرة ذهنية قابلة للانفصال على استعمالاتها ومستعملها، والسبب آخر هو أنّ المعرفة المتقدمة بالنحو والصّوت والدّلالة لم تستطع التعامل مع ظواهر معينة ذات أهمية بالغة، ليتم التوصل إلى وجود فجوة بين النظريات اللسانية من جهة، ودراسة الاتصال اللغوي من جهة أخرى ، مما أدى إلى ضرورة وجود تفسير ذي مرجعية خارجية للاتصال اللغوي⁽¹⁾، في ظل فشل التغيرات اللسانية الداخلية ، ووصول النحو التوليدي إلى طريق مسدود عقب فشله في تفسير ظواهر لغوية نتيجة إبعاد المقام والسياق يقول "محمد سالم صالح": « لم تسلم نظرية النحو التوليدي التحويلي التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الحالي على يد رائدها الأول (تشو مسكي) من الانتقاد بأنّها لم تحفل في بدايتها الأولى وأصولها بالسياق، واستبعدت علاقة اللّغة بالمجتمع في أعمالها إذ قامت هذه النظرية على فكرة المتكلم والسّامع المثالي وثنائية "الطاقة" و"الأداء..»² ويذكر "ليتش" (G.Leech) " (1893) أنّه في أواخر 1960م بدأ "كاتز" ومعارضوه في اكتشاف كيفية دمج المعنى في النظرية اللّغوية الشّكلية، ولم يكن ذلك قبل اختلال التداولية واجهة الصورة لوقت طويل، كما يشير إلى أنّ "لا كوف" "1971"م قد ناقش عدم منطقية فصل دراسة التراكيب النحوية عن دراسة استعمال اللغة، ومن ثمّ قد أصبحت التّداولية منذ ذلك الحين على خريطة اللسانيات، وذلك بعد الحلقة الأولى في قضية التداولية وتجدر الإشارة إلى أنّ المهتمين بهذا الأمر كانوا كلهم أمريكيين، ومن ثمّ ما سبق

¹ - ينظر : مبادئ في اللّسانيات ، خولة طالب الإبراهيمي دار القصة للنشر ، الجزائر ، ط2، 2002، ص177.

² - أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودورها في التوصل إلى المعنى ، محمد سالم صالح ص4
www.wahlahdeeth.com/vb/attachement.php.

يمثل النظرة الضيقة للسانيات المتمثلة في الطبيعية للكلام، ثم جاءت النظرة الواسعة للسانيات جامعة بين الشكل والمعنى والسياق. (1)

كما أشار "ليتش" إلى أن موضوع التداولية الذي أصبح مألوفاً إلى درجة كبيرة في اللسانيات كان يذكر نادراً عند اللغويين من قبل، وفق رؤية جنحت التداولية فيها إلى أن تعالج بوصفها سلة مهملات يودع فيها زكام البيانات المستعصية عن التصنيف العلمي بشكل مناسب، وهناك أيضاً تنسى بشكل مناسب، أما الآن فتم من يناقش أنه لا يمكن أن نفهم طبيعة اللغة نفسها فهما حقيقياً ما لم نفهم التداولية، وكيف تستعمل اللغة في الاتصال. (2)

وبخصوص ظهور التداولية كعلم يقول "إلوارد" (R, Eluerd) : «إذا كانت مقابلة التواريخ يمكن أن تعطي بعض المصادقية للفكرة التي تذهب بأن النحو التوليدي لتشومسكي (1928) يوالي البنيوية المستوحاة من أعمال "دي سوسير" (1857/ 1913) فإن هذا الرأي قشة يحتاج إلى من يدعم الرأي الآخر القائل بأن آخر خلق لعلم اللسان يسمى»³
Pragmatique.

فبعد عرض لقضية اللفظ والمعنى ودوافع التداولية، يتضح لنا أن فكرة التداولية كانت تذكر عند اللسانيين واللغويين الغربيين، لكنها لم تكن قائمة بذاتها، كما أنها ظاهرة أفعال الكلام والتي تعتبر أساس التحليل التداولي وجدت في تراثنا من قبل طوائف متعددة غير أن البحث فيها، في تضاعف هذا التراث الضخم لم يعد مقصوداً، دائماً لذاته ولكن كثيراً ما قصد لغيره (4).

¹ - ينظر، التداولية البعد الثالث في سيميو طيقا موريس، عيد بليغ، مجلة فصول، القاهرة، العدد 66، ربيع 2005م، ص68.

² - ينظر نفسه، ص69

³ - التداولية اللسانية، الطاهر لوصيف، مجلة اللغة والأدب جامعة الجزائر، العدد 17، جانفي 2006، ص3

⁴ - ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين، والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطائي، منشورات جامعة الكويت، 1994/ ص5

ومادام بحثي يتناول في جانبه التطبيقي تداولية النص الشعري، وددت أن أفق عند ماهية الشعر ووشائج قرابته مع التداولية ضمن هذا المدخل.

2- ماهية الشعر وعلاقته بالتداولية

1-2: ماهية الشعر:

الإحاطة بماهية الشعر صعبة، على الرغم مما عُرض في المحضرات القديمة والكتابات الحديثة، فتناول الفلاسفة اليونانيون جوانبه العديدة؛ ماهيته، وشكله، وعلاقته بالواقع والأخلاق والفلسفة، فتأثر الفلاسفة العرب بفلاسفة اليونان و أخذوا بعض آرائهم.

فلقد يحصر ابن رشد مفهوم الشعر في التخييل؛ يقول: «الأقاويل الشعرية هي الأقاويل المخيلة»⁽¹⁾ وكذلك ابن سينا في قوله: «الشعر كلام مخيل»⁽²⁾؛ حيث يحصر الشعر في عملية التخييل التي تعني الرؤية وهي أوسع ما تعنيه لسانيا. فالخيال مذهب في الفكر والرؤية والتصوير يستميل السامع ويكسب إذعانه ويشهد انفعاله بغض النظر عن صدق الشاعر أو كذبه، فالشعر بهذا المعنى يمارس سلطانه على السامع ويؤثر فيه .

كما أنّ الشعر رحب واسع يتسع لكل التحويلات الشكلية والصيغية و الموضوعاتية والتي عرفها على ممر العصور، مما يجعلنا نقبل ذلك التحول الذي صاحب الحركة الشعرية في جميع مراحلها، ولقد فسر الفارابي الأثر الذي يحدثه الشعر في متلقيه، يقول: «ويعرض لنا عند استماعنا الأقاويل الشعرية عند التخييل الذي يقع عنها في أنفسنا شبيه بما يعرض عند نظرنا إلى الشيء الذي يشبه ما نعاف: فإننا من ساعتنا يخيّل لنا في ذلك الشيء أنه مما يعاف منه فنحننبه،

¹ - الشعر والشعرية؛ الفلاسفة والمفكرون العرب، وما أنجزوه و هفوا إليه، محمد لطفي اليوسفي، الدار العربية للكتاب، د

ط، 1992، ص231

² - نفسه، ص231

وإن تيقنا أنه ليس كذلك ، كفعلنا لو تيقنا أنّ الأمر كما خيّل لنا ذلك القول . فإنّ الإنسان كثيرا ما تتبع أفكاره تخيلاتة » (1).

أما النقاد العرب القدماء تناولوا ماهية الشعر ومن أهم ما ورد، تعريف ابن طباطبا في عيار الشعر يقول: «هو؛ أي الشعر، كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خص به من التّظم الذي إن عدل عن جهته الإسماع ، وفسد على الذوق . ونظمه معلوم محدود ؛ فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض الحذف به ، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه » (2)

فتناول في نصه هذا ما يميز الشعر عن النثر وخصائص الشاعر المتعلقة بالطبع والذوق دون إغفال المتلقي ودرجة الاستحسان والتأثير.

فالشعر قبل أن يكون تجاوزا للمألوف هو إحاطة بالموجودات، ومعرفة الأشياء ومتعلقاتها والإلمام بقوانينها وهذا ما أقره بعض المحدثين على أنه : « استخدام المفارقة واللبس وتغيير المعنى... والترابط غير العقلاني للمقولات النحوية كالتذكير، والتأنيث وأزمة الفعل » (3)

فمصدر الشعر لدى قائله إضافة إلى صحة الطبع وسلامة الذوق اللذين ذكرهما ابن طباطبا نجد القدرة على الإحاطة بالموجودات التي ذكرها رينيه (renih)، والعلم والتنبه والتفطن إلى ما يليق من الموصوفات استشارة للمعاني وبعثها بدقة، وهذا ما ذهب إليه حازم القرطاجني حين يقول: «هو التملؤ من العلم بأوصاف الأشياء وما يتعلق بها من أوصاف غيرها ، والتنبه للهيئات

1 - السابق، ص 234

2 - عيار الشعر، حققه عباس عبد الستار ، ابن طباطبا، راجعه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1982، ص38

3 - نظرية الأدب ، رينيه وارين وبيك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، د ط، 1987، ص25

التي يكون عليها التثام تلك الأوصاف وموصفاتهما ونسب بعضها إلى البعض... والتفتن إلى ما يليق بهام ذلك بحسب موضع موضع وغرض غرض» (1)

فالشعر أرحب من أن يقف عند الفكرة، كونه انطلاقاً، وامتداداً، ورؤية وتخييل وتطلع، يقول عبد الله حمادي في ما يعتمد عليه الشعر: «التحدث للآخرين بلغة غير اللغة التي يتحدث بها الناس جميعاً. إنها لغة ممعنة في المجازية تبلغ أحياناً درجة الشذوذ وشذوذها- إن جاز لنا وصفها هكذا - الذي يكسبها رُوحنةً وأسلوباً من نوع خاص. ومثل هذه الصفة الجمالية، ليس صفة خاصة بالإبداع ذاته بقدر ما هي مسند يضاف إليه من طرف الملاحظ أو المتلقي، ساعة يقظة الشعور بالجمال نفسه» (2)

فالشعر على هذا النحو يوفر متعةً جماليةً خالصةً وخاصة لاعتماده على التخييل والمجاز فهو لا يتكلم عن العالم بقدر ما يتكلم بلسان العالم (3).

2-2: علاقة الشعر بالتداولية

ولما كان الأدب نتاجاً لغوياً وجب علينا ذكر العلاقة الموجودة بين اللسانيات والشعريات، وما يربط الأدب واللغة والشعر وعلوم اللسان؛ فرحابة الشعر كما أسلفنا الذكر، تفرض علينا الخوض في ذكر العلاقة الموجودة بينهما، فنجد ياكوبسون مثلاً يعد الشعريات فرعاً من فروع اللسان بقوله: «إنّ الشعريات تهتم بقضية البيئة اللسانية مثلما يهتم الرسام بالبنيات الرسمية، وبما أن اللسانيات هي العالم الشامل للبنيات اللسانية، فإنه يمكن اعتبار الشعريات جزءاً لا يتجزأ من

¹ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقويم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986، ص38.

² - مفهوم الشعر، عبد الله حمادي، (مقال) مجلة علامات في النقد، الفلاح للنشر والتوزيع، منطقة الجامعة العربية، بيروت، لبنان، النادي الأدبي، جدة، المجلد 40، جوان 2001، ص314.

³ - نفسه، ص 311

اللّسانيات»⁽¹⁾ ومع ذلك، فالمقاربة بين الشعر والتداولية لا تبدو يسيرة ، لأنّ التداولية فلسفة أصلا أما الشعر فن في ذاته، والفلسفة أساسها التجريد بخلاف الشعر ،الذي يتأسس على عناصر حسية، كما أنّ غاية الفلسفة هي العلم، أما غاية الشعر هو ما يحدثه في نفوس متلقيه من أثر .

إلا أنّنا نجد خطوط التماس بين التداولية والشعر في إحداث ذلك التّواصل نتيجة الحوار

القائم بين المبدع والمتلقي .

لتظهر العلاقة من خلال الفعل الإنجازي مادام الشعر يعتمد على ضبط زمن الفعل ومكانه وفاعله ،وهذا ما يقوم عليه الدّرس التّداولي الحديث إذ يرتكز أساسا على الفعل التّواصلية يقول الباحث لطفي اليوسفي : « الشعر هو فعل الشعر»⁽²⁾

وما يدعم كذلك علاقة الشعر هو مفهوم التداولية التّفصي ، لأنّ أساس الشعر مبدأ التّفعية والتي قد تكون أخلاقية أو جمالية أو بيانية ؛يقول ابن طباطبا عن الشعر : «تُدفع به العظام ، تسل به السّخائم ، وتجلب به العقول وتسحر به الألباب ، لما يشتمل عليه من دقيق اللفظ ولطيف المعنى»⁽³⁾

فكذلك المنهج التداولي النابع من الفلسفة الذرائعية، التي تحيل كل شيء إلى الفعل والمنفعة ، مثلما يهدف الشعر إلى تبليغ المقاصد. خاصة أنّ القارئ اليوم أصبح نفعيا براغماتكيا لاعتماده على مبدأ المنفعة ، ليفك عن طريق المنهج التّداولي ، شفرة مقاصد الملفوظات اللّغوية الموجودة في النصّ الشعري دارسا الضمني والصريح ، مهتما بالدراسات الوظيفية للجملة ،مرتكزا في ذلك على السّياق ،وموقف المتكلّم من الخطاب ذاته ،ومن السّامع ،ليحصل في الأخير ما يعرف بالإبلاغ والإفهام إلى جانب الإمتاع.

¹ - قضايا شعرية ، رومان ياكسون، دار توبقال للنشر، دط ، 1988م ، ص 19

² - الشعر و الشعريّة ، محمد لطفي اليوسفي :ص231

³ - عيار الشعر ، ابن طباطبا ، ص121

ويعد هذا البحث اجتهادا لمعرفة مختلف الوظائف التداولية الموجودة في التراكيب وتحليل مظاهر الحجاج وأشكاله الاستدلالية، وفق ما تقتضيه الدراسات الحديثة والتي تدعو إلى الاهتمام بالسّمات البراغماتية الخاصة بالنصوص وليس الجمل فقط⁽¹⁾

لتتضح العلاقة أكثر بين التداولية والشعر فالشعر يحمل رؤى المتكلم ومواقفه، ويهدف إلى التأثير في سلوك المتلقي، كذلك التداولية مبنية على التواصل في تناولها للغة، لتجد في الشعر مجالا ثريا لبحوثها، قصد تحقيق مبدأ التّفعية الذي يقوم عليه الشعر أصلاً .

ويتسم ديوان محمد العيد آل خليفة بخصائص التداول اللغوي عموما، وتداول الخطاب الشعري بشكل خاص، من خلال أفعال الكلام المتعددة والمتنوعة، كالإنجازية و التقريرية، والتعبيرية، والضمنية أو صريحة، من جهة، وارتباط قسم كبير من قصائد الديوان ارتباطا وثيقا بالواقع المعيش للشاعر من جهة أخرى، فكان من الضروري الاهتمام بهذه الجوهرية اللغوية الثمينة واختيارها ميدانا لهذه الدراسة بالوقوف عند خصائص تراكيبها، وتحديد مختلف الوظائف التداولية التي تكتنفها.

ولكن قبل الخوض في التحليل التداولي لتراكيب الديوان، لا بأس أن نعرض على معالم التداولية ومباحثها.

¹ - علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، فان ديك، ترجمة وتعليق محمد سعيد البحيري، القاهرة، ط1، 2001، ص

الفصل الأول

التداولية أنواعها و مباحثها

1/ أصل مصطلح التداولية و روافدها

2/ علاقة التداولية بالمباحث اللغوية

3/ أنواع التداولية ووظائفها و مهامها

4/ مباحث التحليل التداولي

4 1- أصل مصطلح التداولية و روافدها:

1-1 مصطلح التداولية :

عرف مصطلح التداولية (pragmatique) مدلولات عديدة تقلب بينها منذ ظهوره لأول مرة، فقد ظهر مصطلح pragmatique انطلاقاً من الأصل اليوناني "pragma" الذي يعني العمل (action) ومنه اشتقت الصفة اليونانية "pragmatikos" التي تحيل على كل ما يتعلق بمعاني العمل.

وقد استعمل المصطلح بعد ذلك لأول مرة في القرون الوسطى في فرنسا في مجال الدراسات القانونية في عبارات مثل: sanction pragmatique.

وفي القرن 17م انتقل الاستعمال إلى الميدان العلمي فصارت (pragmatique) تعني كل بحث أو اكتشاف من شأنه أن يعرف لا أن يفرضي إلى التطبيقات ذات ثمار عملية.⁽¹⁾

وتنسب الموسوعة البريطانية إلى المؤرخ الإغريقي "بو لبيوس" (ت 118 ق.م) كأول استعمال وقد أطلق هذه التسمية على كتاباته و معناها آنذاك تعميم "الفائدة" العملية، ولتكون منبرا تعليميا، ومنها انشقت اللغة الإنجليزية جميع المفردات التي ترتبط بكلمة (practice) و التي من رحمها ولدت ما يسمى بالفلسفة "الذرائعية"، أو البرغماتية (pragmatism)، فذاع صيغتها في القرن التاسع عشر وبشكل خاص في أمريكا، ومن هذه الفلسفة تولد مصطلح في القرن العشرين نختلف عليه اليوم في ترجمته إلى العربية ألا وهو (pragmatics) الذي ترجم قبل عقدين من الزمان إلى "الفائداتية"، ثم وجد مترجما إلى "التداولية" قبل سنوات ناهيك عن تعريبه في القواميس بأشكال تتطابق والمصطلح الأول صيغا ومعان.⁽²⁾

1 - التداولية اللسانية، مجلة اللغة و الأدب ، الطاهر لوصيف، ص07.

2 - البرغماتية الفائداتية، دنحا طوبيا كوركيس جامعة جدار للدراسات العليا، الأردن، د.ت، د ط، ص58-59.

ويرجع أول استعمال لمصطلح (pragmatique linguistique) إلى الفيلسوف الأمريكي "شارل موريس" (Charles w.Moris) المولود عام 1909 ويقصد به كل ما يتعلق بمظاهر استعمال اللغة وخصائصها- المظهر التداولي- أي الحوافر النفسية للمتكلمين وكذا النماذج الاجتماعية وموضوع الخطاب وغير ذلك، وذلك في مقابل المظهر التركيبي الذي يعنى بالعلاقات التركيبية الشكلية والمظهر الدلالي الذي يعنى بالعلاقات القائمة بين الوحدات اللغوية والواقع.⁽¹⁾

1-1-2/ مفهوم التداولية عند الغرب:

أقدم تعريف للتداولية جاء به " تشارلز موريس " c . Mouris " سنة 1938 وهي في نظره « تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملها»⁽²⁾ والملاحظ في هذا التعريف أنه يشتمل على اللسانيات و السّمائية، ويتجاوز المجال الإنساني إلى الحيواني و الآلي .

أما جاك "موشلار " Moeschler jaque و"آنبول " Anne reboul فقد ربطا مفهوم التداولية بالمجال اللساني ،ففي القاموس الموسع للتداولية تعرف بأنها « دراسة الاستعمال اللغوي المقابلة لدراسة النظام اللساني الذي يعد من اهتمام اللسانيات بصفة خاصة»³.

وما يمكن ملاحظته من خلال التعريفين السابقين، هو اهتمام التداولية بدراسة الكلام أو الاستعمال اللغوي على خلاف الدراسات السابقة والتي قسّمت اللغة إلى لسان وكلام، (langue et parole) واهتمت بدراسة اللسان لتوحي العلمية والموضوعية ،فأقصت بذلك الكلام من دراستها لكونه فرديا يصعب التحكم في آلياته ، يقول فيليب بلا نشيه: « عملية

¹ - البرغماتية الفائداتية، دنحا طوبيا كوركيس ، ص59.

² - المقاربة والتداولية ، فرانسوان أرمينيكو، ترجمة سعيد علّوش، الرباط، مركز الإنماء القومي ، 1986م، ص8.

³ - jaque Moeschler - Anne Reboul. Dictionnaire Encyclopedique.de pragmatique. Edition seuil 1994.p17

توجيه التحليل نحو الكلام ليس مجرد دراسة لـ "الكلام" بالمصطلح السويسري، ولكنها في الحقيقة دراسة للغة في كليتها بما فيها الكلام¹»

فالتداولية تعني دراسة استخدام اللغة في شتى السياقات والمواقف الواقعية أي تداولها عملياً، ويحاول "فردناند هالين" ضبط مفهوم التداولية قائلاً: «لنضع مقابلة (سوسير) بين اللسان والكلام موضع السؤال، ولنفرض اعتبار التداولية أن ليس في وسعها أن تكون موضع دراسة منظمة، تهدف التداولية إلى بلورة نظرية لأفعال الكلام، أي نماذج مجردة، أو مقولات تصدق على السلوكيات الملموسة والشخصية التي ننجزها ونحن نتكلم»⁽²⁾

أما "ماري ديلي" Marie Diller وفرانسوا ريكارتي François Recanati، فقد اقترحا تعريفاً آخر وهو أن التداولية هي «دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة على ذلك مقدرتها الخطابية³»

فالتداولية تحاول الكشف عن المقدرة الإبداعية التي تحققها العبارة اللغوية، لدراسة دلالة اللغة في الاستعمال.

1-1-3/ التداولية عند العرب:

ويرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي (دول)، وله معانٍ مختلفة، لكنها لا تخرج عن معاني التحول والتبدل، فقد ورد في معجم أساس البلاغة الزمخشري (ت538هـ): «دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام، وبكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة

¹ - التداولية من أوستين إلى قوفمان، فليب بلا نشيه: تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، اللاذقية، ط2، 2007، ص56/55.

² - التداولية، ترجمة وبنا محمد، / مجلة الفكر والنقد، فردناند هالين، العدد24، السنة الثالثة، ديسمبر 1999، ص155

³ - المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علّوش، فرانسواز أرمينيكو: ص8

لهم عليه... وأدبيل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأدبيل المشركون على المسلمين يوم أحد... والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم... وتداولوا الشيء بينهم، والمأشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما⁽¹⁾.

وجاء في لسان العرب لابن منظور: تداولنا الأمر، أخذنا بالدول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة، وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاورناه، فعمل هذا مرة.⁽²⁾

³ فالملاحظ على معاجم العربية أنها لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر "دول" على معاني التحول والتبدل والانتقال سواء من مكان إلى آخر، أو من حال إلى أخرى مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك، في فعل التحول، والتغيير والتبدل والتناقل «وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم إلى أخرى لدى السامع ومتنقلة بين الناس، يتداو لوئها بينهم، ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذرائعية، النفعية، السياقية»⁽⁴⁾

وتعود جذور دراسة عملية التواصل إلى الدراسات التنظيرية عند الجاحظ، وأبي الهلال العسكري وابن قتيبة، وحازم القرطاجني، وغيرهم. لكنّها كانت تهتم بالأثر الناتج مباشرة عن الرسالة والشروط التي تجعل الخطاب ناجحا وهنا تظهر ملامح التداولية الحديثة؛ في تركيز هؤلاء المنظرين على المرسل والمتلقي والرسالة وعملية التأثير والتأثر والقصد، ونوايا المتكلم والفائدة من الكلام، وهذه الأمور تعد أيضا جوهر النظرية التداولية.

¹ - أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، فرانسواز أرمينيكو : منشورات دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة 1، ج 1، 1998 م، ص 303.

² - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت لبنان، تحقيق عامر أحمد حيدر، ومراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم ط 3، 1999، مادة (د و ل)

³ - في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ط 1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، ط 1، 2009 م، ص 148

ويرى بعض المحدثين أنّ التداولية الحديثة ظهرت بعد "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين" والذي ركز فيه على عملية التأثير في المتلقي والإقناع، وقد سميت هذه النظرية عنده "بنظرية التأثير والمقام".

ومن هنا يمكن القول أنّ جذور التداولية تتجلى عند الجاحظ في تقسيمه للبيان إلى ثلاثة وظائف هي:

* الوظيفة الإخبارية

* المعرفة التعليمية

* الوظيفة التأثيرية

* الوظيفة الحجاجية

واهتمامه أكثر بالوظيفة التأثيرية التي تمثل جانبا مهما في التداوليات الحديثة، والتي تهتم بالتواصل بالدرجة الأولى، والإقناع والتأثير، وإيصال المعنى وتقديم الفائدة.

فالجاحظ يعرف اللسان على أنه: «أداة يظهر بها حسن البيان، وظاهر يخبر به عن الضمير وشاهد ينبئك عن غائب، وحاكم يفصل به الخطاب، وناطق يراد به الجواب وشافع تُدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الحقائق، ومعز ينفى به الحزن، ومؤنس تذهب به الوحشة، وواعظ ينهي عن القبيح، و مزين يدعو إلى الحسن و زارع يحرث المودّة و حاصد يستأصل الضغينة وملهم يوفق الأسماع»⁽¹⁾

¹-البيان و التبيين ، الجاحظ، تحقيق درويش جويدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 /1999، ج2، ص270

والجاحظ إنما يهتم بفكرة مقتضى الحال، و هو يركز على عناصر الاتصال المختلفة و هي: المتكلم، المخاطب، النص، و حسن البيان يتفرع بدوره إلى سياقات متعددة يمكن استنتاجها من التعريف ذاته، فكونه أي اللسان ظاهر يخبر به عن الضمير و ناطق و شافع فهذا يدخل في السياق الاجتماعي، أما كونه شاهد يمكن إدراجه في خانة السياق التاريخي، أما الحاكم والواصف فهذا دليل على السياق النصي، و أخيرا كونه معز و مؤنس و واعظ فهذا جانب السياق النفسي.

وما يمكن ذكره هو أنّ الجاحظ يهدف أساساً إلى تحقيق عملية الاتصال و التبليغ و هو الإطار الرئيسي للعملية اللغوية، لأنّ الدلالة عنده غير ثابتة على حالة واحدة، و أنّ الكلام لا يكون محدداً إلاّ في سياقٍ معين.

وهذا إنّما يدل على أهمية السياق في العملية الدلالية والذي سنعرضه لاحقاً في محاور التحليل التداولي..

1-2- روافد التداولية :

تميزت التداولية بكثرة مشاربها و مواردها، وذلك أعطاها مرونة في البحث وسعة في المدارك. يقول صاحب كتاب 'التداولية عند العلماء العرب' مسعود صحراوي: « ليس للدّرس التداولي مصدر واحد انبثق منه، ولكن تنوعت مصادر استمداده، إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه ؛ "فالأفعال الكلامية" مثلاً مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار "الفلسفة التحليلية" بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا، وكذلك مفهوم "نظرية المحادثة" الذي انبثق من الفلسفة "بول غرايس" (grice)، وأما نظرية الملائمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي، وهكذا،...»⁽¹⁾

¹ - التداولية عند العلماء العرب ، مسعود صحراوي ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، بيروت، دار الطليعة ، 2005، ص 17 .

- ونجد لذلك اعتبارات تداولية عند نمطين من المفكرين، و بالدرجة الأولى عند أولئك الذين يتشبهون بالقيم الحقيقية للجمل، الهادفة فيما يتعلق بلغة كل قوم وبالجمل التي نطلق عليها "اللغات الطبيعية"، وبعوائق حضور "الأنا" أو "الأنت"، وهو حضور لا يستوجب الكشف عنه وتحديد معناه، ونصادفهما على شاشة كل الأدوار التي يلعبها سياق تبادل المقاصد في إنجاز المضمون الدال، ويمثل هؤلاء بدرجات متفاوتة المنطقة الفلاسفة، مثال: فريج و روسل، و كار ناب و بارهيل، ويتطرق جلهم إلى البعد التداولي أي إلى الأخذ بعين الاعتبار دور المتكلمين والسياق كشيء يتطلب الإلمام به.

- ومن هنا، فإما على اللغة الشرعية للعلم أن تنتحي، كما عند "فريج" و "كار ناب"، وإما يتوجب امتصاصها عبر التنحية والتعبئة لها كما عند "روسل" و "كين"، وإما علينا معالجتها أحيانا بجيل مصارعة الجيدو كما عند "مونتاغ" و "غوشيه".

أما في الدرجة الثانية فتظهر التأملات القريبة من التداولية عند أولئك الذين يقيمون منذ أمد بعيد بآثار الخطاب المتكلمين على المستمعين، من سوسولوجيين ومعالجين نفسانيين متخصصين في البلاغة وممارسي التواصل و تحليل الخطاب أمثال: بير يلمان، و ديكرو، و بور ديو، وكير برات، وواتز لاريك... وهم أقرب عامة من مصادر التداولية.⁽¹⁾

ومن المنابع التي أخذت منها التداولية :

¹ - التداولية البرغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، حنفاوي بعلي، مجلة اللغة و الأدب، مجلة أكاديمية محكمة، يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 17 ، جانفي 2006، ص52.

1-2-1- الفلسفة التحليلية:

تعني كلمة "تحليل" في اللغة: «الفك والفتح»، فيقال حلّ وحلل العقدة؛ أي فتحها فانحلت، أي حلّ وفكّ كل ما هو مركب إلى أجزائه.»⁽¹⁾

أما في المجال الفلسفي فتفيد كلمة "تحليل" الفك أو ردّ الفك أو رد الموضوع الذي تناوله بالبحث إلى مصادره أو عناصره الأولية، سواء كان الموضوع فكرة أو قضية أو عبارة من عبارات اللغة، والذي له علاقة وطيدة بالإيضاح ومنه يمكن حصر الفلسفة التحليلية بأنها «عملية اكتشاف عناصر الموضوع معين من أجل غرض خاص وهذا يعني أن الغرض الخاص من التحليل هو التقليل من درجة الغموض في المركبات بتوجيه الانتباه إلى الأجزاء المتعددة التي تتركب منها»⁽²⁾

وأمام هذا فكر "جون أوستن" في تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة، فكانت غاية المحاضرات التي ألقاها "أوستن" سنة 1955 هي وضع أسس الفلسفة التحليلية الأنجلو-سكسونية في تلك الحقبة موضع سؤال، وهو أساس مفاده أنّ اللغة تهدف خاصة إلى وصف الواقع.⁽³⁾

كما نجد أثر فلسفة اللغة عند "سيرل" في كتابه الأحداث الكلامية مدخل إلى فلسفة اللغة بعد أن استفاد من "أوستن" أضفى نوعاً من الانتظام على أفكار أستاذه.

¹ - لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر بيروت /المجلد 11، ط3،، 1994، مادة (ح ل ل).

² - فلسفات التربية ، ناصر إبراهيم ، عمان ، دار وائل للنشر والتوزيع ، ط2، 2004، ص32

³ - ينظر التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن رو بول وجاك موشلار ترجمة ، سيف الدين زغفوس ومحمد الشيباني ، دار الطليعة ، بيروت -لبنان ، ط2003، 1 ، ص29.

1-2-2 / اللسانيات الاجتماعية:

هناك تفاعل بين التداولية واللسانية الاجتماعية في حقول اهتمام مشترك، فقد ساهمت الأخيرة في مجالات معنية من التداولية خصوصا في دراسة المفردات التأثيرية الاجتماعية وأفعال الكلام واستعمالاتها.

1-2-3 / اللسانيات النفسية وعلم نفس النمو:

تمتلك التداولية علاقات هامة وحيوية مع اللسانيات النفسية، فهناك علاقة بينها وبين علم النفس الإدراكي وخصوصا نظريات معالجة، وإنتاج اللغة وتطور مفاهيم القوة الإنجازية، والتضمين، والافتراضات المسبقة، أما علم النفس النمو فهو يمتلك علاقة مع التداولية وخصوصا في اكتساب اللغة و الدور الذي تلعبه السياقات في اكتساب الطفل لغة، وظهر أخيرا ما يسمى بتداولية النمو.⁽¹⁾

1-2-4 / علم الدلالة التوليدي:

برز علم الدلالة التوليدي بريادة "روس" (ROSS) "ومكاولي" و"ليكوف" داخل النحو التوليدي التحويلي، وكانوا قد تصوروا أن المبدأ الأساسي هو أن المكون القاعدي الأساسي في القواعد التوليدية التحويلية مرتبط مباشرة من بالبناء الدلالي، وكان من الطبيعي لهذا التصور أن يدمج بحيث لا يمكن في نهاية المطاف فصل الواحد عن الآخر حيث تبدو علم الدلالة أعمق من النحو وهذا الوضع الذي قاد معنى إلى قلب القواعد، وأدى إلى إدراج اهتمامات التداولية ضمن

¹ - ينظر التداولية في الفكر الأنجلو سكسوني المنشأ الفلسفي و المال اللساني، قويدر شنان، مجلة اللغة والأدب، مجلة أكاديمية محكمة، يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 17، جانفي 2006، ص15.

(علم) الدلالة، وعن طريق القياس كجزء من علم النحو، لبدأ التعامل مع المعنى كاملا ضمن شروط تشكيلية (التركيب العميقة).

وبأقول عقد السبعينات، وقع نموذج علم الدلالة التوليدي تحت وطأة نقد مكثف وأضحى النحاة يفضلون موقفا متكاملا، وكان عمل "جرايس" حول 'الاستلزام التخاطبي' الحافز لهذا التطور حيث تمكّن اللسانيين من إمكانية رسم حق فاصل معقول بين علم الدلالة المنطقي والتداولية.⁽¹⁾ هذه أغلب المنابع والمناهل الكبرى التي نهلّت التداولية منها أبحاثها، ونكاد نرى جيدا على عكس من ذلك إلى أيّ حدّ تكون التداولية مفترق طرق غنية لتداخل - اختصاصات اللسانيين و المناطقة والسيميائيين والفلاسفة والسيكولوجيين والسوسولوجيين، فنظام التقاطعات هو نظام للالتقاء والافتراقات.

فتظهر التداولية كأحد مكونات السيميائية في اتجاه "كار ناب و موريس و سيبوك" وفي اتجاه "ميد موريس و ميد باتيسون" كذلك، مكتسبة مظهرا تجريبيا وطبيعيا وأساسيا، إلا أنّ كون تداولية منطقية وشكلية فقد أثار هذا جدلا واسعاً، فالتداولية تستقبل ميراث لسانيات التلفظ، كما أنّها ورائها مجموع مكتسبات الحركة التحليلية في الفلسفة، وبطريقة مباشرة أكثر ظهور اللغة العادية، ولقد تولدت التداولية ونمت عبر اختلافات توحيديات متلاحقة وليست وحدتها اليوم مضمونة لتواجد كثير من الطرق المتسابقة في عراق بناء.⁽²⁾

وبما أنّ التداولية تقع في مفترق الطرق الأبحاث الفلسفية واللسانية، فلا بد من تسليط الضوء على أهم ما يلامسها، كاللسانيات والفلسفة الذرائعية، والتحليلية وعلم الدلالة التوليدي.

¹ - السابق، ص 22-24.

² - ينظر "المقاربة التداولية"، فرانسواز أرمينكو، ص 11.

2- علاقة التداولية بالأبحاث اللغوية :

1-2 اللسانيات والتداولية :

تعد التداولية مبحثا من مباحث الدراسات اللسانية التي تطورت في سبعينيات القرن العشرين، وهي كما وصفها "فرا نسوان أرمينكو" « بأنها درس جديد وغزير إلا أنه لا يمتلك حدودا واضحة ... وتقع التداولية كأثر لدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية و اللسانية، إلا أنها غير مألوفة حاليا.»⁽¹⁾

ويرصد محمد علي الخولي 1982م الجوانب التي يقتضيها مصطلح اللسانيات فيحصرها في الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمفرداتية والنفسية والاجتماعية والمعجمية وتدخل كلها فيما اصطلح عليه بعلم اللغة النظري، كما يتصل بعلم اللغة التطبيقي ،ومن فروع صناعة المعاجم وعلم اللغة الآلي وعلم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي وتعليم اللغات والتقابل اللغوي وتحليل الأخطاء⁽²⁾

كما توصف اللسانيات البنيوية بوصف الشكلانية والصورية، أي البعد عن الأحداث الكلامية الحقيقية في الواقع المحسد مما جعل جهازها الواصف، مفتقرا إلى التعيين والإحالة لافتقادها لقواعد الإحالة التفسيرية، فالملفوظ كالاتي: « "لقد زادوا في قيمة الضرائب " ملفوظ لا تقدم فيه اللسانيات البنيوية أي قاعدة تفسر الضمير الذي أسند إليه الفعل زاد، وتعيّن المرجع الذي يحال عليه في الواقع الخارجي عن اللغة، إذا ما استثنينا بعض التوجيهات اللسانية الوظيفية

¹ - السابق، ص 07

² - ينظر التداولية البعد الثالث في سيميو طبقا موريس ، عيد بلبع، مجلة فصول ، القاهرة، العدد 66 ، ربيع 2005، ص 41.

التي ظهرت في السنوات الأخيرة كنظرية النَّحو الوظيفي لـ "سيمون ديك" (Simon dik) مثلا، ولكن نظريته ليست نظرية بنيوية بل إنّ تأثيرها بالتداولية أشد. «⁽¹⁾

أما في التداولية فتوجد آلية أو عدة آليات، لتفسير هذا الضمير السابق وتعيين المرجع في الواقع الخارجي وهذا ما يعطي للتداولية بعض المميزات عن اللسانيات البنيوية، كالاتصال المباشر بالعالم الخارجي، والواقع الخارجي يقر بأنه ليس لأحد الحق في زيادة الضرائب إلا السلطات المعنية بذلك.

وما يمكن استخلاصه هو من خلال ما سبق أن التداولية قاعدة اللسانيات كما وصفها "رودلف كارنب" (Rudolf Carnap).

2-2 الفلسفة الذرائعية والتداولية:

يمكن لنا أن نصنّف الذرائعية إجمالاً بأنّها تيّار فلسفيّ رحب يحاول بلورة المفاهيم و الفرضيات والنظريات، ويفلسف طرق تبريرها، إنّها ترى في تفسير الواقع بالنسبة للإنسان ما يبرّره من اعتبارات الكفاية والفائدة لتلبية اهتماماته وحاجياته.

ومن أبواب هذه المحاور يتمّ الدخول إلى عالم الفائداتية، وهذا العالم الذي يتجاوز حدود "التداولية" من منظور لغوي بحث⁽²⁾

فالفلسفة الذرائعية عبارة عن شتات من الإيديولوجيات المتضاربة، لم تكن في يوم من الأيام منهجا فكريًا واحدا، ولا حتى في أيامنا هذه، ومن الرواد الذين ذاع صيتهم خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشرة في أمريكا نذكر (شارلس بيرس) وصديقه (وليام جيمس)، ويضاف

¹ - التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي ص 29.

² - ينظر، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، بوشنسكي، ترجمة: عزّت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني الأعلى للثقافة، الكويت، 1992م، ص 159.

إليهما الفيلسوف التربوي (جون خديوي) ، لم يأت هذا المثلث الدّرائعي عن طريق الصدفة وإنما كانت هناك جملة من العوامل أسهمت في تكوينه كحركة فلسفية رائجة.⁽¹⁾

فالتداولية بمفهومها النفعي يمكن لها أن تتقاطع مع الفلسفة الدّرائعية كونها تبحث كيفية تلبية حاجيات الإنسان وتهتم بمبدأ الفائدة القائمة على الدلالة فما علاقتها بالتداولية

2-3 الدّلالة والتداولية:

تتخذ الدّلالة مفهوما خاصًا، ويتحدّد في الوظيفة الدّلالية للتراكيب النحوية التي تتركز على المعنى الحرفي الذي تؤديه الجملة، وبعبارة أوضح لا تلتفت الدلالة في هذا المفهوم الخاص إلى أبعاد غير لسانية، فهي تتركز على المنطوق، وهذا المفهوم الخاص للدلالة هو أساس المقارنات التي قامت بين الدلالة والتداولية، وبذلك تعدّ هذه المقارنات تمييزًا بين التداولية والدلالة بمفهومها الخاص قبل ظهور التداولية واستقرارها في الدّراسات اللسانية في الفكر العربي.

وقد ارتبط تحديد المفهوم الاصطلاحي للتداولية دائما بالتمييز بينها وبين الدلالة من ناحية، والتمييز بينهما بين النحو من ناحية أخرى، وقد بدأ هذا الارتباط في البدايات الأولى التي عرض فيها "موريس" (1938م) مفهوم التداولية مقارنة بالنحو والدلالة ثم توالت الأبحاث والدراسات التي اتخذت من تمييز "موريس" منطلقا كما اتخذت من تعريفه منطلقا لبناء المفهوم الاصطلاحي على هذا التمييز.⁽²⁾ فإذا أدركنا تعريف التداولية اللسانية بدقّة أكبر قد عرفنا أنّها مفسّرة للمعاني التي تمتلكها الألفاظ بالألسنة لمستخدميها ومفسّريها، فما الفرق بينها وبين الدّلالة؟

فإذا كانت الدّلالة تهتم بالمعنى كعلاقة ثنائية بين الشّكل ومعناه (س تعني ص) مثلا: "أشعر بأني جائع نوعا ما" يعني: "أنا جائع"، فإنّ التّداولية يمكن النّظر إليها أنّها علاقة ثلاثية

¹ - ينظر ، المقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكو ص07

² - ينظر ، الفلسفة المعاصرة في أوروبا ، بوشنسكي، ص159.

بين(المتكلم والمعنى واللفظ) (ع تعني ص بواسطة س)، بمجرد وجود المتكلم في الصيغة فمن الصعب استبعاد المخاطب لأنّ ما لفظه المتكلم يستمدّ معناه بفضل نيته في إحداث تأثير معين على المخاطب، ومعنى المتكلم أساسا يستدعي معه سياق المعرفة الخاصة والعامة، اللتان يتقاسماها المخاطبان، وسياق المعرفة هذا يضم مكان وزمان اللفظ.⁽¹⁾

و بالجملة فإنّ مجال التداولية يتحدّد بحالة كلامية لا تضم فقط اللفظ و المتكلم و المستمع بل المعرفة المشتركة لهذه العوامل الخاصة منها و العامة أي: «سياق اللفظ». ⁽²⁾

وقد وضع "ليتشي" (letchi) عدّة نقاط أساسية انطلق منها إلى التمييز بين الرؤية التداولية والرؤية النحوية والدلالية، تتمثل هذه النقاط فيما يلي:

- التحديد الدلالي للجملة يختلف عن تفسيرها التداولي.
- الدلالة سلطة قاعدة (نحوية) أما التداولية فهي تحكم مبادئ (بلاغة).
- إنّ قواعد النحو أساسا عرفية، أما مبادئ التداولية العامة فهي أساسا ليست عرفية، فهي تتعلق بالأهداف المحادثائية.
- إنّ التداولية العامة تربط المعنى (sens) أو المعنى النحوي للمفوض ما بقوة التداولية أو قوة فعل الكلام (illocutionnaire)، وربما تتمثل هذه العلاقة نسبيا في الكلام المباشر وغير المباشر.
- إنّ التطابقات النحوية تعرف بدقة بواسطة تخطيطات قواعدية، أما التطابقات التداولية فتعرف بدقة المشكلات وحلّها.

¹ - ينظر التداولية في الفكر الانجلو سكسوني المنشأ الفلسفي والمأل اللساني ، قويدر شنان ، ص22.

² - نفسه ، ص22

- إنّ التفسيرات والشروح النحوية هي ابتداء من شكلية، أمّا التفسيرات والشروح التداولية فهي ابتداء من وظيفية.

- إنّ النحو تجريدي خالص أمّا التداولية فهي نصية كما أنّها تتعلق بالترابط التواصلي بين الأفراد.

- إنّ النحو يمكن وصفه بأنه فصول منفصلة ومحدّدة، أمّا التداولية فتوصف بأنها تقديرات مستمرة وغير محدّدة.⁽¹⁾

3- أنواع التداولية ومهامها ومفاهيمها:

3-1 أنواع التداولية:

يمكن تقسيم التداولية العامة إلى اللسانيات التداولية والتداولية الاجتماعية؛ فالأولى يمكن تطبيقها في دراسة الهدف اللساني من التداولية - المصادر التي توفرها لغة ما في نقل أفعال إنجازية معيّنة - والثانية تعني بالشروط والظروف الأكثر محلية المفروضة على الاستعمال اللغوي وهو حقل أقل تجريدًا من الأول.

ونجد الدكتور "محمود أحمد نحلة" يقسم التداولية إلى:

- 3-1-1 /التداولية الاجتماعية: التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.

- 3-1-2 /التداولية اللغوية: والتي تدرس الاستعمال اللغوي المستنبطة من وجهة نظر تركيبية.

¹ - ينظر التداولية البعد الثالث في سيميو طيقا موريس ، عيد بلبع ، ص72.

- 3-1-3 / التداولية التطبيقية: وهي تعني بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة.

- 4-1-3 / التداولية العامة : وهي التي تعنى بالأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة

استعمالا اتصاليا. (1)

3-2 / مهام التداولية وأهدافها:

لعلّ أول تحديد لوظيفة التداولية في حقل اللسانيات هو تحديد "شالز موريس" (Charles Morris) 1938م « الدلالة تبحث في علاقة العلامات بمدلولاتها ، و التداولية تهتم بعلاقة

العلاقة بمؤوليتها. » (2)

ولا قيمة المفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلا بدّ من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل سياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكل تتضح مقاصد المتكلم و المعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم

وكلّ هذه الأمور تهتم بها الدراسة التداولية، وتهتم أيضا بنوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المتكلم والمخاطب التي تبث عبر وسائل الاتصال، فيستعمل المتكلم عدّة طرق للإقناع والتأثير والأمر والإخبار.

¹ - ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نخله، دار المعرفة الجامعية مصر (د ط) 2002، ص51.

² - التداولية البعد الثالث في سيميو طيقا موريس ، عيد بلبع، ص72.

فهي تدرس استعمال اللغة والسياق وتوقف شتى نظاهر التأويل اللغوي على سياق، فالجهة الواحدة يمكن أن تعبّر عن معاني مختلفة أو مقترحات مختلفة من سياق.⁽¹⁾

وتتلخص مهام التداولية في:

- دراسة استعمال اللغة فهي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها ولكنها تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلاما محددا "صادرا من متكلم محدد" موجّها إلى مخاطب محدد "صادرا من المتكلم محدد" موجّها إلى مخاطب محدد إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصل محدد لتحقيق غرض تواصل محدد.

- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

- شرح أسباب فشل المعاينة البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات.

وعليه فإنّ بعض الدارسين يعوّلون على التداولية في تحقيق مجموعة من الرّهانات تعبّر

عنها الأسئلة التالية:

- كيف نصف الاستدلالات في عملية التواصل، علما بأنّ الاستدلالات التداولية غير معقلنة وفي كثير من الأحيان؟.

- ما هو نموذج التواصل الأمثل (أهو الترميز أو الاستدلال؟)

- ما هي العلاقة بين الأنشطة الإنسانية الثلاث: اللّغة التواصل و الإدراك؟

¹ - السابق، التداولية البعد الثالث في سيميو طيقا موريس، ص 72.

- و ما هي العلاقة بين الفروع المعرفية المشتغلة بهذه الأنشطة (أي علم اللّغة، وعلم التواصل، وعلم النفس المعرفي؟) (1)

كذلك تهدف التداولية إلى تطوير نظرية الأفعال الكلام أي الأنماط المجردة أو للأنماط التي تمثل الأفعال المحسومة والشخصية التي تنجزها أثناء الكلام، واضعة بذلك موضع السؤال التقابل (السويسري) بين اللغة والكلام، ورافضة اعتبار هذا الأخير موضوعا غير قابل للدراسة المنهجية. (2)

3-3- مفاهيم التداولية:

3-3-1 مفهوم الفعل:

ويتضمن كون اللّغة لا تخدم فقط تمثيل العالم بل تخدم إنجاز أفعال، فالكلام هو أن نفعل، أي بمعنى واضح هو فعل في الآخرين، ويعني غير ظاهر ولكنه واقعي: ترشد إلى معنى القيام بـ "فعل الكلام"، إذ يوجه مفهوم الفعل هذا نحو مفاهيم أكثر دقة، و أكثر شمولية للتفاعل و التسوية.

3-3-2 مفهوم السياق:

ويقصد به الوضعية الملموسة التي توضع وتنطلق من خلالها مقاصد تخص المكان والزمان، وهوية المتكلمين الخ...، وكلّ ما نحن في حاجة إليه من أجل تقييم ما يقال، وهكذا ندرك مقدار أهمية السياق حين نحرم منه مثلا، حين تنقل إلينا المقاصد عبر وسيط وفي حالة معزولة عن السياق الذي يصبح مبهما عامة، ودون قيمة، وعلى عكس ذلك فاللّغة العلمية و اللّغة القانونية أجهدتا

1 - ينظر التداولية عند العلماء العرب، عيد بليغ، ص26.

2 - ينظر عز الدين العوف، التداولية بقلم فرديناند هالين، مجلة الآداب الأجنبية، مجلة فصلية تصدر عن إتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 125، شتاء 2006، ص63.

نفسيهما على الدوام في إيجاد مقاصد التي هي عبارة عن نصوص مكتوبة في الغالب لتمرير كل الأخبار السياقية الضرورية للفهم الجيد كما يعبر عنه.⁽¹⁾

3-3-3 مفهوم الإنجاز:

ويقصد بالإنجاز طبقا للمعنى الأصلي للكلمة إنجاز الفعل السياق، إما بمحادثة لقدرات المتكلمين، أي معرفتهم و إلمامهم بالقواعد، وإما بتوجب إدماج التمرس اللساني بمفهوم أكثر تفهما، كالقدرة التواصلية.⁽²⁾

4- مباحث التحليل التداولي:

1-4 الأفعال الكلامية:

ترتبط نشأة التداولية ارتباطاً كبيراً بنظرية الأفعال الكلامية، و توصف بأنها أهم محاور الدرس التداولي⁽³⁾، والفضل يعود إلى فرع "فلسفة اللغة العادية" وهو الذي نشأ بين أحضانه ظاهرة الأفعال الكلامية، كونها تبنت مسألة طبيعة اللغة فركزت على المعاني العادية التي تتغير بحسب مقامات الأحوال .

ويعتبر "أوستين" مؤسس هذه النظرية وجاءت كردة فعل على أصحاب "الوضعية المنطقية" الذين كانوا يعتبرون أنّ اللغة وظيفة واحدة، تنحصر في رسم ووصف وقائع العالم وصفاً يكون إما صادقا أو كاذبا وأطلق "أوستين" المغالطة الوصفية، فاللغة حسبه ليست محصورة في نقل الأخبار

¹ - ينظر التداولية... البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، حنفاوي بعلي، ص 55.

² - نفسه، ص 55.

³ - ينظر النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان ديك، ت ر: عبد القادر طنيني إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب ، 2000م، ص 125.

ووصف الوقائع بل هناك أفعالا تنجز في الواقع وتغير معتقدات الأفراد بمجرد التلفظ بها، إذ اعتبر أنّ "أحداث التلفظ هو انجاز لفعل وانجاز لحدث" (1)

هذا ولقد ميّز "أوستن" نوعين من الأفعال الكلامية (2):

أ- الأفعال التقريرية (constatif Acte) : وهي أقوال وأفعال خاضعة لمعيار الصدق والكذب. أو ما يعرف بالملفوظ التقريري.

ب- الأفعال الإنجازية أو الإنشائية (Acte performatif) :

وهي أقوال أو أفعال مرهونة ببعض شروط النجاح، والتي تحقق الفعل الذي نسميه أي انجاز عن طريق التلفظ. كالأوامر والتعابير خاصة بالوعود والأمنيات، والترغيب، والتشجيع والترهيب.

وبالاعتماد على معيار القوّة الإنجازية قدم "أوستن" تصنيفا للأفعال الكلامية من حيث معناها إلى مجموعات وظيفية: (3)

- الأفعال الدالة على الحكم (الحكميات): وتتعلق بالقضاء والحكام نحو الإدانة ، أو الفهم ، أو الإصدار أو الوصف

- الأفعال الممارسة (التنفيذيات) : وهي الأفعال الحاملة لقوة في فرض واقع جديد وتقتضي بمتابعة أعمال الطرد والعزل...

¹ - ينظر نظرية أفعال الكلام العامة، جون أوستن ، ت ر: عبد القادر قنيني، دار البيضاء إفريقيا الشمالية 1991 ص227

² - التداولية ظهورها وتطورها ، عادل الثمري ، www.eleph.com

³ - ينظر : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، عمر بلخير، منشورات الاختلاف ط1، 2003م، ص158-159.

- أفعال الوعد (الوعديات) :والأفعال تلزم المتكلم القيام بعمل ما معترف به من قبل المخاطب ومن أمثلتها : الوعد والضمان ،والتعاقد والقسم ...

- أفعال السلوك (السلوكيات):وهي الأفعال الناتجة من تفاعل مع أفعال الغير كالاعتذار والشكر والترحيب والكره والتحريض.

-أفعال العرض (العروضيات) الأفعال الخاصة بتقديم وجهات النظر ، وتوصيل الحجة وتوضيح الاستعمالات والدلالات .

ونجد "سيرل " وهو تلميذ "أوستن" يتفق مع أستاذه في قضايا فلسفية ولغوية كثيرة فهو يرى أن كل ملفوظ لساني يعمل كفعل محدد(أمر ،سؤال ،وعد...) أي يساهم في إنتاج بعض الآثار، كما اعتبر أن المكون الأساسي للملفوظ الذي يمنحه قوته هو القوة الإنجازية وأننا حين نتلفظ بعبارة ما نقوم بأربعة أفعال:

- "الفعل التعبيري": التلفظ بالكلمات :وهو ما يسميه: "الفعل التعبيري"

- الفعل القضوي: "بإسناد الكلمات إلى بعضها وإحالتها على مراجعها .

- الفعل الغرضي : وهو الفعل الذي يحدد الطريقة التي يستعمل بها التعبير.

- الفعل التأثيري : وهو يجسد النتائج والتأثيرات التي تحدثها الأفعال الإنجازية السابقة على أفكار معتقدات المستمع.⁽¹⁾

ميّز سيرل بين ما يسميه الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير مباشرة:

¹ - ينظر نظرية أفعال الكلام عند أوستن ، نصيرة غماري، مجلة اللغة والأدب العربي ،معهد اللّغة العربية وآدابها ،

جامعة الجزائر ،العدد 17، جانفي 2006 م، ص82، 86

أ- الأفعال الكلامية المباشرة :

وهو أن يكون القول مطابق للقصد، أو أن يتطابق القول بمفهوم "أوستن" وفعل الإنشاء، أي تتطابق قوة الفعل الإنجازية مع مراد المتكلم .

وتتلخص نظرة "سيرل" المتعلقة بالمطابقة في الأفعال التالية⁽¹⁾

1-الاثباتيات (les Assertives): تتضمن أفعال الإيضاح وهي تقريرية تحتمل

الصدق أو الكذب، وعبرها ينقل المتكلم الوقائع الحقيقية للعالم.

2- الوعديات (les commissives) : والتي تتعلق بانجاز في المستقبل يلتزم به المتكلم.

3- التوجيهيات (les directives) : وهي الأفعال الكلامية غرضها الانجاز يحمل

السامع إلى شئ ما ، كالأستفهام والنهي والنداء ، وهي أفعال طلبية .

4- التعبريات (les expressives) : وهي الأفعال التي يعبر من خلالها المتكلم عن

حالات شعورية مع مراعاة شروط الصدق ويدخل في هذا النوع من الأفعال ، الشكر ، الاعتذار ، التهئة ، التعزية ، الترحيب .

5- الاعلانيات (les declaratives) : يحاول المتكلم من خلال هذا النوع من

الأفعال الكلامية إنّ يعبر عن وضع قائم ،ليقع الفعل بمجرد التلفظ به، مثل البيع ، الشراء ، الوصية، الوقف، الطلاق ، الزواج... الخ.

¹ - ينظر : الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، علي محمود حجي ، دراسة دلالية ومعجم سياقي ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط1، 2008، ص98.

ب- الأفعال الكلامية الغير مباشرة :

وهي أفعال تتطلب الانتقال من المعنى المباشر للقول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم ، فالوقوف عند حدود القول غير كافي لدى المستمع فعليه إن يفتش عن القصد المضمّر ويكون ذلك عن طريق تحليل السياق، فالأفعال الكلامية غير مباشرة تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم⁽¹⁾. وهي الأفعال ذات المعاني الضعيفة التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها، وهي تشمل معان عرفية وحوارية⁽²⁾.

ويعرف "عبد الهادي بن ظافر الشّهري" الأفعال الكلامية غير المباشرة على أنها: «إستراتيجية لغوية تلميحية يعبر عنها المتكلم عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي لخطابه فيعبر عنه بغير ما يقف عند اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق.»⁽³⁾

2-4: السياق:

إنّ الحديث عن السياق، يدفعنا للحديث عن التّركيب، لأنّ التّواصل لا يمكن أن يحدث إلّا في ظل مكونات الجملة، ذات قراءة دلالية وحتى تكتمل الصّورة و يحصل الفهم لابد من الاهتمام بالجانب السياقي.

و يمكن تحديد معنى السّياق إذا تعرضنا إلى النّظرية السّياقية حيث حدد مفهومه أصحابه بـ "الوحدات التي تسبق أو تعقب وحدة معينة، أو مجموعة الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين

¹ - ينظر: ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود احمد نخلة، دار المعرفة الجامعية مصر (د ط) 2002 ص50.

² - التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي ص36.

³ - إستراتيجيات الخطاب ، مقارنة تداولية لغوية عبد الهادي بن ظافر الشّهري ، دار الكتاب الجديدة بيروت لبنان، ط1 2004 م، ص370.

الاعتبار لدراسة العلاقة الموجودة بين الظواهر اللغوية الاجتماعية و تعرف بالسياق الاجتماعي للاستعمال اللغوي أو سياق الحال "contexte de situation".⁽¹⁾

كما يرى الباحث أحمد مختار: أنّ مدرسة لندن عُرفت بما يسمى بالمنهج السياقي contextual approach أو المنهج العلمي operational approach، وكان زعيم هذا الاتجاه Firth الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة⁽²⁾

ويظهر في قول الباحث أنّ النظرية السياقية أو ما يعرف بـ contextual theory ارتبطت باللساني البريطاني فيرت.

واهتمامنا بهذه النظرية - نظرية أفعال الكلام - في بحثنا هذا راجع لاهتمامها بالسياق واستعماله بمفهوم واسع، حيث يشمل السياق الصوتي، والصرفي والنحوي والمعجمي. وهذا شيء إنّما يدل على ذلك الارتباط الوثيق بين المعنى السياقي و المقام (*)، يقول أحد الباحثين موضحاً ذلك: "نقصد بالمعنى السياقي ما يوضحه سياق الحال و أنا أستعمل سياق الحال بالمعنى الفني الذي يستعمله أستاذنا فيرت، و قد كان يأخذ في الاعتبار الأقوال و الأشخاص والأفعال"⁽³⁾، و لعل هذا القول يجزنا للحديث عن أصول النظرية، إذ لا بد من وجود أسباب ودوافع محيطة، ففكرة السياق تعود إلى القرن التاسع عشر و خاصة مع الباحث اللغوي فينجر wegner حيث

¹ - ينظر علم اللغة الاجتماعي، هيدسون، تر/ محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 2002م، ص88

² - علم الدلالة، أحمد مختار، عالم الكتب القاهرة، ط 5، 1998م، ص68

*- المعنى المقامي: معنى يفهم من الموقف الخارجي الذي قيل فيه الخطاب (القرائن الخارجية التي تصحب الخطاب)

³ - ينظر المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، ط1، 1996م،

قرر «أنّ السياق هو الأساس أو المحيط الذي تعتمد عليه الحقيقة في توضيح فهمها، وأنّه لا يتضمن عند الاتصال اللغوي للكلمات فقط بل الصّلات والظروف المحيطة والحقائق السابقة.»⁽¹⁾

ومن هنا تتضح لنا تلك الظروف المحيطة، و تأثيرها على المعنى أو على الدرس التداولي، ولقد بات واضحاً أنّ يكون السياق محورياً أساسياً في الدرس التداولي بامتياز.

و تظهر أهمية السياق الأساسية في قول الباحث محمود عكاشة: « فلا نقبل من يقول أن للكلمة معنى مستقلاً، فالكلمة لا محالة ترتبط بمحيطها اللغوي و الثقافي و البيئي و الزمني، والكلمات التي ستوهم بعض الباحثين أنّها مستقلة الدلالة، ليست ذات دلالة مستقلة»⁽²⁾

لقد أبرزت هذه التعريفات التي عرضناها، أهمية دور السياق في التحليل الدلالي، والذي يعد من مميزات الدرس أو التحليل التداولي الهادف إلى الإفهام بالدرجة الأولى حيث نجد يعين لنا قيمة الكلمة فكأن السياق هو الدعم الحقيقي لها، لأنّ هناك بعض الحواجز تعترض العملية التواصلية، و لا يحدث اكتمالاً للصورة و لا يحصل الفهم، و هذا ما أقرّه الباحث محمد غاليم في قوله: « إنّ المشاكل تبرز حينما يتطلب أحد المكونات الجملة قراءة دلالية سياقية، مختلفة عن قراءته المعجمية »⁽³⁾

و يقول كذلك: « إنّ جملاً مثل هذه تُحظى بتأويلات واردة لدى المتكلم الناشئ، أي أنّها تؤوّل مجازياً، و هذا يعني أنّ القراءة السياقية للمكونات قد تكون مختلفة إلى هذا الحدّ أو ذاك عن قراءتها المعجمية »⁽⁴⁾.

¹ - علم اللغة نشأته و تطوره، محمود جاب الزب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985م، ص148

² - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمد عكاشة، دار النشر للجامعات، ط1، 2005م، ص158

³ - التوليد الدلالي في البلاغة و المعجم، محمد غاليم، دار توبقال للنشر، ط1، 1987م، ص56

⁴ - السابق ص56

و من خلال هذا القول يتواصل الحكم على أهمية السياق في الاستعمال اللغوي والذي يعتبر الفهم و الإفهام ضرورة مُلِحّة.

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني، و هو يروي قصة حدثت بين المبرد و الكندي المتفلسف: روي عن ابن الأنباري أنّه قال: «ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس، و قال له: إيّ لأجد في كلام العرب حشوا، فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك: فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائم ثم يقولون: إنّ عبد الله قائم، ثم يقولون: إنّ عبد الله لقائم فالألفاظ متكرّرة، و المعنى واحد، فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فقولهم: عبد الله قائم، إخبار عن قيامه و قولهم: إنّ عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، و قولهم إنّ عبد الله لقائم، جواب عن إنكار مُنكر قيامه، فقد تكرّرت الألفاظ لتكرّر المعاني، قال: فما أحرار المتفلسف جوابا»⁽¹⁾.

و لعل ما يمكن استنتاجه من خلال هذا الحوار الشيق هو الدور الذي يلعبه السياق في معرفة المرجعيات و تفسيرات الخطاب، هذا ما يبيّن ذلك الارتباط الوثيق بين البنية و السياق، و مراعاة ما يعرف بمقتضى الحال، بالنسبة للملتقى بين متقبلٍ و طالبٍ و منكرٍ للنخب.

ومن هنا يمكن الاعتراف بدور السياق في تحقيق الدلالة المقصودة والتي تعتبر كهدف سامي للتحليل التداولي، تماشياً مع محور فعّال في الدرس أو التحليل التداولي وهو الحجاج.

¹ - دلائل الإعجاز في علم، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1 1995 ص 315.

3-4 الحجاج:

أ/ مفهوم الحجاج لغة:

الحجاج لغة من حاجج، جاء في معجم العين «الحجُّ كثرة القصد إلى من يعظّم... حجّوا عمامته: عظّموه... ويقال حجة الموسم... والمحجّة: قارعة الطريق الواضح، والمحجّة: وجه الظفر عند الخصومة» (1)

فدل الحجاج على الخصام.

وفي هذا الصدد يرى الزمخشري (ت583هـ) أنّ الحجاج هو المخاصمة، ويضيف بعض المعاني المجازية التي يمكن استعمالها بلفظ الحجاج؛ حيث يقول: «احتج على خصمه بحجّة شهباء، وبحجج شهب، وحاج خصمه فحجّه، وفلان خصمه محجوج وكانت بينهما محاجة ملاحه، وسلك المحجّة، وعليكم بالمناهج النيرة والمحاج الواضحة، وأقمت عند المحجّة كاملة... وحجّوا مكّة، وهم حجاج وفلان تحجّجه الرفاق أي تقصده... ومن المجاز: بدا حجاج الشمس، كما يقال حاجبها... ومزّوا بحجاجي الجبل، وهما جانباه...» (2)

فعلى هذا يعني أن الحجاج النزاع و الخصومة بواسطة الأدلة والبراهين الكلامية والحجج العقلية، فيكون مرادفها الجدل؛ لأنه يجمع بين معنيي اللفظين المخاصمة والمنازعة مع «أنّ فعل حاج لا يستعمل غالباً إلا في معنى المخاصمة... والأغرب أنه يفيد الخصام بباطل» (3)

1 - معجم العين، أحمد خليل الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، دار الرشيد، بغداد 1980م، مادة (ح ج ج) .

2 - أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1، 1426-1427هـ، 2006م مادة (ح ج ج) ص113.

3 - التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور، ج1، ط2 الدار التونسية للنشر، تونس 1984، ص32.

و أصل الحجج الخصومة والنزاع وهما لا يستلزمان العداوة؛ « بل مدارهما على الاختلاف مع الطرف الآخر لأن ظروف المنازعة ودواعي الصراع يقتضيان تصلبا في الرأي مما يدفع إلى إقحام كل ما يملكه من الدلائل لكي يفحم به الخصم »⁽¹⁾

ويرجع أبو بكر الرازي مفهوم الحجج إلى القصد، وغلبة الخصم بالحجة والبرهان؛ فيقول:

« الحج في الأصل القصد (...) والحجة والبرهان، وحاجه فحجه من باب رد، أي غلبه الحجة... ورجل محجاج بالكسر أي الجدل، التحاج التخاصم والمحنة بفتحيتين: جاد الطريق»⁽²⁾

بينما نجد أبا هلال العسكري يفرق بين "الحجة" و"الدلالة" و"البرهان" قائلا: « الحجة هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم من رد الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من الحجة وهي الطريق المستقيم، وهذا هو فعله المستدل وليس من الدلالة في شيء. وتأثير البرهان فيها، إنما تنفصل الحجة من البرهان؛ لأن الحجة مشتقة من معنى استقام قصده»⁽³⁾.

وتتفرع من مادة (ح ج ح) معاني جزئية ثلاثة: "المعنى الأول: « المحاج هو صاحب الغلبة (الغالب) والثاني: المحجوج (المغلوب)، والثالث: المحجج التي يتبادلها المتخاصمان.»⁽⁴⁾

¹ - معاني ألفاظ الحجج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة السور السبع الطوال أنموذجا، سعيد فاهم، دراسة دلالية معجمية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية بالجزائر جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب و اللغات 2012. ص14.

² - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، عني بترتيبه محمود خاطر بك، در الفكر للطباعة و النشر و التوزيع طبعة 1401-1981. مادة حاجج.

³ - الفروق اللغوية، أبو الهلال العسكري، ضبط وتحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتاب العلمية الطبعة الأولى بيروت 1401-1981، ص74

⁴ - معاني ألفاظ الحجج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة السور السبع الطوال أنموذجا سعيد فاهم، ص14.

قال عز وجل: ﴿الَّذِي تَرَى إِلَى اللَّهِ كَفًا أَسْتَوَىٰ لِحُكْمِهِ وَيَلْمِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْغُلُوبِ وَإِلَى اللَّهِ تُجْرَبُونَ﴾ (1) قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِيهِ وَأُمِيتُ ^ط قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ
الْمَشْرِيقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٨﴾ (1)

حيث دلّ الفعل حاج على دخول إبراهيم والنمرود في خصام وجدال، وفي تفسير هذه

الآية الكريمة «حاج» أي «جادل» (2)

ب- الحجاج اصطلاحاً:

ويقول أبو الوليد الباجي (474هـ) عن الحجاج أنه «من أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأنًا؛ لأنه
السييل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح من وضع الجدل لما قامت حجة
ولا اتضحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم» (3)، وهذا ما يبيّن أهمية
الدراسة الحجاجية .

فالحجاج تقنية يقوم المتكلم بها ليوضح موقفه ويعلله أما مخاطبه إنّه «إجراء يسلكه الفرد أو
المجموعة لدفع المستمع إلى تبني موقف اعتماداً على إثباتات أو حجج» (4) ولا تقوم الحجة إلا
تقوم الحجة إلا بالسبب والعلّة والإثبات.

والحجة «ما دل به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد» (5) فأساس الحجاج
الارتكاز على دليل معين قصد إثبات قضية وبالتالي بناء موقف معين وقد بحث الغزالي في مفهوم

1 - سورة البقرة: 258

2 - تفسير الأماميين الجليلين للقران الكريم، جلال الدين السيوطي، وجمال الدين المحلي: ، حققه ونسّقه الشيخ محمد
الصادق القمحاوي، مكتبة رحاب، الجزائر، ص37.

3 - المنهاج في الترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي ، تح، عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، ط2 المغرب 1987،
ص08.

4 - النظرية الحجاجية، محمد طروس، من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1
، 1426 هـ / 2005 م، ص08.

5 - المرجع نفسه، ص 09

السببية وربطها بالعلة و التعليل، ورأى أنّ أصل اشتقاق السبب «من الطريق ومن الحبل الذي ينزع به الماء من البئر، وحدّه ما يحصل شيء عنده إلا به، فالوصول بالسير لا بالطريق ولكن لا بد من الطريق ونزع الماء بالاستسقاء لا بالحبل» (1)

وتحدّث "طه عبد الرحمن" عن الحجاج في قوله: «الحجاج كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها» (2)، فالحجاج يتعدى المعرفة المبسطة فيما نطق به المتكلم لتتعلق بما يقتضيه المنطوق أي ما هو متضمن فيه.

ويرى طه عبد الرحمن أنّ للحجة وجهين تختص بهما «يتمثل الأول في إفادة الرجوع أو القصد إنّ الحجة من فعل حج الذي يعني رجوع، فتكون الحجة أمرا ترجع إليه أو تقصده إلا لحاجتنا إلى العمل به... والثاني يتمثل في إفادة الغلبة ذلك أن الفعل حج يدل أيضا على معنى غلب فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحجة» (3)، فركز بذلك على المعنى اللغوي للحجاج المتمثل في القصد والغلبة بالحجة.

ج- مفهوم الحجاج عند الغرب:

تُرجم مصطلح Argumentation في الدراسات اللسانية الحديثة بالحجاج الذي يقصد به «سلسلة من الحجج تتجه نحو نفس النتيجة» (4)، وهذه الحجج الموجهة لإثبات موقف أو دحضه. ونجد إعتقاد الحجاج في الدراسات التداولية، في سنوات الثمانين من القرن العشرين، فجمع "غرايز" (jean-Blaise Grize) بين المنطق والحجاج، محاولا إنشاء منطقا خاصا بالخطاب

1 - المستصفي، الغزالي ضمن كتاب مفهوم السببية عند الغزالي أبو يعرب المرزوقي، دار أبو سلامة للطباعة تونس ج1 ط1. د. ت، ص200.

2 - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998. ص226.

3 - المرجع السابق، ص137.

4 - النظرية الحجاجية، محمد طروش، ص08.

وذلك بالاعتماد على الاختلافات التكوينية بين اللّغة والمنطق الرياضي، من خلال نمذجة العمليات الخطابية المنطقية، أمّا "ديكرو" ، "Ducrot"، فيفرق بين معنيين للفظ الحجاج Argumentation المعنى العادي والمعنى الفني أو الاصطلاحي⁽¹⁾، ويعني الحجاج بمعناه العادي، طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السّامع، فيكون الخطاب بذلك ناجعا وفعالاً، وهذا معيار أول لتحقيق السّمة الحجاجية، غير أنّه ليس معياراً كافياً إذ يجب ألاّ تحمل طبيعة السّامع المستهدف. أمّا الحجاج بالمعنى، فيدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللّسان، ضمن المحتويات الدلالية. والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية (scalaire) أو قابلة للقياس بالدرجات أي أن تكون واصلة بين سلام. فالسّلم الحجاجي والتوجيه الحجاجي يختصان إذن بالعلاقة الحجاجية، سواء أحددت هذه العلاقة لسانياً أم اندرجت تداولياً.⁽²⁾

. وبعبارة أخرى فإنّ دراسة الحجاج أخذت تهتم بإستراتيجية الخطاب الهادف إلى استمالة استناد إلى أنماط الاستدلال الصّورية، وذلك بغاية إحداث تأثير في المخاطب بالوسائل اللّسانية والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول من أجل توجيه خطابه والوصول إلى بعض الأهداف الحجاجية.⁽³⁾

و تريد نظرية الحجاج تبيان أنّ اللّغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في البنية الأقوال نفسها. وبهذه الزاوية يصبح الحجاج بعدا

¹ - ينظر التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر سورية - دمشق - ط1، 2008م ص21.

² - السابق، ص21

³ - ينظر: "عندما نتواصل نغير" مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2006، ص67.

جوهرها في اللغة ذاتها، مما ينتج عن ذلك أنه حيثما وجد خطاب العقل واللغة، فإنّ ثمة إستراتيجية معينة نعمل عليها لغويا وعقليا إما لإقناع غيرنا، وهذه إستراتيجية هي الحجاج ذاته.⁽¹⁾

وقد يعتمد الخطاب الحجاجي على التفسير، ويشترط فيه عدم تبني موقف وتوضيح مختلف المواقف المتخذة، ويتخذ موقف الحياد، ثم تبرير اتخاذ موقف ما بعد ضمان صحّة موقفه وأن يقدم في الآن نفسه المخاطب وسائل للحكم عليه لأنّه ينبغي لهذا الأخير بدوره أن يكون قادراً إمّا على إقناع بالموقف المتخذ أو دحضه ، والتفسير هو «إظهار دلالات النص بما تقتضيه ألفاظها دون وجود عوامل تخفيفها عن المفسر بذلك يظهر المعنى المباشر»⁽²⁾.

يعتبر ديكور Ducrot الحجة عنصرا دلاليا يخدم عنصرا دلاليا آخر، قد يكون ظاهرا أو مضمرا فالحجة هي الدليل لعدم الإثبات.

4-4 المباحث البلاغية و النحوية للتداولية في الدرس العربي القديم :

1-4-4 المبحث البلاغي :

تعد البلاغة من أهم العلوم المكتملة للدرس اللغوي التداولي كونها تتناول كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارستها دون أن تستني أي شيء له علاقة بالتواصل، هي تبرز العلاقات التداولية في اللغة، لأنها تهتم بدراسة التعبير على مختلف مستوياته: اللفظة ، التركيبية والدلالة والعلاقات القائمة بينها.

¹ - الحجاج والاستدلال الحجاجي ، حبيب أعراب، مجلة علم الفكر .العدد1. المجلد 30. ص 67.

² - اللسانيات المجال و الوظيفة والمنهج، سمير شريف، علم الكتب الكويت ، جدار للكتاب العالمي ، /1425هـ ط2
2008م /1429هـ ص714.

فإذا كانت التداولية هي دراسة مناحي الكلام ودراسة اللّغة في الاستعمال، فإنّ البلاغة هي المعرفة باللّغة أثناء استعمالها وبكلمة هي : «فن القول»⁽¹⁾

فهي ترتبط بالدّوق، وكيف يمكن للمتكلم أن يعدّل من موقف سامعه. وكما أنّها تشمل الأداء الفعلي للّغة إلى حد لم يتم التفريق بينهما وبين التداولية عند بعض الدارسين الحديثين ؛ يرى ليتش "leitch": "أنّ التداولية بلاغة وأنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع".⁽²⁾

ونجد كذلك محمد العمري لا يميز هو الآخر بينهما؛ ويقول حديثا يُعاد الإعتبار إلى البلاغة العربية في الدراسات السميائية تحت عنوان جديد: "التداولية".⁽³⁾

حتى أن من الباحثين من يقول: «البلاغة التداولية، التي تقف مهمتها على مطالبة المتكلم بأن يعي مقامات مخاطبيه ومستوياتهم المختلفة»⁽⁴⁾.

كما أن البلاغة تعد لسانيات ذهنية عامة، بوصفها تأملا في لّغة الفكر⁽⁵⁾

من أجل وصول المعاني إلى المخاطبين، كما هي في نفوس المتكلمين بحسب اختلاف أحوالهم ومقاماتهم، يقول أبو هلال العسكري حول دلالة (بلغ) لغويا وأصل استخدامها: «البلاغة من

1 - بلاغة الخطاب وعلوم النّص، أدبيات، صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية لونا جمان، إشراف محمود مكّي علي . ط 1 1996. ص123.

2 - انفسه، ص124.

3 - البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها. محمد العمري، إفريقيا، الشرق و المغرب، د ط، 1999، ص214.

2- ينظر مفهوم الحجاج عند بيرلمان في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد الأمين "مقال" مجلة عالم الفكر، العدد 4، ص62،

5- ينظر المرجع نفسه، ص 54

قولهم بلغت الغاية : إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري الشيء : منتهاهوسميت البلاغة بلاغة، لأنها تنهي المعنى الى قلب السّامع فيفهمه « (1)

فالمتكلم في إنشائه للمعنى يعتد بشكل المعاني، ونوع المخاطب وحال الخطاب ومقامه، وهي شروط إحراز المنفعة ، وهي بهذا تختلف عما تعرضه اللّسانيات التداولية .

وما يمكن ذكره أن هناك قواسم مشتركة بين البلاغة العربية واللّسانيات التداولية :

* تداولية المتكلم في البلاغة العربية

* تداولية الخطاب في البلاغة العربية

* تداولية المخاطب في البلاغة العربية (2)

أ- تداولية المتكلم : يجد المتكلم وحده المقاصد ودلالاتها لأنه هو المنتج للخطاب ففي الدرس العربي يعتمد على العناصر المسهمة في إنتاج الدلالة ،وعلى دراية بأحوال السامعين، «كمعرفة اللغة مما تداول استعماله» (3)

فالدلالة ترتبط ارتباطا وثيقا بحال المتكلم فالحال التي يكون عليها المتكلم أثناء أداء الخطاب جزء من تشكيل الدلالة العامّة للخطاب.

1- ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي ، محمد العمري ، ص14

- ينظر في اللّسانيات التداولية ، خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة ، الجزائر، ط1 ، 2009م ، ص.222

3 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ، تحقيق محمد محي الدين ، المكتبة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان 1990 ، ج1، ص37

ولا يستقيم دور المتكلم إلا بوجود السامع الذي يشارك المتكلم ضمناً يقول الصّاحي: « في باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل والفهم من السّامع»⁽¹⁾.

ويعدّ القصد أساس عملية التواصل والإبلاغ واحد الأسس التي يقوم عليها الاتجاه المقامي في دراسة اللغة عند العرب يقول ابن فارس: « فأما المعنى هو القصد»⁽²⁾

ونجد الصورة نفسها عند الدارسين المحدثين والتي تنطوي على قصد المتكلم يقول المسدي: «إنّ العلامة تنطوي على القصد إذ يقتضي دستورها الدلالي توفر النية و إبلاغ ما تفيده»⁽³⁾

ويمكن للمتكلم العدول عن الخطاب المباشر إلى خطاب آخر وهذا قصد من المتكلم أن يلفت انتباه مخاطبه إلى ظروف الخطاب ودواعيه، وفي باب الالتفات، ذكر السكاكي معينين يرتبطان بالمتكلم، الأول حالته النفسية، حين ربط بين الالتفات في اللغة وبين تغير الحالة المزاجية⁽⁴⁾.

ب - تداولية المخاطب :

يعد السامع جوهر العملية الإبلاغية كونه هو من ينشأ من أجله الخطاب، فمراعاة المتكلم مقام الخطاب وأحوال السامع يهدف من وراء ذلك كله إلى استحضر السامع، فالخطاب يكون في كثير من الأحيان حسب ما يريده السامع لا المتكلم، ويعد هذا من سيمات اللسانيات التداولية الحديثة .

¹ - الصّاحي في فقه اللّغة ، ابن فارس، ص179

² - نفسه، ص 219

³ - اللّسانيات وأسسها المعرفية ، عبد السلام المسدي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر أوت 1986، ص62 .

⁴ - ينظر مفتاح العلوم ، السّكاكي ، علق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط2، 1987 م، ص113

ولعل أهم ما يميز الاهتمام بالسّامع ما ذكره في البلاغة العربية حديث المبرد إلى المتفلسف الكندي في اختلاف دلالة عبارة عبد الله قائم⁽¹⁾ والتي أشرنا إليها في مدخل بحثنا هذا.

ومن القضايا التي لها صلة بالسامع ودرجة وعيّه بالخطاب ودواعيه مايلي :

ب-1- الحذف :

وهو « حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه »⁽²⁾

ومن شروطه أن يكون بما يمكن للسامع فهمه وهذا تحدث عنه البلاغيون والنحاة ،وهي قضية مرتبطة بمدى حضور السّامع في العملية الإبلاغية، ومعرفته بمواطن الحذف أو القرائن الدالة على المحذوفات نحو شروط ابن الجني لحذف الصفة ، حيث اشترط له دليلا من اللفظ أو من الحال، وإلا لا يجوز حذفها⁽³⁾

وللحذف قواعد عظيمة ، فتترك المتكلم الذكر الذي أفصح من الذكر والصمت عند الإفادة أزيد لها: يقول الجرجاني بشأن ذلك :« هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ ،عجيب الأمر ،شبيه بالسحر ،فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عند الإفادة أزيد للإفادة وتجذك انطق ما تكون إذا لم تنطق و أتم بيانا إذا لم تُبْن»⁽⁴⁾

¹ - ينظر ، المرجع السابق، ص170-171

² - العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق، حققه وفصله ، وعلّق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، ط5، ج1، 1981م ص251

³ - الخصائص ، ابن الجني ، تحقيق عبد الحكيم بن محمد المكتبة التوفيقية ، 1418هـ، ج1، ص247

⁴ - دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص146 .

ويقول الزركشي : « ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللَّفْظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد، خلص للمذكور»⁽¹⁾

وهذا الأمر يقف على حال السّامع وهو يتلقى الخطاب المتسم بالحذف حيث يعمل الذهن في بحث المحذوف ويقف على أسراره حين لا يجده مذكورا فيكون الحذف ذا ارتباط وثيق بمفهوم الافتراض المسبق الذي هو أحد مجالات اللسانيات التداولية الحديثة ويهتم بدراسة المعارف المشتركة بين المتكلم والسامع.

ب- 2- الالتفات :

كما أن للالتفات أثر على السّامع، فهو يحفل بكثير من القيم التداولية لدى المخاطب ويؤثر فيه فهو من البديع ومحاسن الكلام وهو مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله.⁽²⁾

فتنوع أساليب الخطاب لدى السّامع إذ يأخذ به من نشاط إلى آخر، يقول الزمخشري: « إن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن في الكلام ، والانتقال من أسلوب، تطرية لنشاط السّامع ، و إيقاضا للإصغاء إليه»⁽³⁾

ج- تداولية الخطاب أو النص:

يمكن تحديد مفهوم الخطاب من خلال ما تطرق إليه الزمخشري وهو يفسر قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا

مُلْكَهُ وَوَعَّاتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾⁴

¹ - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجليل بيروت، لبنان، ج3، 1988م، ص104.

² - ينظر: المثل الستائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة للطباعة والنشر، بيروت لبنان 1990، ج1، ص3

³ - السابق، ص3

⁴ - سورة ص الآية: 20

و من الكلام الملخص ، وملخصه : «أن لا يخطئ صاحبه مزان الفصل والوصل وكذلك مزان العطف وتركه الإضمار والإظهار والحذف والتكرار -وفصل الخطاب : الفاصل من الخطاب، الذي يفصل بين الصحيح والفساد والحق والباطل والصواب والخطأ»⁽¹⁾ ويمثل مصطلح الخطاب خلاصة ما تطور إليه استخدام مصطلح الجملة ومصطلح النص بعدها. ويجب الإشارة هنا إلى إن الخطاب يكون بحسب مقتضى الحال ، حتى تحصل الفائدة ، ومفهوم الحال يشمل مجموعة الاعتبارات والظروف والملابسات المحيطة بالنشاط اللغوي ، وتؤثر فيه حيث لا تتجلى دلالة الكلام إلا في ظلها⁽²⁾

ولقد اهتمت النصوص العربية بمقتضى الحال فلقد أورد الجاحظ من حديث بشر بن المعتمر: «إتّما مدار الشرف (شرف المعنى) على الصّواب وإحراز المنفعة من موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال .»⁽³⁾

وهنا تتلخص العبارة المشهورة لكل مقام مقال وذلك بمعرفة المتكلم قدر المعاني و يوازنها بقدر السّامعين ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات .⁽⁴⁾

فإذا كان مقتضى الحال كما ذكر الجاحظ هو شرف المعنى فماذا عن علاقة استعمال اللغة بالنحو ، وهل تسهم معرفة أحوال المخاطب وظروف أداء الخطاب بينهم تفضي لصناعة النحو ؟

¹ -الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، الزمخشري دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دت، ج3، ص365 .

² - ينظر كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهاوني، وضح حواشيه أحمد حسين شيخ ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 1991، مج3 ص574.

³ - الجاحظ البيان والتبيين، ج1، ص136

⁴ - ينظر نفسه ، ص138./139

4-4-2- علاقة استعمال اللغة بالنحو العربي:

هناك علاقة وثيقة بين علم النحو واستعمال اللغة لأننا لا يمكن تناول البنية اللغوية دون النظر إلى أحوال الاستعمال المختلفة ، فاللغة هي موضوع النحو تقوم على مفاهيم الاستعمال والتداول، يقول حازم القرطاجني: « لما كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلا على المعنى التي احتاج الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجهم إلى بعضهم على تحصيل المنافع»⁽¹⁾.

فاللغة عبارة عن بني وتراكيب قائمة على الأداء الفعلي، فمعرفة أحوال المتخاطبين وظروف أداء الخطاب بينهم ضرورة لا مفر منها لصناعة النحو، ضمن العناصر الثلاثة المرتبطة بالعملية التواصلية وهي المتكلم والمخاطب والخطاب .

أ- المتكلم: فهو كما حدده أبو الهلال العسكري : « فاعل الكلام » ويسمى كذلك بالنظر للفعل الذي يؤديه والمبني على القصد ، فالعلم بالقصد ضروري لإفادة الكلام وبالتالي تظهر فيه القيمة التداولية للمتكلم .

ب- المخاطب: أما بالنسبة للمخاطب ، فقيمه قائمة في الدرس النحوي ، يقول ابن فارس في باب مراتب الكلام: « أما واضح فالذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب.»⁽²⁾
فوضح الكلام قائم على ما فهم السامع له ، بناء على الأسباب اللغوية التي يعرفها وحقيقة الكلام نفسه مرتبطة «بما سمع وفهم، وذلك قولنا: قام زيد وذهب عمرو»⁽³⁾

فالكلام مرتبط أصلا عند النحاة بالفائدة ، وهذه الأخيرة تتحدد بالسامع دون غيره ، يقول ابن عقيل في شرح الكلام: « اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها... والكلم ما تركب من ثلاث كلمات فأكثر ولم يحسن السكوت عليه ، نحو إن قام زيد «⁽⁴⁾

¹ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني، ص344 .

² - الصاحبي ، ابن فارس، ص74

³ - نفسه، ص81.

⁴ - شرح ابن عقيل على ألفية مالك ومعه كتاب منحة الجليل ، محمد محي الدين عبد الحميد، بتحقيق شرح ابن عقيل ، ط2، ج1، ص14.

وهنا يظهر الاهتمام بالمخاطب الذي يصدر عنه السكوت على أداء المتكلم، فالتداولية تعتمد بيان الكلام .

ج - الخطاب: يمثل الخطاب قيمة كبيرة في الدرس النحوي لما يحتوي من أساليب ذات أغراض ودلالات سامية، ومن أهم مباحث النحو العربي التي اهتمت بتداولية الخطاب:

ج-*. قضية التقديم والتأخير:

فلقد تناول النحاة دواعي تقديم المسند إليه، ومنها أن يتمكن الخبر في ذهن السامع لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه.⁽¹⁾

نحو: الذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من الجماد⁽²⁾

كما تتقدم بعض معمولات الفعل على بعض «لأنّ ذكره أهم والعناية به أتم، فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه»⁽³⁾

وقد يتقدم الجار والمجرور على المفعول به، إذا اجتمع كل من الاهتمام والسبق بالخفة ورعاية الفاصلة في مثال واحد كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنَّ

يَكْفُرُ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾⁽⁴⁾

وذكر أبو سعود أن تقدم الجار والمجرور، "بها" على المفعول به الصريح "قوماً" للإهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر و«لان فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه إلى الإخلال بتجاوب النظم الكريم، أو

الفصل بين الصفة والموصوف.»⁽⁵⁾

- ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، شرح وتعليق، وتنقيح، محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب

¹ اللبناني بيروت، لبنان، ط5، 1980، ص 135

² - نفسه، ص 137

³ - نفسه، ص 13

⁴ - سورة الأنعام الآية 89

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تفسير أبو سعود، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج3،

⁵ 1414هـ/ص 160

كما تحدث النحاة عن الوحدات اللغوية نحو الضمائر ، أسماء الإشارة والظروف الزمانية والمكانية ، وزمن الفعل وغيرها من الوحدات التي تتحدد مدلولاتها التداولية .

ونذكر في هذا الباب ما قدمه سيبويه في نظرتة إلى المعنى وعلاقته بالبنية إلى جانب ربط ذلك بمدى صحته في الاستعمال ومطابقة للكلام الواقع ، حيث جعل المعنى في العربية خمسة أقسام :

* مستقيم حسن : أتيتك أمس ، سأتيك غدا

* محال : أتيتك غدا، و سأتيك أمس

* مستقيم كذب : حملت الجبل ، شربت ماء الجبل

* مستقيم قبيح : قد زيدا رأيت

* محال كذب : سوف أشرب ماء البحر أمس⁽¹⁾

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول أنّ التّيار التداولي يهدف إلى دراسة علاقة النّشاط اللغوي بمستعمليه، وكيفية استخدام العلامات التي ينجز ضمنها الخطاب ، وكذلك البحث عن العوامل المساعدة على إنجاح العملية التواصلية، كما أنّه لم يعد التيار البنوي والتوليدي يسيطران على ساحة الدراسات اللّسانية في ظل ظهور هذا التيار الجديد، وتساؤلات التي تطرحها الأبحاث في مجال التواصل والمتعلقة بوضوح الصورة المكتوبة أو الشفوية وكيف يستقبل المتلقي المعلومة؟ وهل يستطيع السّامع فك رموز الرسالة وتحليلها وتأويلها؟

وفي خضم هذه الأسئلة المطروحة ،وجب على المتلقي الارتقاء بمستواه الثقافي حتى يستطيع غرلة المعلومات فالانتماء الثقافي هو المحدد لمواقفه وردود أفعاله. ⁽²⁾

والارتقاء الثّقافي مبني على التّواصل فما هو إذن؟

¹ - الكتاب، سيبويه، ص25.

² - ينظر الفلسفة والتواصل، عز الدين خطابي ، الرهان والممكن ، مجلة فكر ونقد، العدد 39، ص190.

* لغة : يفيد التّواصل في اللّغة العربية الاقتران والاتصال والصّلة والترابط والجمع والإبلاغ والانتماء والإعلام أما في اللغة الفرنسية فكلمة Communication تعني إقامة علاقة وتراسل وترابط.⁽¹⁾

* اصطلاحا : التّواصل في الاصطلاح يدلّ على عملية نقل الأفكار والتّجارب وتبادل المعارف والمشاعر بين الذوات والأفراد والجماعات، يبنى على الموافقة أو المعارضة الاختلاف ويعرّف "شارل كولي" Charles Cooly التّواصل بأنّه: « الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنّه يتضمن كلّ رموز الدّهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان، ويتضمن أيضا تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات، ونبرة الصّوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون وكل يشمله آخر ما تمّ في الاكتشافات في المكان والزمان». ⁽²⁾

فالتواصل من خلال التعريفين السّابقين مبني على عملية الإبلاغ، والذي يعتمد أساسا على التّلفظ وهو مجال من مجالات التّداولية، والمرتبط بالأفعال الكلامية التي تعد محور الدرس التّداولي⁽³⁾.

¹ - البحوث في اللّسانيات العامّة ، رومان جاكسون، تر علي حاكم وحسن ناظم ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2002م، ص99.

² - اللّسانيات والتّواصل ، عمر وكان، دار إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء - المغرب، ط1 ، 2001، ص65.

³ - ينظر ، التّص والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التّداولي ، فان ديك، تر :عبد القادر قنيني، الدار البيضاء ، المغرب ، 2000، ص125

الفصل الثاني:

أفعال الكلام في ديوان محمد البيد آل خليفة

-أفعال الكلام في الديوان

-صيغ أفعال الكلام في الديوان

-أغراض أفعال الكلام في الديوان

تمهيد:

يتطرق هذا الفصل لدراسة أفعال الكلام في ديوان محمد العيد آل خليفة من حيث خصائصها التركيبية، ووظيفتها التداولية وتناول شروط تحقق الفعل، وغرضه و مطابقته مع الواقع. و هذه القضايا تتضح في أفعال الكلام من خلال أدائها الفعلي في الاستعمال فتسمية أفعال الكلام ذاتها مرتبطة بالفعل (الحدث)، والذي ينجم عن إحداث سلوك ما أو تغيير، ليتم في الأخير الحكم على نجاح الملفوظ (الخطاب) أو إخفاقه.⁽¹⁾

إلا أنّ تحليل البنية اللغوية للتركيب، ودراسة عناصره من حيث رتبته ومكانة كل منها للخطاب وعلاقتها الداخلية والخارجية وارتباطها بالسياق العام مع تحليل المصاحبات اللغوية المتوفرة، يسمح بإيضاح شروط تحقق الأفعال الكلامية.

- تلك هي المهمة التي يتوخاها هذا الفصل إذ يتناول بيان خصائص أفعال الكلام في الديوان - من حيث أنواعها وأهميتها في القصائد، مع دراسة صيغ تركيبها فيما بينها وتحليل الاختلاف والتجانس الموجود فيها، وصولاً إلى تفصيل أغراضها، وبيان العناصر التي تسهم في تحديد غرض الفعل الكلامي، وهذا ما يسميه التداوليون (القوة الإنجازية) في التركيب⁽²⁾، وهو مراد المتكلم - أي أن يكون القول مطابقاً للقصد وإن كان الفعل الإنجازي مباشراً، أما إذا كان العكس ففي الكثير من الأحيان يختلف المعنى المقصود عن التفسير الحرفي الدلالي المنطوق.

1. أفعال الكلام في الديوان:

أقسام أفعال الكلام متعددة، وأهم ما يميزها كونها تقوم على حصول الفعل في الواقع، وكيفية أدائه بُغية إحداث سلوك ما لدى المتلقي أو إصلاحه.

ومن خلال تحليل وفحص تراكيب الديوان وقفت على تمييز بعض الأفعال الكلامية التالية:

¹ - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص 141

² - ينظر نفسه، ص 141

1.1 الأفعال الطلبية

وتشمل كل الأفعال الدالة على الطلب، من دون اشتراط صيغة لها، نحو: خَلَعْتُ، فَقَدْتُ، وغرضها الإنجازي هو حمل المخاطب والتأثير فيه ليفعل شيئاً أو ويخبر عن شيء ومن صيغها في الديوان.

أ- الطلب بصيغة الماضي: نحو قوله

ذكرى وفاتك إحياء لأعمال	من صنع عزمك أم بعث لأجيال
أم نشر صحف جهاد <u>ذدت</u> عن قيم	عليا به ونضال منك ذي بال
يا رائد الشعب للأهداف <u>سرت</u> به	دينا ودنيا بفكر منك جوال
أنت الغني بما خلّدت من مثل	عن مدح قافية أو رفع تمثال
<u>أحييت</u> بالعلم شعباً سيق معظمه	للقبر في كفني جهل وإهمال ¹

- تعدّ الأفعال (ذدت) (سرت) (خلّدت) (أحييت) أفعال طلبية لما فيها من تحقيق إجابة لدى السامع .

- فذذت تعادل: حميت، دافعت.

- خلّدت تعادل: جعلت أشياء خالدة، باقية، دائمة

- أحييت تعادل: استعاد وأخصب

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1992، م، ص 501-502.

- تلزم الأفعال الماضية المذكورة السامع الإلتباع، وكأنّ الشّاعر يطلب من الأجيال أن تسلك نهج محمد البشير الإبراهيمي. فالأبيات من قصيدة بعنوان يا رائد الشعب ألقاها الشّاعر محمد العيد آل الخليفة بنفسه، في حفل الذكرى الأولى لوفاة رائد الثقافة والنّهضة العلميّة محمد بشير الإبراهيمي .

- فالناشئة مطالبة بأن تسلك مسار هذا البطل العظيم الذي ذاد، وخلّد، وأحيى هذا الوطن العزيز. فالغرض الإنجازي من الأفعال حمل المخاطب ليفعل شيئاً، مما فعل العلامة محمّد البشير الإبراهيمي.

-ب. الطلب بصيغة المضارع نحو قوله وفي قصيدة بعنوان: " يا دارُ"

ت1. يا دارُ هل فيك من هاد ليرشدني فإنّي مستريبٌ فيك مُحْتارٌ (1)

وقوله في قصيدة حول "شاعرية الرّصافي":

ت2: جفاك الشّعري (معروف) شيخًا وطبت فتىً به وصلًا وطابا (...)

فقل للشّاعر المزري بعيب ستخلدُ رغم من أزرى وعابا

ومهما لم يُثبِك ذووك فاصبر ستلقى عند خالقك الثّوابا (2)

- فالفعل يرشدني في التركيب الأوّل، يقتضي الحكم على شيء في الواقع الخارجي، و يفيد طلب الإرشاد عن طريق إنسان هادي إلى ذلك إن وُجد، فالشّاعر مختار في هذه الدنيا.

أمّا في (ت2) - فنجد في الأفعال (ستخلد)، (ستلقى)

¹ - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 07.

² - نفسه، ص 33.

- تطابقاً بين حكم الأفعال ودلالاتها، فالشاعر يريد أن يرد على كل من ضرب في شاعرية الرّصافي، حيث تعرض هذا الأخير إلى كلمة جارحة نشرت في صحيفة بغداد العراقية مفادها :

« ما سمعنا بشاعر مات قبل أن يموت إلاّ الأستاذ الرّصافي » (1)

والشاعر محمد العيد آل الخليفة، عند استعماله للأفعال المضارعة السابقة يريد أن يطلب من الشاعر معروف الرصافي أن يبقى ثابتاً، صامداً، صابراً ولا يكثر بما يقال في الصحف.

ج- الطلب بصفة الخبر نحو قوله: قصيدته بعنوان "يا نفس"

فلا تحقري صوتي الرقيق فإنّه من الشعب كالسلك الرقيق المكهرب

ولا تحقري ضعفي وليني ففيهما رضى الله لا في قوتي وتصلبي(2)

- يمكن للتركيبين الخبريين: - (فإنّه من الشعب كالسلك الرقيق المكهرب)

- (ففيهما رضى الله لا في قوتي وتصلبي)

أن يؤدي غرضاً طلبياً بالنظر إلى السياق العام والأساليب الإنشائية المصاحبة له في البيتين، فكأن يقصد الشاعر مثلاً بقوله "فإنّه (يا نفس) من الشعب كالسلك...."

" ففيهما (يا نفس) رضى الله....."

- فبذلك يكون التركيب الخبري كاملاً خروجاً عن الصيغة الإخبارية إلى صيغة أخرى إنشائية طلبية بالنظر للفعل الكلامي المنجز استناداً للوظيفة التداولية للبيتين.

¹ - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 33.

² - نفسه ، ص 290.

2.1 الأفعال الإيقاعية:

- ويقصد بالإيقاعية التي تحدد دلالتها بمجرد للنطق بها⁽¹⁾، حيث يكون إيقاع فيها موحيا بالدلالة المقصودة في الوجود التي تنسب إلى المتكلم، وفق زمن الحاضر أو المستقبل نحو (الوصية)، الدعاء، الرجاء، الإقرار، الشكر، التحية، القسم... وغيرها، ومن الشواهد التي حفل بها الديوان.

أ- الدعاء والرجاء، نحو قوله:

- ت 1:

إلاهي إننا بحماك لذنا	وعدنا من جناية كل جاني
لقد آتيتنا التحرير حكما	فألهمنا الحفاظ على الكيان
بدأنا الأمر باسمك واختمنا	فجد بالعون واختم بالأمان ⁽²⁾

ت 2:

غفرانك اللهم إنا أمّة	رزحى يحملها الهوى أحمالها
ناءت بها أغلالها فتقاعست	عن واجباتك فاكفها أغلالها
فارفق بأمة مصطفاك محمّد	واجعل إلى كنف السلام مآلها ⁽³⁾

ت 3: (عبد الحميد) رعاك الله من بطل ماضي الشكيمة لا يلويك تهويل

¹ - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص 144

² - الديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 04

³ - نفسه، ص 72.

دمغت أقوال آشيل^{1*} كما دمغت أبطال أبرهة الطير الأبابيل (...)

عليك مني وإن قصرت في كلمي تحية ملؤها بشر وتهليل²

ت:4:

يا رب من كان في الإسلام مبتدعا منا فوقه للإقلاع والندم

أولا فعاجله واكف الشعب فتنته بما تشاء من الآيات والنقم³

تشارك أفعال هذه التراكيب في غرض واحد وهو الدعاء، ويعدّ محصولها الدلالي في كل بيت، ولقد وردت بصيغ الدعاء الصريحة مثل (إلهي - غفرانك اللهم، رعاك الله، يا رب، اكف). ولقد توفرت شروط الأفعال الإيقاعية من نسبتها إلى المتكلم مفردا أو جماعة كما توفرت نية القصد والإبلاغ والدالتان على زمن الحاضر والمستقبل.

ب- أفعال الشكر، نحو قوله:

ت:1: شكراً لمن أولى الضحايا منة من ترضى مد يدا لها فأطالها

شكراً لكل مكفّن أمواتها شكراً لكل مكفل أطفالها

شكراً لمن آوى اليتامى اعنى بحياتها فاسترجع آمالها

شكراً لمن أسدى إلى الجرحى يدا بالمسعفات فأدركت أبلالها⁴

ت:2: وشكراً على شكر ليسبق بالندى وآل سعود كلهم لهم السبق

¹ * - أحد الاستعماريين الغلاة في الجزائر.

² - الديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 86.

³ - نفسه، ص 103.

⁴ - نفسه، ص 71.

خلائف أبطال وأعقاب ذادت زكى الفرع منهم مثلما قد زكى العرق⁽¹⁾

ت3: شكرت لكم يا زُفقة العلم وصلة أعدتم بما معنى السّرور إلى قلبي

فدوموا بها مستعصمين أعزة وعودوا برضوان وفضل من الرب.⁽²⁾

لم يَرِدْ فعل الشُّكر في التركيب الأوّل والثاني بالصيغة الصريحة للفعل "أشكر" ولكن بالمفعول المطلق المتكرر في أربعة أبيات، ومرتين في البيت الثاني من التركيب صدرًا وعجزًا، وفي ذلك دلالة على تثبيت المعنى ومنحه ديمومة حصوله، واستمراره، دون أن يجرّد معنى الحصول والحدوث الذي يقتضيه الفعل الكلامي.

أما التركيب الثالث يشتمل على الصيغة الصريحة الموجودة في الفعل "شكر" على إيقاع زمن الماضي.

ج- أفعال التّحية:

- يقول الشاعر محمد العيد آل خليفة في قصيدته بعنوان؛ تهنئة الجيش وتحية العَلَم:

ت1: ويا علمي إني أرى بك عامي بدا بعدما أخفته عني يد الستر

فأنت حياتي وأنت روحي وراحي وريحاني ويسري وعسر

أحييك من قلبي بما أنت أهله تحية عذريّ الهوى صادق العذر⁽³⁾

و يقول في قصيدة بعنوان "إمام داع وشباب واع":

ت2: حيي الإمام النّيْفريّ وقل له بشرى لنا بك من إمام داعي (...)

¹ - السابق، ص448.

² - نفسه، ص249.

³ - نفسه، ص433.

إنّ الجزائر بوأتك مكانة مرموقة لندائك السّماع.⁽¹⁾

ويقول في قصيدته الرائعة بعنوان "كلمة شكر" لهيئة اتحاد الكتاب الجزائريين:

ت3: أيّها الوفد مرحباً بك فانزل بفؤادي قبل الحلول بوكري

حيّ محروسة الجزائر عني إنّها للنّضال أقدم تغر⁽²⁾

وفي مطلع قصيدة بعنوان " الثورة العظمى كسبنا نصرها" يقول:

ت4: قف بي نحيّ معاشر الأعلام بتحيّة كالعارض البسام

ونوفهم شكراً وتمجيداً لما بذلوه في التّعليم من إسهام⁽³⁾

ورد في التراكيب "الفعل حيّ" بصيغة الأمر و بصيغة المضارع نُحي، و أحيي و تتعدّد دلالة هذا الفعل مباشرة عند النطق به موحياً بدلالة المقصودة ففي التركيب الأول يشيرُ الشّاعر إلى تحية العَلم من أعماق قلبه معبراً عن صدقه باستعمال الفعل (أحييك)

وفي التركيب الثاني استعمل الفعل (حيّ) والذي أشاد بالعالم الواعظ الشّيخ محمد الصالح النيفري إمام بجامع سيدي الكتاني بقسنطينة مشيداً بأعماله الجليلة.

- وفي التركيب الثالث- استعمل الفعل (حيّ) أمراً بأن تقدّم التّحية للجزائر المحروسة بعد تسلمه الجائزة الأولى لاتحاد الكتاب الجزائريين.

- فاستعمل الفعل (نحي) في صيغة المضارع ، إنّما قصد به الشّاعر التّأثير في السّامع وجرّه إلى الأخذ بمسيرة هؤلاء الأعلام.

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 545.

² - نفسه، ص 549.

³ - نفسه، ص 238.

د- أفعال الرأي:

ت1: يا معشر الطلاب هذا عهدكم فاسعوا لكسب المجد سعي عظام

هذا زمان الكشف عن سرّ الحجي ومـ جاله للطّالب الغنّام

إني أرى فيكم مخاييل فطنة كالبرق تومض من خلال غمام

وأرى دراستكم دراسة خيرة ودراية ورعاية ونظام

وأرى بدايتكم بها في يومكم تومي إلى غدكم بخير ختام⁽¹⁾

- استعمل الشاعر الفعل "أرى" الدال على الرأي والذي يعبر عن هذا الغرض بصورة مباشرة، وهو يحمل زمن المضارع والمعبر عن حصول الفعل في الواقع، وصولاً إلى إحداث سلوك لدى المتلقي أو تعديله، فحديثه لمعشر الطلاب كان من أجل إبداء الرأي:

- رؤيته لتوفر الشباب على مخاييل الفطنة

- رؤيته للدراسة دراسة خيرة، ودراية، ورعاية و نظام

- رؤيته المتعلقة بالخير .

ه- أفعال القسم، نحو قوله:

ت1: إنَّ التَّعْلُقَ بِالرَّسُولِ ودينه بي أليقُ

قسماً برّبك إنني من غيره لا أفرق⁽²⁾

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 240.

² - نفسه ص 74.

- لقد أقرّ الشاعر تعلقه الشديد بالرّسول صلى الله عليه وسلم مستعملاً الفعل الدّال على القسم ولكن بطريقة غير مباشرة، ويظهر ذلك من خلال استعمال المفعول المطلق قسمًا.

وهذا الاستعمال يمكن أن يحدث سلوكًا لدى المتلقي بغية الإبلاغ و الإقناع.

3- الأفعال الإخبارية:

يضم هذا القسم كل الأفعال التي تصف الوقائع والأحداث وغرضها الإنجازي هو أن تنقل هذه الوقائع بأمانة، و بتوفر القصد في الإبلاغ

أ- أفعال الإخبار عن واقع الماضي، نحو قوله:

ت1: كان عبد الحميد رائد برّ طيّب القلب راحمًا للأنام

عاش وقفاً على الجزائر والإسـ لام يرعاهم في الذّمّام⁽¹⁾

ت2: فقدت تونس في آفاقها كوكباً قطباً وبدراً إضحياناً*⁽²⁾

أين منها الشاذلي المرتضى خزندارُ السّمح كفاً وجناناً

كان بجرا بالقوافي زاخرا طافحا يلفظ دراً وجمانا

كان أشجى بلبل في أيكها أطرب الأنفس بالشدو زمانا⁽³⁾

ت3: لقد كانت الأجداد أسد ضراغماً بها، فهل الأحفاد أسد ضراغم؟⁽⁴⁾

¹ - السابق ، ص 497.

² - نفسه، ص 479 *الأضحيان: المضيء

³ - نفسه، ص 479.

⁴ - نفسه، ص 136.

ت4: قد رأينا الشعوب بالقيد تمنى ثم يُسمي لها الفكاك متاحا

ورأينا السُّجون تعمر بالأسرى وتخلّى فينعمون سراحاً⁽¹⁾

- كل من التراكيب الأربعة تعرض وقائع حاصلة، في زمن الماضي فأبيات التركيب الأوّل مأخوذة من قصيدة بعنوان "عاش وقفاً على الجزائر" ويقصد به الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس مستعرضاً صفاته، وأخلاقه، وإنجازاته، دفاعاً عن الوطن والإسلام، وكلّ هذه الأحداث حصلت وانقضت، فكلامه يعتبر إخبار عن واقع مضى، وفي التركيب الثاني ورد عرض لصفات الشاعر التونسي الشاذلي خزندار كونه: كوكب وبدرٌ وسمحٌ، بحرٌ بالقوافي، أشجى بلبل، ، يُلْفُظ الدر، ولقد وظف الشاعر الفعل الناقص (كان) الدال على الواقع الماضي والذي يؤدي الغرض الإنجازي عند اقترانه في الكلام بمعمولية (هو/ أشجى) - (هو/ بحر)، مع ورود الخبر (أشجى) بصيغة اسم التفضيل (أفعل) مما يزيد من إنجازية الاشتقاق الفعلي للمعنى.

أما التركيب الثالث فتظهر القوّة الإنجازية في الأفعال الإخبارية في استعمال الفعل (كان) المسبوق بقد، التي تفيد التّحقق، كون الوقائع تحققت في الماضي، فالأجداد كانوا أسوداً في الماضي ويتمنى أن يكون جيل اليوم مثلهم.

وفي التركيب الرابع، استعمل الفعل (رأى) الدال على الماضي، وكأنّ الشّاعر يستعرض تجربته في الحياة، فخلص إلى نتيجة مفادها، دوام الحال من المحال فبعد القيد يأتي التّحرير وبعد السّجن يأتي السّراح، فاستعمال الفعل (رأى) له خلفية إنجازية عظيمة و هي معاينة الشّاعر لكفاح شعبه. ورؤيته للسّجون والأغلال.

ب- أفعال الإخبار عن الواقع الحاضر، نحو قوله:

ت1: أحبيك هذا مقام التحية أحبيك بالنفحات الركيّه

¹ - السابق ص 209-210.

أحييك من محفل عبقري تلاقت به الأنفس العبقرية

أناديك للخير خير النّداء وأوصيك بالحق حق الوصية⁽¹⁾

ت2: أأكتّم وجدّي أو أهدئ إحساسي و (ثامن ماي) جرحه ما له آسي

أرى الأرض زادت ظلّمة فوق ظلّمة على أهلها واستوحشت بعد إيناس⁽²⁾

كلا التركيبين يحملان أفعالاً تخبر عن الواقع الحاضر.

فالشاعر في التركيب الأول يجيّ شباب الجزائر في إحدى حفلات "مدرسة الشبيبة" بالجزائر سنة 1922. فهو يريد أن يعيش الحاضر ويستمتع بجوّ الاحتفال، والاعتراف بدور الشبيبة الجزائرية في الكفاح و صون الحق والدفاع عنه.

وفي التركيب الثاني عبّر الشّاعر عن صورة الحاضر باستعمال الفعل أكتّم المقترن بمهزة الاستفهام (أ) ليعبر عن حاضر عاشه وتألّم لأجله وهو مأساة 8 ماي 1945 التي ذهب ضحيتها قرابة خمسة وأربعين ألف شهيد، نادوا بحرية الجزائر، وقتها كان الحلفاء يحتفلون بالانتصار في الحرب العالمية الثانية ويواصل الشاعر في إخباره عن الواقع الحاضر المشؤوم باستعماله للفعل (أرى) ليعبر عن حالة والذي يقتضي الملاحظة والمشاهدة وكيف أنّ الأرض في ذلك اليوم قد ازدادت ظلّمة وغلب عليها الفراق، والوحشة بعدما كانت في أنسٍ من أمرها.

4- الأفعال الإلزامية:

ويعرفها الباحث خليفة بوجادي: « هي الأفعال التي يلتزم بها المتكلم طوعاً بفعل شيء ما للمخاطب في الحاضر أو المستقبل، مستحضراً النية والقصد، العزم على الوفاء بذلك، ومنها،

¹ - الديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 417.

² - نفسه، ص 325-326.

الفصل الثاني أفعال الكلام في ديوان محمد العيد آل خليفة

أفعال الوعد، والمعاهدة، والضمان، والإنذار، على أن يكون تطابقاً بين الفعل والواقع الخارجي». (1)

فيصغ المتكلم أفعاله بناءً على صورتها الخارجية، فإذا وعد بالإخلاص، فينبغي أن يطابق وعده الشروط الخارجية التي يتحقق بها أداء الإخلاص في الواقع، إن تلفظ بذلك، مما يوجب عليه الأداء ومن أشكأها في الديوان، الوعد والمعاهدة:

أ- أفعال الوعد، نحو قوله:

- ت1: ولي مطلب صعب الوسائل موعر فيا ويح نفسي من وسائل مطلبي
سأحملها فيها على الموت ساخرًا من الموت أو ترمي شعار التهيب. (2)
- ت2: كيف أنسى قومي وموطن قومي كيف أنسى عروبي أو ضادي
لست أنسى مفاخري فاطمني وثقي بي في ثورتي يا بلادي! (3)
- ت3: لست لغير الله أرهب سطوة فما كان غير الله عندي بمرهب (4)
- ت4: قسمًا بأرواح الذين استشهدوا بجماك مطعانا إلى مطعان
- لأسخرنَّ لك الجوارح كلَّها ولأخدمنَّك خدمة العُبدان (5)

1- في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص 149

2- الديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 289.

3- نفسه، ص 431

4- نفسه، ص 290

5- السابق، ص 442

- ت5: نحن شعب الفدى (فلسطين) متًا وإلينا والحكم لأزجواني
 قل لمن سامها احتلالا وغصبا سوف تدري بلاءنا في الطعان
 سنوالي الجهود حتى نراها فحمة الحكم ضخمة السلطان
 ولواء الإسلام في كل أرض خافقًا يحمي به الخافقان⁽¹⁾
 ت6: نحن رغم الطغاة في الأرض أحرار وإن خالنا الطغاة عبيدا
 نبتغي السلم والهدوء ونأبى أن يكاد امرؤ لنا أو يكيدا
 حسبنا العدل لا نهئم بأن نثار من حاكم بغى أو نقيدا⁽²⁾

- ت7: سوف تهدي بنورها كل من زاغ أو كفر
 ونباهي بسييرنا تحتها أنجم السحر
 قد حثنا لها الخطا وشحذنا لها الفكر

(...)

حسبنا في جهادنا أنا من جندنا القدر⁽³⁾

نجد في أفعال الوعد الواردة في الأبيات نمطان:

*النمط الأول: الفعل المنسوب إلى المتكلم المفرد: سأحملها، لست أنسى، كيف أنسى،
 لست لغير الله، أحبك، لأسخرن.

¹ - نفسه، ص 271.-273

³ - نفسه، ص 294

⁴ - نفسه، ص 134.

الفصل الثاني أفعال الكلام في ديوان محمد العيد آل خليفة

ففي التركيب الأول: يتحدى الشاعر نفسه إذ يبيّن في الأبيات تحديه للنفس الأمارة بالسوء ويتوعدها حتى تكف عن شعار التّهيب والسيطرة.

- ومن شروط أفعال الإلزامية أن تدلّ على الحاضر أو المستقبل وأن تنسب إلى المتكلم، مثلما هو موجود في التركيب الثاني:

فالشاعر أخذ عهداً على نفسه، أن لا ينسى موطن قومه وعرويته، وفي التركيب الثالث يُقر عهداً، وهو أن لا يخاف، ولا يهرب إلاّ الله.

وفي التركيب الرابع يعلن الشاعر التزامه عبر استعمال المفعول المطلق "قسماً" من باب التأكيد على الفعل (أقسم)، مواصلاً كلامه في نفس السياق مستعملاً الفعل (المضارع المقترب بنون التوكيد الثقيلة ولام التوكيد)، وهو فعل إلزامي يدلّ على الحاضر والمستقبل، ومنسوباً إلى المتكلم المفرد، لأنّه وحده القادر على أداء ما يعد به، وأنّه لا يلفظ الفعل إلا إذا كان في إمكانه إنجازه.

*النمط الثاني: الفعل المنسوب إلى جماعة المتكلمين ويظهر في الأفعال التالية : سنوالي، نبتغي، نأبى، حسبنا، نتأثر، سوف نهدي، نباهي، حسبنا في جهادنا.

ففي التركيب الخامس، نجد الشاعر وظف الفعل المنسوب إلى جماعة المتكلمين؛ في الأبيات المأخوذة من قصيدة بعنوان: "هذه قمة الفتوى" نظمت بمناسبة اختتام السنة الدراسية بالمعهد الإسلامي 1960 فنجد الفعل "سنوالي" يدل على الحاضر والمستقبل، فهو يفيد اشتراك الشاعر مع جماعة المتكلمين، وهو على علم بقدرتهم في رفع راية الإسلام خافقة في سماء الأرض كلّها .

أمّا في التركيب السادس فنجد الأبيات مأخوذة من قصيدة بعنوان: "يا فرنسا" ونشرت في مجلة الشّهاب ج4، في 12 جويلية سنة 1932، وفيها وظف الشاعر أفعالاً منسوبة إل جماعة المتكلمين تحمل دلالة الحاضر والمستقبل، وهو على معرفة تامة بمدى قدرة المتكلمين -وهو منهم-

على إنجازها، ابتغاء السلم، وإحلال العدل مع الثأر من العدو، إفيضاء الشاعر بهذه الأفعال واعداء، لعلمه بتوفير شروط تحقيقها والقدرة على ذلك.

5- الأفعال التعبيرية:

تأتي الأفعال التعبيرية في شكل العبارات التي يعبر بها المتكلم عن مشاعره من رضى وحزن، وغضب وسرور ونجاح وفشل، وقد تتعدى ذلك لتشمل ما يظهر بنية الخطاب مما يحدث للمشاركين في الفعل، ووقعه عليهم، أثناء أفعال التهئة، الاعتذار، الشكوى.⁽¹⁾

أمّا شروط حصول هذه الأفعال فهو الإخلاص في الإبلاغ ومن الأفعال التعبيرية الواردة المرتبطة بالمتكلم وحده.

أ- أفعال الحزن: نحو قوله:

- ت1: أعزّي تركيا في مست خفّ بالردى هازي
- ت2: أحسّ بعدك نفسي في وحشة و اغتراب
- ت3: رمانى بالأسى سهم معادي أصاب بني العروبة في الفؤاد
- (...)

¹ - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص150

² -الديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 470.

³ - نفسه، ص472.

فقد نكبت بكارثة انفجار وعادية تجلّ عن العوادي (1)

تحمل الأفعال التعبيرية (أعزيّ، أحس بعدك، رمانى، نُكيت) في التراكيب السابقة مضامين عاطفية، يغلب عليها الحزن المسيطر على الشاعر، لتعرض علينا جانبًا تداوليًا، يفضي بنا إلى شخصية المتكلم في صورة المصلح محمد العيد آل الخليفة .

ب- أفعال إبداء الحيرة، نحو قوله:

ت1: فظائع (ماي) كذّبت كل مزعم لهم ورمت ما روجوه بإفلاس

(...)

وقفت أجهل الطرف في الأرض باحثا وأضرب أحماسي الجميع بأسداسي(2)

ت2: هي الأرض مهد لشتى العوادي

(...)

أرى الغيّ يفشو بها في ازدياد

خَفِ اللهُ وأرقب ثواب المعاد (3)

ت3: ألسـت ترى نفوس القوم حيرى وتأبى الرّشد من سفه وحمق؟

ألسـت ترى سلوك القوم فـوضى من الإخلال يفقد كل نسق؟ (...)

أرى داء الشقاق بنا تفشى فكيف يكون منه لنا التوقي؟

1- السابق ، ص485.

2- نفسه ، ص326.

3- نفسه ، ص55.

أرى الأنفاس مرهقة بجو كمثل الغاز يوسعها بخنق⁽¹⁾

تسهم أفعال الحيرة في التعريف بشخصية المتكلم (الشاعر) فهي تعدّ في الدرس التداولي من أهم الإشارات الشخصية التي تشير إلى ذات الشاعر ونفسه.

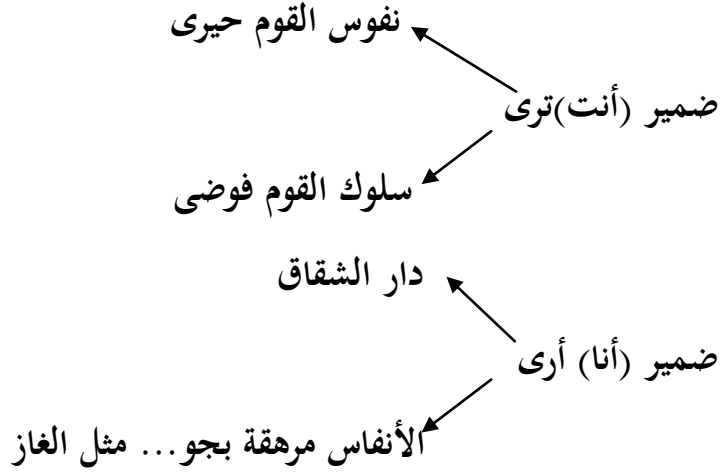
فجده في التعبير الأوّل يبدو حائرًا أمام تلك المجازر التي ارتكبتها الاستعمار الفرنسي العاشم في يوم ثامن ماي 1945م، في كلّ من قلمة و سطيف و خراطة، والتي خلفت في نفس كل جزائري جرحات لا تندمل، والتي عبر عنها بالفظائع التي أظهرت حقيقة المستعمر الخائن اللعين، ليقف الشاعر حائرًا أمام هذه المذبحة ولقد استعمل الشاعر حرف السين المناسب للجو النفساني المطرب والمنفعل.

- أمّا في التعبير الثاني، يتوجه الشاعر في قصيدته بعنوان "يا فؤادي" إلى قلبه شاكيًا ومبديًا حيرته من تحوّل الدنيا فكثر فيها الغيّ وفشا، وفي الأخير يدعو إلى طريق النجاة من هذه الحياة وهو خوف الله، ورجاء توبته.

أمّا في التعبير الثالث: فيعرض صورة فريدة للشاعر الشاكي الحيران، في قصيدة نشرت بمجلة الشهاب (ج5) سنة 1936، من نفوس تأبى الرشد، وتعيش في فوضى وشقاق، حتى أنه شبه أنفسهم المرهقة مثل الغاز الخانق.

وهذا التعبير فيه الكثير من الإلحاح والإقناع، عند استعمال الشاعر أسلوب الاستفهام والفعل الدال على الملاحظة بضميرين مختلفين (أنت/ أنا) ليبين أنّ الأمر فضيع و أصبح ملاحظا لدى الخاص والعام.

¹ - السابق، ص 83-84.



فتعدّد أحوال المتكلم بأسلوب حوارى يؤكد القيمة التداولية التي تركز أساسًا على الإقناع.

ج- أفعال التمني:

ت1: أنت من عنصر الخلود لباب كُن إلى المجد طامحًا يا شباب
(...)

نتمنى لك الثبات على الرّ شد وما أنت عندنا مستراب

نتمنى بالدين أن تتحلى من تحلى بدينه لا يعاب⁽¹⁾

ت2: ألا ليت لها شكول و أعيان ليبدوا ما تكتنوا⁽²⁾

- د- أفعال التحسّر:

ت1: الحزن ملء فؤادي والسّقم ملء إهابي

أوشكت أفقد رشدي من الأسى وصوابي

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 295-260.

² - نفسه، ص 54

وا حسرتي وبلائي ونكبتني وعذابي⁽¹⁾

ت2: إني وقفت عليك وقفة شاعر أرثيك إن أجدى عليك رثاء

متحسراً من التحسر ندبة ومعاتبا ومن العتاب بكاء⁽²⁾

ت3:

ضاقَت الأرض على أحرارها ...*... فغدا الرحب عليهم كشتبانا

فقدوا أندادهم فاسترخصوا ...*... عيشهم واستوحشوا منه عيانا

آه مما حل بالخضراء من ...*... فاجع كل عزيز فيه هـانا⁽³⁾

د- أفعال المدح والندم

ت1: يا حبّذا عين تفور حفت بحافتها الزهور⁽⁴⁾

ت2: أقبح بآمال نفسي وإن تبدت ملاحا⁽⁵⁾

و- أفعال التهنئة والسّور:

ت1: هنيئاً لكم هذا اللقاء فإنّه بشير بما تبنون من راسخ الحبّ

ت2: فكم سرني إقباله واقتباله بيشر على بشر وخصب على خصب

¹- السابق ، ص47.

²- نفسه، ص476.

³- نفسه، ص496

⁴- الديوان، محمد العيد آل خليفة ، ص52

⁵- نفسه، ص46

وكم سرّني حظ الجزائر عندما تناهى إليها سالماً آمن السرب
وكم سرّني جم الشعب حادبٌ عليه كمثل الطير في مورد الشرب⁽¹⁾

-ه- أفعال الشكر:

شكراً لمن أولى الضحايا منّة ترضى ومدّ يداً لها فأطالها
من كلّ جامعة سحت بإغاثة وحكومة أبدت لنا أفضالها⁽²⁾

تتميز الأفعال التعبيرية؛ الحيرة، التمني، التحسر، والتهنئة والسرور والشكر عن الأفعال المعبرة عن الحزن في أنّها تداولياً لا تتعلق بالمتكلم وحده، ولا تعبر عن عواطفه ومشاعره بمفرده، بل تتعدى ذلك لتشمل ما يرتبط بالمخاطبين. فالحيرة والتحسر كلّ منها يكون له تأثير على المخاطب ففي تحسر الشاعر في التعبير الأول على رشيد "بطحوتي"، وهو رجل من رجال الإصلاح المؤمنين به قولاً وعملاً، فلقد أثار على المخاطب بكلامه هذا، بل موته أثار على كل إنسان يجب الخير ويسعى إليه.

وكذلك في تعبيره الثاني: فالبيتين من قصيدة بعنوان: "دمعة منحدره على فتاة منتحرة" فالشاعر أبدى تحسره ليؤثر على المخاطب، وهو ينتظر دائماً مشاركته وتفاعله معه، وإن لم نقل إنّه ينقل لنا حجم الحزن، والفاجعة التي ألمت بوالديها، وبالمجتمع ككل.

- أمّا في التعبير الثالث، فلقد استطاع الشاعر أن يخلق تلك المشاركة الوجدانية التي تربط المتكلم بالسّامع، عندما تحسّر على فقدان الشاعر التونسي الكبير "الشاذلي خزندار"، حتى أنّه عبّر بضيق الأرض لفقدان مثل هؤلاء الرجال، فالشاعر يهدف من خلال كلّ هذا إلى مشاركة المخاطب أو المتلقي في أدائه.

¹ - السابق، ص 248

² - نفسه، ص 71

كما يسعى للتهنئة في التعبير الأول حين هنا الشاعر أعضاء جمعية العلماء المسلمين بمناسبة الاجتماع التأسيسي الأول للجمعية بالعاصمة سنة 1931م، حيث انتقل من تهنئة أعضاء الجمعية وهذا يتطلب حضور المخاطب إلى إبراز السرور، والغبطة نتيجة إقبال الشعب على الجمعية، وعلى عملها المبني على النضج والإرشاد والأخلاق...

- ففي التعبيرين نجد مشاركة المخاطب لأنه طرف ضروري في حصول عملية الإبلاغ. وكذلك بالنسبة للمصدر "شكرًا" فيه تأكيد على وقفة الجزائريين كرجل واحد أمام المصيبة التي حلت بالجزائر يوم زلزال الأصنام، ليؤكد شكره للدول العربية التي أعانت الجزائر على نكبتها.
- ففي أفعال الشكر، كما في أفعال التهنئة و السرور نجد حضور المخاطب ضروري حتى تكتمل الوظيفة التداولية المبنية على تحقق الفعل وغرضه، ومطابقته للواقع.

2. صيغ الأفعال الكلامية في ديوان محمد آل خليفة:

- تتجانس الأفعال الكلامية في ديوان محمد العيد آل خليفة وتختلف نتيجة اتخاذها أشكالاً معينة أثناء تركيبها.

1.2 اختلاف الأفعال الكلامية:

يقع هذا الاختلاف نتيجة تنوع أفعال الكلام بعطف أو غيره،⁽¹⁾ ولغرض تداولي وقيم إبلاغية تتعلق بمداوليها، ولقد تم ورود الأفعال الكلامية في الديوان في نمطين هما: تركيب الخبر على الإنشاء، وتركيب الإنشاء على الخبر.

أ- تركيب الخبر على الإنشاء:

*بناء فعل تعبيرى على آخر طلبى نحو قوله:

¹ - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي: ص 156

ت1: لا تَجْنَحُوا لِعَنْصَرِيَّةٍ إِنَّهَا تفضي إلى التّفريق والإعدام⁽¹⁾

ت2: فدعوا الهوى والعاكفين على الهوى إنّ الهوى صنم من الأصنام⁽²⁾

ونجد في الشّطر الأول نهي صريح "لا تَجْنَحُوا" للنّصح والإرشاد، أمّا في الشّطر الثاني خبر صريح "تُفضي إلى التّفريق" لكنه للنّهي، كأنّ يقول مثلاً: لا تفرقوا، فتعدموا.

و يمثل الانتقال من الفعل الطلبي الذي هو تكليف وأداء فعلي، إلى الفعل التعبيري الذي هو إحالة على شخص المتكلم وموقفه من الخطاب، انتقالاً من موقف كلامي إلى آخر مغاير لكنّه حتمي ودليل على الاقتناع بالطلب والأخذ به، فالعنصرية نتيجتها التّفريق والهلاك، كأنّ المتكلم نقل مخاطبه من الأمر المباشر إلى أمر غير مباشر، وهو من المتفق عليه من الكلام: "إنّها تفضي إلى التّفريق والإعدام"، والأبيات مأخوذ من قصيدة بعنوان "الثورة العظمى كسبنا نصرها"، فالشاعر يريد المحافظة على النصر المحقق عن طريق الوحدة والتكامل لا التشتت والتّفريق.

والتّداولية نفسها نجدها في التركيب الثاني، فقد نقل مخاطبه من الأمر المباشر المتمثل في الفعل الطلبي الصّريح "فدعوا"، إلى الفعل التعبيري الذي سوّغ له إنشاء ذلك، ومن ناحية أخرى، كأنّ دعوة الشّاعر المخاطب تركّ الهوى وحتى العاكفين عليه إشارة صريحة لخطورته، فإنّه بوابة الشّرك المشار إليه في الفعل التعبيري الموجود في الشّطر الثاني، فالشاعر يريد التذكير بأنّ حرب الهوى ليست سهلة، فإنّها تؤدي إلى الشّرك، بل الهوى نفسه شرك، فنجد في الفعل التعبيري دليل على الاقتناع بالفعل الطلبي والأخذ به.

*بناء فعل التزامي على آخر طلبي نحو قوله:

قالوا: متى الأكل إنّ الجوع أحرقتنا قالت إذا منح المعروف من منعا

¹ - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص240

² - نفسه، ص242

قالوا: أين أبونا كيف أهملنا قالت به وقع الأمور الذي وقع (1)

فقد بُني التركيب في الأبيات بطريقة حوارية، في الفعل (قال)، و الأبيات مأخوذة من قصيدة بعنوان: "في ظلال الخير" والتي أُلقيت في حفلة الجمعية الخيرية بالعاصمة سنة 1935م

- فكان التركيب التداولي على النحو الآتي:

* أسلوب خبري (قالوا) + استفهام (متى/الزمان) أسلوب إنشائي / خبر مسوّغ/ فعل تعبيرى= إذا منح المعروف من منعا.

* أسلوب خبري (قالوا) + استفهام (أين/المكان) أسلوب إنشائي / خبر مسوّغ/ فعل تعبيرى= وقع الأمر الذي وقع.

فقد تجاوز الشاعر في هذا التركيب بناء الفعل الإلزامي على آخر طلي بطريقة حوارية دالة على العمل الخيري التي كانت تقوم به الجمعية الخيرية بالعاصمة، لغرض الدعاء والشكر والافتداء وهذا ما نراه في التركيب الموالي:

ب- تركيب الإنشاء على الخبر:

* بناء فعل إيقاعي على آخر تعبيرى:

ت1: يا أيُّها النَّاس أنتم في السُّلالة من أب وأم فكونوا إخوة شرعا

لا تقطعوا لا تخونوا في معائشكم ما أَلَّف الله من أنسابكم ورعى(2)

ت2: إذا نلت من لسانك حظا وافرا فانتفع بكلِّ لسان

1- ديوان محمد العيد آل خليفة، ص256

2- نفسه ، ص 25

لا تكن قانعا وقل ربي زدني منك علما ولا تملّ للستّواني⁽¹⁾

يشارك التركيبان في تنوع الأسلوب بين الإنشاء والخبر، وفي هذا التنوع نقل للمخاطب من حال إلى حال طلباً لإقناعه، وحرصاً على استسلامه في الانتقال من الفعل الإيقاعي (كونوا، لا تقطعوا، لا تخونوا)، إلى الفعل تعبيرى (ألف، ورعى).

وفي التركيب الثاني، انتقل الشاعر من الفعل التعبيري، في صورة جملة شرطية (إذا نلت) إلى مجموعة من الأفعال الإيقاعية الموجودة في جواب الشرط : (فانفع) و(لا تكن) و(قل رب) و(لا تمل)، فهو بذلك يُرسل الخبر في جملة الشرط، والإنشاء في جوابها ليضفي الحركة على السكون السائد في الخطاب وذلك ما يريده المتكلم تماماً، إذ يعتمد إلى تحريك سامعه فيسهل إقناعه و تتضح الدلالة فور النطق بها، وهذا أدعى للتأثير في المخاطب وأجلب إلى إقناعه.

- بناء فعل طلبي على آخر إخباري نحو قوله:

ت1: كوني سماءً إليها الخلق راغبةً وغيثها نازل للخلق مدرارٌ

داوي المريض وربى البنت عاطفة على اليتيم فما في ذاك إنكار

لا زلت كالبيت فيه قبلة وحمى عليك من منن المنان أستار⁽²⁾

فقد عبّر الشاعر بفعل (طلبي) إنشائي، الأمر (كوني)، (داوي)، ثم أردف الأسلوب الخبري (لا زلت) (فعل ماضي ناقص)، وفي ذلك ملمح تداولي بارز، فالأبيات مأخوذة من قصيدة ألقاها الشاعر في افتتاح دار الخيرية سنة 1940م، وفيها يمدح ويقدرّ عمل القائمين عليها، بل شخصها عن طريق النداء ، لأنها حيّة برجالها الأخيار حيث أنشد قائلاً :

¹ - السابق ، ص266

¹ - الديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 258

ت2: يا دار شادك للخيرات أحيارُ فيضي على الناس بالخيرات يا دار

يا حبذا يوم حادي العشر من رجب فإنه بك في الأيام مختار⁽¹⁾

فقد أردف الفعل الإخباري (شادك) على الفعل الطلبي (فيضي) وهنا تظهر تداولية الأفعال المستعملة وغرضها السامي والمبني على الإقناع، والتأثير حتى يستمر هذا العمل الخيري ويدوم وهذا ما دعا إليه في قوله:

ت3 دُمت زاخرة بالبرّ زاهرةً ما فاز بالأجر عند الله أبرارُ⁽²⁾

نجد الشاعر في هذا البيت يؤكد على ضرورة استمرار، هذا العمل الخيري ضمن أسلوب تقريرى لإظهار وظيفة تداولية خالصة، وهي الإقناع والإبلاغ، و هذا ما يدعونا إلى الحديث عن نوع آخر من البناء وهو:

ج- تركيب الخبر على الخبر:

* بناء فعل إلزامي على آخر إخباري، نحو قوله :

وقفت به أستنهض القوم صادعا بإنذارهم والحر بالحق يصدع

أجاذب حبل الشعر حتى يُعيني عليهم وحبل الشعر عاص وطيع⁽³⁾

نجد الشاعر محمد العيد آل خليفة ملتزماً، بما أورده في البيت الثاني، فبعدما ذكر الفعل الإخباري في البيت الأول (وقفت، استنهض) ذكر الفعل إلزامي المبني على الفعل الإخباري (وقفت) فالشاعر ملتزم بقضايا شعبه، ولن يخالفه السامع في ذلك لأنه يستند إلى مواقف مشتركة

¹ - السابق، ص 258

² - نفسه، ص 258

³ - نفسه ، ص 59

بينهما، تجاه الدين و الأخلاق، فالشاعر ملتزم بقضية شعبه الحامل لرسالته، فالأبيات مقتبسة من قصيدة بعنوان: " إذا كان صوت الحق للأذن قارعاً"، ضمن قسم الأخلاقيات والحكميات، لذا فالإلزام واجب خاصة إذا تعلق الأمر بالتربية الأخلاقية .

- بناء فعل إيقاعي على آخر طلي، نحو قوله:

قسماً بأرواح الذين استشهدوا بحماك مطعناً إلى مطعان

لأسخرنّ لك الجوارح كلّها ولأخذ منك خدمة العبدان⁽¹⁾

بنى الشاعر الفعل الإيقاعي المنسوب للمتكلم نفسه، والدال على زمن الحاضر والمستقبل، (قسماً)، أي أقسم بالله قسماً، ثم أردف الفعل الطلي (أسخر) (أخذ)، لغرض إقناع السامع وإخضاعه للأمر الواقع، فالأبيات من قصيدة بعنوان "علم الجزائر"، أظهر فيها قُدسية العلم الوطني، فالأفعال المستعملة في التركيب سواء الإيقاعية أو الطلية كان الهدف منها تحقيق الهدف التداولي عن طريق القصد في الإبلاغ.

د- تركيب الإنشاء على الإنشاء: من أشكاله؛

* بناء فعل تعبري على آخر إخباري:

تساءل الشعب في ضيق وفي حرج هل المساجين من عفو ومن فرح

هل للذين بسجن (الكدية)* اعتقلوا روح من العفو صفو طيب الأرج

قل للولاة دعوا التضييق واقصدوا فزُيماً جرنا التضييق للمرج⁽²⁾

¹ - السابق، ص 442.

* الكدية: اسم السجن المدني، لمدينة قسنطينة، فيه سجن ثلاثة أعضاء الجمعية.

² - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 382

نجد في هذا التركيب بناء الفعل التعبيري في البيت الأوّل، وهو ظاهر في سياق الاستفهام (التساؤل) على الفعل الإخباري (قل، دعوا، اقتصدوا)، والهدف من هذا التركيب وغيره من التراكيب المتضمنة للأفعال الكلامية في ديوان محمد العيد آل خليفة واختلافها، إنّما هو الوصول إلى تلك الهمة البلاغية وإن تعددت الطُرق واختلفت لما لها من ارتباط وثيق بالجانب التداولي .

2.2 تجانس الأفعال الكلامية:

يحدث هذا التجانس عندما يقع التركيب بين فعلين كلاميين أو عدّة أفعال متجانسة بعطف أو غيره⁽¹⁾، عندما يتحدث الشاعر عن فكرة ما، ثم يعقبها بحديث عن أخرى من أجل التوضيح أو التذليل أو إتمام أمرها، عن طريق تركيب الخبر على الخبر والإنشاء على الإنشاء.

أ- تركيب الخبر على الخبر:

* بناء فعل إخباري على آخر مثله.

ت1: لقد جئناك وُرَادًا على آثار وُرَاد

وقمنا في مسيرات وأفراح وأعياد

نُحي خير مولد بدا في خير ميلاد⁽²⁾

ت2: أنت ذكّرتني بمن كان فلگًا سائرًا يمخر المعارف مخرًا

سار في العلم ناشئًا ثم كهلاً ثم شيخًا ثم انتهى واستقر

¹ - ينظر في اللسانيات التداولية ، خليفة بوجادي ص161

² - نفسه، ص75

وقضى تاركاً بنين كراماً وشباباً في العلم يفوه إثر⁽¹⁾

ورد على هذا النمط في الكثير من الصيغ، فنجد الشاعر يبي أفعالاً إخبارية على أخرى مماثلة، ففي التركيب الأول يتحدث في قسم إسلاميات عن ذكرى المولد النبوي الشريف، مستعملاً أفعالاً إخبارية مناسبة لمقام الاحتفال مثل قوله (جنناك، وقمنا، نُحيّ..).

وكذلك في التركيب الثاني فالأبيات مأخوذة من قصيدة بعنوان "إلى صديقي الجيالي" حيث رثى الشاعر فيها الدكتور محمد بن أبي الشَّنب الجزائري سنة 1931م، وهو يجز فيها عن خصال الرّجل، مستعملاً العديد من أفعال الإخبار : (سار)، (انتهى)، (استقر)، (قضى) ، وهذا يدلّ على قيمة هذه الأفعال التداولية في إيصال الفائدة إلى المخاطب، بُعية الإقناع والاقتران بمسيرة الرّجل.

* بناء فعل تعييري على آخر مثله، نحو قوله:

ت1: قف بي نحيّ معاشر الأعلام بتحية كالعارض البسام

ونوفهم شكراً وتمجيداً لما بدلوه في التعلم من إسهام⁽²⁾

فالشاعر هنا بنى الفعل (نحيّ) على الفعل (نوفي) لأنه بصدد التعبير عن مشاعره الجياشة تجاه الثورة العظمى .

- ولم يجد سبيلاً إلى ذلك إلا عن طريق استعار أفعال التّحية والتّهنية (نحي، نوفهم شكراً) .

* بناء فعل إيقاعي على آخر مثله:

وقفت عليكم للتّحية معلنا بشعر مصوغ من فؤادي منصب

¹ - السابق، ص 453

² - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي ص 144

وقلت مفيضا في التّحية مطنبا وما كان إطناب التّحية من دأبي

فشكرت لكم يا رفقة العلم وصلة أعدتم بها معنى السرور إلى قلبي⁽¹⁾

لقد تعددت الأفعال الكلامية وتجانست لتأثير على السّامع فالفعل الإيقاعي (وقفت)، يحيلك إلى الفعل إيقاعي مثله وهو (قلت) ثم إلى الفعل الثالث (شكرت).

وهذا التعدد وظيفته التداولية هي السّيطرة على السّامع، و إلحاح على طلب اهتمامه والحرص على إقناعه والتأثير عليه، مؤدية غرض الشكر والتّهنة والتّحية.

ب- تركيب الإنشاء على الإنشاء: ومن أشكاله بناء فعل طلبي على آخر مثله نحو قوله:

يا عبد ثق بالله يكفيك وخذه يا عبد سله يجبك بالإسراع

واصبر بباب الله نفسك ضارعا يفتحه مصراعا على مصراع

وإليه بالطّاعات كن متوسلا لا بالمنى وكواذب الأطماع

وبآيه المثلى فكن متهجدا لا بالأغاني العذبة الإيقاع⁽²⁾

فالشّاعر بنى كلامه بأفعال طلبية على مثلها من الأفعال، فالطلب ظاهر في الأفعال

(ثق بالله، سله)، (اصبر)، (كن) متوسلا، (كن متهجدا) يعد هذا البناء المتعدد إقرارا

وتأكيدا للخطاب الموجه للمتلقّي ويحرص فيه المتكلم على إيصال الفكرة.

وكذلك في قوله:

ت2: يا أمة يرجو الخصوم هُجوعها من بعد نهضتها احذري أن تهجعي

¹ - السابق، ص 140

² - ينظر في اللّسانيات التداولية، خليفة بوجادي ص 140.

الأمن للأيقاظ فأحذي حذوهم وسعي بجدك كلّ واجبهم سعى⁽¹⁾

استعمل الشّاعر في التركيب الأفعال الكلامية المناسبة، والتي لم تأت عبثاً فالشّاعر يريد الاستحواذ على عقل المتلقي، حتى ينال غرضه وغايته، وهي التأثير في السّامع على سبيل الإنجاز والتنفيذ.

*بناء فعل تعبري على آخر مثله نحو قوله:

أخي (فرحات)^{2*} طب بالأّ بما أعقت من نسل

فعش برّا ببنّـتـيك وكن برّا أبا عدل⁽³⁾

- فالشّاعر يتقدم إلى زميله الأستاذ فرحات الدراجي، لتهنئته بمناسبة ازدياد توأمين موظفاً أفعالاً تعبيرية دالة على التهئة، والمعبرة عن عواطف الشّاعر تجاه زميله في قوله: (طب بالأّ) (فعش برّا) (وكن برّا).

3. أغراض أفعال الكلام في الديوان

يهتم هذا الجانب بالبحث في صيغ أفعال الكلام تحديداً عن الدلالة التي تحددها ظروف التّواصل العامّة، مع شروط أداء الحديث دون التركيز على دراسة أغراض الأساليب بشكل عام، كونه يبحث في الظروف التعبيرية المختلفة التي تجعل من العبارة الإنشائية خبراً⁽⁴⁾، خلافاً لما يظهر في البنية التي تجعل من العبارة الخبرية إنشائية، هذا لعناية الدراسات التداولية بهذا الجانب، ومن منظور آخر أنّ شعر محمد العيد آل خليفة يحفل بقصائد شعرية فنية تستدعي الاستعانة بشروط

¹ - السابق، ص 146.

² - الأستاذ فرحات الدراجي صديق الشّاعر وزميله.

³ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 398.

⁴ - ينظر في اللّسانيات التداولية، خليفة بوجادي ص 164

التداولية حتى يصل القارئ إلى دلالتها المقصودة، قد لا يصل إليها من ظاهر التركيب وحده، لارتباطها بظروف مقامية معينة، وتوجيهها إلى شخص وسامعين معينين وبين الأمثلة التي يمكن عرضها ما يلي:

1.3 أغراض الإنشاء في الديوان:

أ- الاستفهام: يعتبر الاستفهام ثرياً بالقيم التداولية لارتباط مفهومه بواقع استعمال اللغة، «فهو طلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن، إمّا أن يكون بشيء على شيء أولاً يكون»⁽¹⁾، وعزّفه الشريف الجرجاني بـ «استعلام ما في ضمير المخاطب»⁽²⁾.

فالظاهر أنّ الاستفهام يتعلق بما في ذهن المتكلمين فتحقيقه يحصل داخلياً، خلافاً للأمر مثلاً فتحقيقه مرتبط بفاعل خارجي.

ولقد ورد الاستفهام في ديوان العيد آل خليفة على نمطين:

أ- الاستفهام الدال على معاني خبرية.

ب- الدال على المعنى الحقيقي للاستفهام؛ أي طلب الفهم وهذا قليل ودال على معانٍ إنشائية أخرى.

2.3 خروج الاستفهام إلى الخبر

خروج الاستفهام إلى الخبر لا يكون عن طريق الملفوظات الظاهرة على مستوى التركيب أو البنية، لأنّ الظاهر هو الأسلوب الإنشائي المرتبط بلواحق إنجازية تفيد الاستفهام بأدواته، ولكنّ

¹ - مفتاح العلوم، السكاكي، ص 303

² - التعريفات، الشريف الجرجاني، ص 18.

القارئ أو المستمع عليه أن يدرك هذا الاستفهام ليس استعلامًا عمّا في الذهن، بقدر ما هو تحقيق للخبر، فيخرج بذل المتكلم من الإنشاء إلى الخبر الذي يمكن فيه التأكيد أو التصديق.⁽¹⁾ أو النظر إلى مدى إنجازه في الواقع استنادًا إلى عناصر السياق المختلفة وملابسات الحديث. ومن أهم المعاني الخبرية يخرج إليها الاستفهام في الديوان .

- الاستفهام للإنكار: نحو قوله

ت1: يا أيها الشعب لذ بالحق معتصما واركن إلى لائذ بالحق معتصم
لا تفتننك ألحان مُزخرفة غنى بها القوم أوضاعًا من النعم
كيف يطيع في إيجاد بيّنة قومٌ وجودهم ضرب من العدم؟⁽²⁾
ت2: هيهات لا يعتري القرآن تبديل وإن تبدل توراة وإنجيل
(...)

و أمرهم سُورى ودينهم فتح من الله لا قتل ولا تمثيل
كيف التّعصّب من قوم شعائرهم رغم الكوارث إغضاء وتسهيل؟⁽³⁾
ت3: ومن رُزق الهدى لم يخش شيئا فليس لغير خالقه برق
ألسن ترى نفوس القوم حيرى وتأبى الرُشد من سفهٍ حُمق؟!⁽⁴⁾

¹ - في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص165

² - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص103.

³ - نفسه، ص86.

⁴ - نفسه، ص83

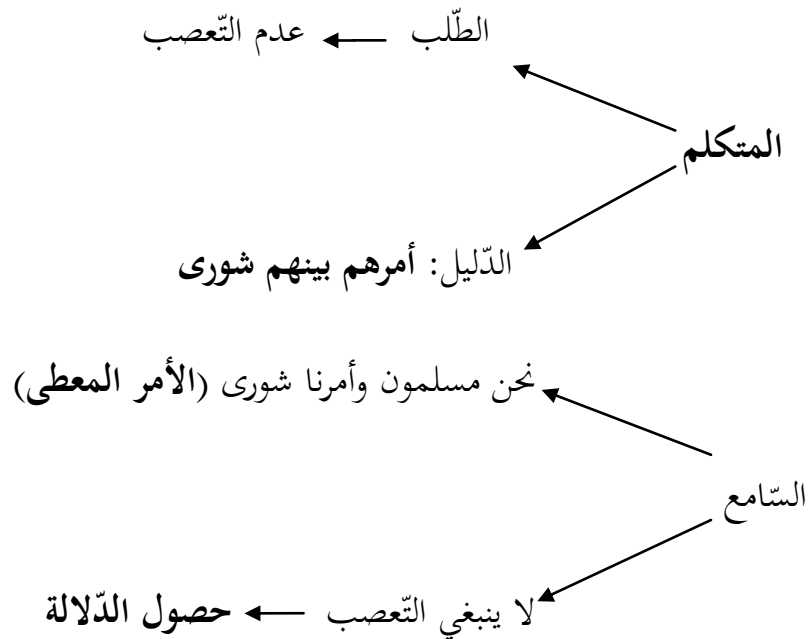
فالشاعر لا يطلب من مخاطبيه في هذه التراكيب حصول الفهم، بقدر ما يعرض أخبارًا تحمل موافقه تجاه الخطاب في كل تركيب من التراكيب الثلاثة السابقة.

فهو في (ت1) مثلاً يدعو الشعب إلى الاعتصام بالحق، ويحذره من الافتتان بزخرفة الحياة، ثم يُنكر عن طريق الاستفهام على الطامعين الظالمين في هذه الحياة، وهم قوم يعدم الأصل فيهم فيستفهم منكراً:

كيف يطيع في إيجاد بيّنة قومٌ وجودهم ضرب من العدم؟

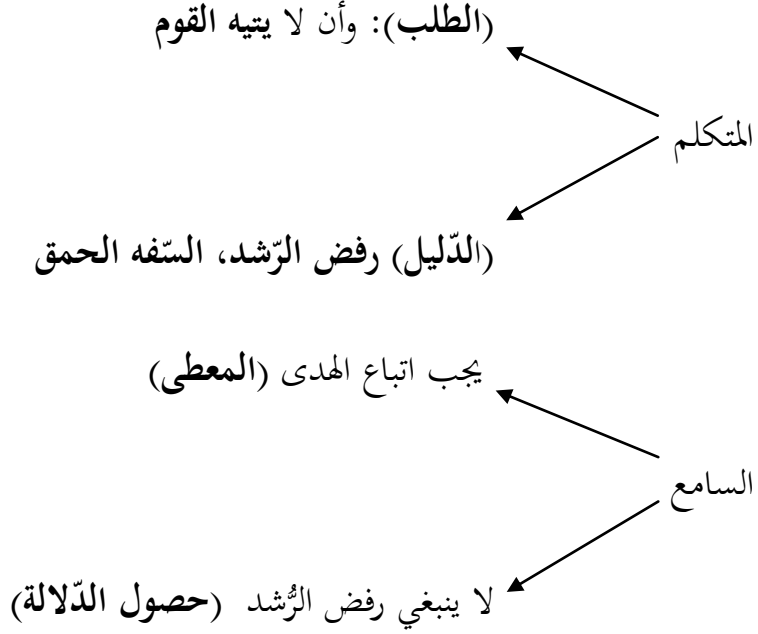
وتحمل عبارة الاستفهام الإنكاري قضية حجاجية تدعو السامع إلى إذعان فكره فيها، والوقوف على أوجه الاستدلال التي تتضمنها، ليخلص في الأخير أنّ القوم إذا كان وجودهم من العدم لا يمكن لهم إيجاد بيّنة، وعن طريق هذا الاستدلال يمكن للسامع الوقوف في صفّ المتكلم بشكل تلقائي .

- وفي التركيب (2): يُنكر الشاعر على الشعب تعصّبه، رغم أن دينهم يدعو إلى الشُّورة ، فنجدّه يحتج بما هو معلوم لدى المخاطب تاركًا له الاستدلال .



- وفي التركيب الثالث، نجد الاستفهام الإنكاري يحمل حجاجاً واضحاً، عندما ينكر الشاعر على القوم عدم رشدهم نتيجة سفههم، وحمقهم، فيستفهم مذكراً:

ألست ترى نفوس القوم حيرى تأبى الرشد ممن من سفه وحمق؟



عن طريق العرض الاستدلالي للاستفهام الإنكاري، يتضح لنا أنه يحمل موقفاً سابقاً من المتكلم تجاه الخطاب، وهو لا يعرض هذا الموقف بشكل صريح إلى السامع، إنما يعتمد إلى استدراجه بحجة مقنعة حتى يصل وحده إلى المقصود، فعلى السامع استغلال كل الإمكانيات الذهنية لتحصيل الدلالة.

- الاستفهام للنفي: نحو قوله

ت1: فتقف أيُّها الأستاذ واطبع نفوس النشء بالصّور البهايا
ولا تياس من الثمر المرجى فإنّ ثراك مخضر الحشايا (...)

- وكيف يموت شعب عبقرئ¹ به الفتيان تنبغ والفتايا؟⁽¹⁾
- ت2: نقلتم على الغرب عريّ الرؤوس وبعض بهارجه السّاحرة
- فأين ملاجئـه القوائم وأين مكاتبه العامرة؟
- وأين معاملـه الصاخبات وأين معازمه الزاخرة⁽²⁾
- ت3: كيف يسمو عن همّة الرّوح سُؤْل وهي سرُّ للإله في الأكوان؟⁽³⁾
- ت4: لأرياب القلوب عهد صدق وأقوال تصدّقها الفعال
- على القلب السّليم بنوا وشادوا لهم ملكا وبالملكوت جالوا
- وكيف يذوق طعم الدّل قوم لهم عزّ به دلّهم دلال
- فكن أبدأً مع الأبرار واجنح لهدى إمامهم فهو مثال⁽⁴⁾

تكرّر الاستفهام في التراكيب السّابقة بـ (كيف)، وبـ (أين) على سبيل وصف حال المتكلم لا للاستعلام ممّا في ذهن المخاطب، والهدف من هذا هو دفع المستمع لعرض عددًا من الاحتمالات الممكنة للإجابة عن ما يلي:

* كيف يموت شعب عبقرئ؟

* أين ملاجئـه القوائم؟

¹ -ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 217.

² - نفسه، ص 252.

³ - نفسه، ص 267.

⁴ - نفسه، ص 280.

* أين معالمة ؟ مكاتبه معارفه؟

* كيف يسمو عن همّة الرّوح؟

* كيف يذوق طعم الدّل قوم؟

فلن يجد جواباً، فملتكلم يذكر ضمن خطابه الضّمني أنّ ذلك غير ممكن ويصل السّامع في الآخر إلى تحصيل الدّلالة المقصودة من التّركيب وهي:

* لا يموت شعب عبقرى.

* لا بوجود ملاجئه القائمات ولا معالمة

* لا يسمو عن همّة الرّوح

* لا يذوق طعم الدّل قوم

فالظروف المحيطة بالخطاب توحى على أنّ الشّعب العبقرى لا يموت، مادام هناك علماء يُثقفون النّاشئة والأبيات مأخوذة من قصيدة ألقاها بمناسبة افتتاح مدرسة باتنة العربية الحرّة التابعة لجمعية العلماء سنة 1954م.

وفي التّركيب الثّاني: ينفي أن تكون هناك أشياءً إيجابية منقولة عن الغرب كالمعارف، والمكاتب، والمعالم، بل سلبية مثل الفتن والاختلاط، والقصيدة أُلقيت سنة 1934 في حفلة الجمعية الخيرية بالعاصمة .

وكذلك في التركيب الثالث؛ يريد الشاعر إبلاغ نفيه من خلال الاستفهام، أي لا يمكن معرفة أشياء غيبية أو السؤال عنها، فهي سر لا يعلمه إلا الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁾

فالاستفهام الواقع بنية النفي أي لا يسمو عن الروح سؤال، فهي سر إلهي في الكون.

- في التركيب الأخير، دفع الشاعر السامع إلى إدراك ظروف المحيطة بالخطاب من خلال الاستفهام، في الأبيات المأخوذة من قصيدة بعنوان: "نحن أبدا مع الأبرار"، فالأبرار ميزتهم الصدق في القول والفعل، فلا يمكن لهم أن يذوقوا طعم الدل.

وقوله: "فكن أبدا مع الأبرار واجنح" هذا دليل على قدرتهم العالية ورشدهم في الحياة.

ومن خلال ما سبق فالسامع له مسؤولية الإدراك للظروف المحيطة بالخطاب، لا من بنية الخطاب ذاته، ليصل عن طريق المقارنة إلى تحصيل الدلالة المقصودة.

- الاستفهام للتأنيب:

ويلجأ الشاعر للتأنيب عبر الاستفهام، ويدرك ذلك عن طريق عناصر السياق المحيطة، وظروف الاتصال، نحو قوله:

ت1 كيف يلهو الفتى بما أجل اللـ ه وقد قاد نفسه بعنان؟

كيف يلهو الفتى بما عن فروض وحقوق حتمية الإتيان؟

كيف يلهو الفتى بما عن الصلاة هي في الفرض أول الأركان؟

كيف يلهو الفتى نهارا وليلا عن صلاة يقيمها في ثوان؟

¹ - سورة الإسراء الآية 85

كيف يلهو الفتى بها عن زكاة هي طهر له من الأدران؟⁽¹⁾

ت2: أتسبقنا الشعوب إلى المعالي ألسنا قبلهم أحرى بسبق؟

ألسنا بينهم خير البرايا سماحة ملّة وزكاة عرق؟

فمهلاً يا زمان البغي مهلاً لقد أعيأ كواهلنا التلقي

ورفقا منك بالإنسان رفقاً فما هو للهوان بمستحق

لماذا توضع الأسداد ضرباً على فمه ألم يخلق لئطق؟⁽²⁾

فالشاعر يؤبّب في التّركيب الأوّل الفتى، مستفهماً عن لهُوهِ وابتعاده عن فرائض الإسلام من صلاة، وزكاة، تاركاً العنان للنفس، ومتبعاً لهوى الدنيا الغرارة.

فالاستفهام بالنّظر إلى سياق الكلام يوحي بالتّأنيب فالبليات مأخوذة من قصيدة بعنوان: "هذه قمة الفتوة" والتي نظمت بمناسبة اختتام السنّة الدراسية بالمعهد الإسلامي بمدينة باتنة سنة 1965م، فالاستفهام هنا لا ينتظر من المتلقي الإجابة، بل جعله الشاعر لغرض التّوبيخ والتّأنيب عن غفلة الفتى.

وفي التّركيب الثاني نجد الشّاعر كذلك يستفهم وهو لا يريد استعلاماً عمّا في ذهن المخاطب أو السامع، إنّما يهدف إلى التّأنيب، و يظهر ذلك من خلال الظروف المحيطة بالخطاب على أنّ الشعوب التي تسبقنا اليوم إلى المعالي نحن أولى منها بالسّبق، لأننا خير منهم أخلاقاً، لينتقل بعد ذلك إلى تأنيب الزّمان على مكره للإنسان، وتضييق حريته عن طريق سدّ الأفواه، التي خلقت

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص268.

² - نفسه، ص84.

للنطق وإعلاء كلمة الحق، والتأنيب عن طريق الاستفهام له أثره البليغ، حيث يجعل السامع يتمعن في الكلام ويعطيه عدّة احتمالات ممكنة.

3.3 - خروج الاستفهام من المعنى الحقيقي إلى معانٍ إنشائية أخرى:

رأينا كيف يمكن للاستفهام أن يخرج إلى معانٍ خبرية، وقد يؤدي أيضاً بقصد من المتكلم إلى أغراض إنشائية أخرى كالأمر، والتّمني، والتعجّب و فيما يلي شواهد ذلك.

- الاستفهام للدلالة على الأمر، نحو قوله:

ت1: فلا تك يا ابن الدين بالصّوم هازئاً... *... ففيه حدود جمّة ومحارم

تصرّم شهر الصّوم إلا أقلّله... *... وأوشك أن ينأى الأنيس المنادم

فهل أنت ساع بالهواجر دائب... *... وهل أنت سار في الدياجير حازم؟

وهل أنت راج في أجورك راغب... *... وهل أنت باك من ذنوبك نادم

وهل صمّت هذا الشّهر لله مؤمنا... *... ومحتسبا تعفو به وتؤسلم⁽¹⁾

ت2: فهل للمسلمين اليوم عود... *... إلى ما ضاع من شرف الجدود

وهل لرجالهم عزمًا تصدق... *... إلى الأهداف تقدح كالزّنود؟

وهل شعب الجزائر نستفيق... *... منا الأحلام مطّرح الرّكود؟⁽²⁾

- فنجد الشّاعر في التّركيبين استخدم الاستفهام بـ "هل"، ليخرج به من معناه الحقيقي إلى

معنى إنشائي، وهو الأمر فقوله في التّركيب الأوّل :

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 137-138.

² - نفسه، ص 200.

* فهل أنت ساع بالهواجر دائب، أي بمعنى : اسع بالهواجر و دب.

* وهل أنت سار في الدياتير حازم ← اسر في الدياتير بحزم

* وهل أنت راج في أجورك راغب ← ارج في أجرك، ارغب

* وهل أنت باك من ذنوبك نادما بك ← واندم على ذنوبك

* وهل صممت هذا الشهر لله مؤمنا ← صم هذا الشهر لله واحتسب

ولنا أن نرى كيف صار الاستفهام من المعنى الحقيقي إلى المعنى الإنشائي (الأمر)، وهنا تكمن تداولية الخطاب التي نحن بصدد البحث عنها في طيات الكلام، ولا يمكن لها أن تؤدي إلا معرفة الشروط المشار إليها.

وفي التركيب الثاني، نجد الشاعر يدرك أن الاستفهام المذكور ليس استعلاما، لأنه أدرى بواقع الخطاب، بل أمر للقيام بما سأل عنه، والأمر بالاستفهام أدعى إلى الحصول، وأجلب إلى تحقيقه في الواقع، فقله:

* فهل للمسلمين اليوم عؤد ← (أمر) عؤدوا، أيها المسلمون إلى ما ضاع

* وهل لرجالهم عزمات ← اعزموا، أيها الرجال بصدق

* وهل شعب الجزائر مستفيق ← استفق، أيها الشعب من الأحلام

فمن خلال إعمال الفكر، يستنتج السامع الأمر ولا يدركه بشكل صريح فهو يسهم في صياغته، مما يدعو إلى تحقيقه وسرعة الاستجابة إلى القيام بمقصوده.

- الاستفهام للدلالة على التمني، نحو قوله:

ت1: نبتغي العيش في الجزائر حرًا مطلقًا لا يحقُّه إرهاب

(....)

هل إلى وصل بيننا من سبيل غبت عنا وطال منك الغياب؟⁽¹⁾

ت2: فهل ترجع الأيام سالف عهدها و تنفض عنها ما علاها من الهدم؟⁽²⁾

ت3: فيا شهر هل في الأرض يكشف كربنا ويبعث فيها مجدنا المتقادم؟

وهل يبسط الإسلام في الأرض ظلّه وتنتشر الفصحى وتعلو العمائم؟

ويا شهر هل تعطى الجزائر حقّها ويفرج عنها ضيقها المتلاحم؟

وهل تلتقي فيها القلوب على الرضى وتخطئها أحقادها والسّخائم

وهل ترتقي فيها العقول وتنتقي من العلم حظًا للعقول يلائم؟

بلى سوف يحيي الله كل ربوعها فتزكو بواديها وتزهو العواصم⁽³⁾

ففاعل التمني متعلق بالمتكلم وحده بصيغة (ليت)، يخلص له السّامع ويعلمه بسهولة، ولكن

إنشاءه بالاستفهام يتطلب من المخاطب الاشتراك في إنشاء التمني، لما يقوم به من عمليات ذهنية استدلالية للوصول إلى الدلالة المقصودة.

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 260

² - نفسه، ص 203

³ - نفسه، ص 138

- ففي التركيب الأول: يتمنى الشاعر أن يكون وصلٌ بينه وبين الجزائر، وهو في نفس الوقت عبر عن اشتياقه لحياة كريمة على أرضها، فالأبيات نُظمت في احتفال مدرسة بسكرة سنة 1937م.

وفي التركيب الثاني، يتمنى الشاعر أن ترجع الأيام إلى سالف عهدها ، دون أن يعبر بشكل صريح عن ذلك، بل عن طريق الاستفهام ، والبيت من قصيدة بعنوان "إلى العلم" يتمنى فيها الشاعر عودة الماضي الخالد، بشعرائه كالنابغة، وزهير، والمتنبي، وأبي العتاهية . فخروج الاستفهام إلى التمني يحقق للسامع سرعة الاستجابة، والاشتراك في إنجاز الفعل، الذي يرتبط بالمتكلم وحده في الأصل.

- أما في التركيب الثالث، نجد الاستفهام ورد بعد نداء، وهو كفيل بحصول انتباه السامع، والتفاتة إلى الخطاب، فضلاً عما يجمله في عبارة النداء ذاتها من تودّد للمنادى وهو الشهر الفضيل ليعبر عن أمنيته في تفريج الكربات، وبعث المجد، وبسط الإسلام على الأرض وإنشاء الفصحى، وفي أن تنال الجزائر حقها، و يفرّج عنها ضيقها و تلتقي فيها القلوب وترتقي فيها العقول وتنتقي من العلم حظاً وافراً.

- فالتمني لم يقم الشاعر بعرضه بشكل صريح حتى يكسب السامع فيشاركه في الفعل، فالقصيدة أُلقيت في إحدى حفلات مدرسة الشبيبة بالجزائر، نشرت في جريدة البصائر سنة 1938م⁽¹⁾، ومشاركة السامع واجبة وضرورية، خاصة أن الخطاب يعالج أمنية كل جزائري في التحرر والاستقلال.

* الاستفهام لإنشاء التعجب: نحو قوله

ت1: لقد خلق الله النفوس عنيدةً وفاضل ما بين العقول ونوعاً

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة ، ص 138.

كيف يروم الناس للطبع وحدة وقد جعل الله الطبائع أربعا؟⁽¹⁾

ت2: نحن في الدّين إخوة والأمايي لا ترى بيننا قصيّا غريبًا

أ فبعد الرضى وعهد التآخي يتسنى لعائب أن يعيبا؟⁽²⁾

- فالشاعر يبدي تعجبه من الناس الذين يطلبون الوحدة في الطبع والله جعلها مختلفة.

- وكذلك في التركيب الثاني، يتعجب الشاعر من أولئك الذين يلجؤون إلى العيب، في حين ديننا الحنيف يدعو إلى الوحدة والإخاء، فخرج الاستفهام إلى غرض التعجب بهذه الطريقة يعطي السامع استعدادًا، وإحاطةً واسعةً بحيثيات الخطاب.

- ب- الأمر:

إذا قارنا بين الأمر والاستفهام، فإننا نخلص إلى ارتباط وثيق بينهما في مجال استعمال اللّغة، بل قد يكون الأمر أكثر دلالة كونه طلب حصول الفعل استعلاءً وإزاقًا، خاصة إذا كان المتكلم في وضع يخوّل له الأمر، ويتصف بما يجعله أمرًا وتسمية الأمر عند اللّغويين تفيد الطلب في زمنه، والأمر صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب⁽³⁾.

ويسميه الزجاجي، فعلاً دائماً فيقول: « الأفعال ثلاثة: فعل ماضي، وفعل مستقبل، وفعل الحال يسمى الدائم⁽⁴⁾ ». فالأمر يعبر عن استعمال اللّغة في الحال أو المستقبل ليصبح من سمات التداولية.

ويتميز الأمر في ديوان محمد العيد آل الخليفة بحالتين:

1 - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص188.

2 - نفسه، ص190.

3 - ينظر شرح الكافية، الرضي الاستريادي، دار الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ص 267.

4 - الجمل في النحو، الزجاجي، حقه وقدم له، د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ط2، 1985، ص07.

1- خروج الأمر كأسلوب إنشائي للدلالة على الخبر.

2- خروج الأمر عن معناه الحقيقي طلب حصول الفعل استعلاءً وإلزاماً إلى معاني إنشائية أخرى.

ب-1- خروج الأمر إلى الخبر:

يخرج الأمر إلى معاني خبرية في ديوان محمد العيد آل خليفة وأهمها: النصح والإرشاد، الإغراء، الشكوى، التذكير، إبداء المسرة، التهنية، ويمكن عرضها في الشواهد الآتية:

*الأمر للنصح والإرشاد، نحو قوله:

- ت1: تناجوا ببرّ واتركوا الإثم جانباً ولا تهتكوا أعراضكم بالتّهجم
أعيدكم بالله أن تتقسّموا هوى فذهاب الريح عُقبى التّقسم
- ت2: توالوا فما استغنت يد قط عن يد وما بطشت إلا بكفّ ومعصم⁽¹⁾
يا قوم لا تردّوا الموارد عزّلاً ومن الخمول على العقول نطاق
- ت3: فكّوا النفوس من الجهالة والهوى هبوا إلى إسعاف أهل الفقر فالفقر ناب
ونال من إخوانكم واحتوى عليهم والفقر أسُّ الخراب
فاستصرخوا همّة في برّهم وأيدوا في الخير كل اكتتاب

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 93.

² - نفسه، ص 95.

وأكرموا في الله سبحانه عبادَه يكرمكم بالثواب
 ومن يكن لله إنفاقه ينل به الزلفى وحُسن الثواب⁽¹⁾
 ت4: أئبها الشعب خذ من المجد حظاً لك واكسب من كلِّ علم نصيباً
 لا تكن يائساً من الخير واعمل إنَّ للشمس مطلعاً ومغيباً
 إن تُرد عيشك الهنيءَ فـ كافح واعزم السَّير لا تدب ديباً
 أو ترد فوزك العظيم فاخلص كلُّ من كان مخلصاً لن يخييلاً⁽²⁾

فالأمر الوارد يكاد يشترك في قيامه على تعليل الأمر المطلوب من المخاطب، ففي التركيب الأول أمر الشاعر "أعضاء نادي التَّقدم" بمدينة البليدة سنة 1930م، بأن يتناجوا ببرٍّ وأن يتركوا الإثم، وأن يتعاونوا فيما بينهم، وعلل ذلك بحاجة اليد لأختها كحاجة الإنسان لأخيه كما أنَّها لا يمكن أن تبطش إلا بحضور الكفِّ والمعصم، فتلازمهما، يشبه التلازم الذي يجمع الإنسان بأخيه الإنسان، فهذا التعليل يعطي السامع حجة دامغة ويهديه إلى النَّصح، والإرشاد، ففي الاتحاد قوَّة لا في التفرُّق.

- وفي التركيب الثاني أمر الشاعر القوم في افتتاح نادي النهضة بمدينة بليدة دائماً، 1932م بأن يفكوا النفوس من الجهالة والهوى، والوهم، معللاً بأن هذه الأمور لها وثاق على النفوس، فيجب التَّجدد في محاربتها.

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 95.

² - نفسه، ص 191

وفي التركيب الثالث؛ أمر الأثرياء بالمشاركة في إسعاف أهل الفقر، لأنَّ الفقر أسُّ الخراب فما عليهم إلا أن يستصرخوا ويكرموا الفقراء و جزاءهم هو التَّقرب إلى الله، ونيل حسن المثاب ففي فعل الأمر ذاته تعليل يبيِّن وظيفة الغنيِّ، وواجبه تُجاه الفقير.

والحال نفسه في التركيب الرابع عندما خاطب الشَّاعر محمد العيد آل خليفة الشَّعب الجزائري، فالأمر جاء بعد صيغة النداء التي تقتضي لفت الانتباه، ليأمر بأخذ المجد وكسب العلم والعمل والكفاح، والعزم، والإخلاص، ففي الأوامر المتتالية تعليلٌ واضحٌ، كون المجد لا يأتي إلا عن طريق العلم، وهذا الأخير يكون بالعمل، والعمل ذاته لا يتحقق إلا إذا عزم الإنسان، وفي الأخير يأمره بوجوب الإخلاص، لأنَّه مفتاح النَّجاح، والظَّاهر على أوامر الديوان لاسيما الدَّالة على النَّصح والإرشاد ورُودها بنسبة كبيرة في سياق نصح الشَّعب وخاصة الشَّباب الجزائري، من خلال إلقاء قصائد بمناسبة افتتاح جمعيات خيرية ونوادي علمية حتى يعي السَّامع طريق الخير والصَّلاح، مع ضرورة الاهتمام بالعلم والعيش الكريم، ودون شك فإنَّ العمل التَّداولي يعتبر ناجحًا عن طريق الأمر لما له من وقع على المخاطب، كيف لا و هو صادر عن شاعر يعتبر من دُعاة الإصلاح وشارك في حركة الانبعاث الفكري مع خيرة علماء الجزائر مثل الشَّيخ عبد الحميد بن باديس، الطيِّب العُقي، الذين أسسوا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

فالأمر له دلالة واضحة على النَّصح، فالسَّامع يتأثر بمجرد سماعه، ويتقبَّل نصيحة المتعلِّم، ممَّا ينفي عنه التردّد في أمرها أو رفضها، وهنا تكمن القيمة التَّداولية لورود النَّصيحة في صيغة الأمر.

- الأمر لإبداء الشُّكوى، نحو قوله:

ولا تمتنا صدّي يا وادي (السَّان)

ت1: يا (وادي السَّان) أوردنا بإحسان

لا تسقنا من جحيم بالأدى آن (...)

ألا اسقنا من رحيق بالشَّذى عبق

انصف عطاشاً أرادوا منك أن يردّوا فدادهم كلّ فتاك وفتان⁽¹⁾

ت2: يا معشر الأحباش صبراً لما يدمي من الجرح فما يدمن

أنتم لنا رغم النوى إخوة فما علينا خطبكم هيّن

(....)

فأسمعوا الأحرار شكواكم حرّى عسى أذن لكم تأذن

لا يحسب الباغون عقباهم حسنى فعقبى البغي لا تحسّن⁽²⁾

يتوجه الشّاعر من خلال التّركيب الأول، بشكواه إلى النّهر (السّان) الذي يشقُّ مدينة باريس بصيغة الأمر (انصف) ليعبّر عن شعوره الداخليّ المشحون نتيجة جرائم العدوّ الغاشم، فمظهر الشّكوى جلي في الأمر (انصف) وهو طلب يوحى بتظلم الشّاعر للنّهر الذي احتضن جثث الجزائريين الأحرار وكان شاهداً على ظلم العدوّ، والغرض التّداولي المراد من هذا كله هو كسب عطف السّامع وتبيان حقيقة المستدمر السّفاح .

وفي التّركيب الثاني استعمل الشّاعر صيغة الأمر بغية الشّكوى، فقوله: "فاسمعوا للأحرار شكواكم"، فهنا الشّاعر يبرز لنا حجم معاناة أهل الحبشة الإفريقية وسقوطها في بريطانيا العاتية، ويظهر الشّاعر محمد العيد آل الخليفة اهتمامه بالقضايا التّحريرية خارج الوطن، كإفريقيا وآسيا ويشارك في القضايا الإنسانية عموماً، فمن خلال خروج الأمر لغرض الشّكوى يظهر الهدف التّداولي لصيغة الأمر وهو مشاركة السّامع تلقائياً، في إنجاز الفعل صحبة المتكلم خاصة إذا تعلق الأمر بكرامة الإنسان وحرّيته.

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 315.

² - نفسه، ص 298.

- الأمر للتذكير، نحو قوله:

- ت1: حدّث عن التُّرك وعن بأسهم فبأسهم في الحرب لا يُنكر
 حدّث- خلاك الذم- عن عسكر لهم خلّوا ما مثلهم عسكر⁽¹⁾
 ت2: سل عقبة يوم سلّ السيف مقتحمًا أدغالها وغزا الرومان بالعرب⁽²⁾

- ففي التّركيب الأوّل نجد الأمر في الفعل (حدّث) وتوظيفه في هذا السّياق كان للتّذكير بتاريخ دولة الأتراك فالشّاعر يريد التّنويه بتاريخ الجزائر القديم، وأيّام مزغنة، اسم مدينة الجزائر قديمًا مستعملًا الأمر الدال على التّذكير، والأبيات من قصيدة نشرت في جريدة البصائر سنة 1937م.⁽³⁾

و الحال نفسه في التّركيب الثاني؛ إذ نجد الشّاعر يستعمل الأمر للتّذكير، في قوله: "سلّ" عقبة فهو يريد التّذكير بعقبة بن نافع، وشجاعته لعلّها تكون قدوة لشباب اليوم، والتّركيب مأخوذ من قصيدة موجهة إلى طلبة شمال إفريقيا المسلمين بمناسبة انعقاد مؤتمرهم الثّاني بعاصمة الجزائر سنة 1932م، و من خلالهم يوجه خطابه إلى الشّباب ككلّ.

ودون شك فإنّ توظيف الشّاعر للأمر زاد من انتباه السّامع ويجعله يتذكر تاريخ الأتراك وإنجاز الأبطال ليعيش مع المتكلم إنجازية الفعل ليتحقق بذلك قصد الإبلاغ والتّأثير.

- الأمر للتهنئة: في قوله مهنئًا الأزهر بشيخه الجديد:

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص311.

² - نفسه، 232

³ - نفسه، 312

ت1: هنى الأزهر الشريف بشيخ طاب أنسًا به وزاد انشراحا⁽¹⁾

فالشاعر يهنئ باسمه وباسم الأمة الجزائرية الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي بمناسبة انتخاب فضيلته عضوا مراسلاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، و في قصيدة نشرت في جريدة البصائر العدد 264 سنة 1954 يقول فيها :

حَيِّ الرَّئِيسِ الأَرِيحِيِّ شَمائلاً العبقري نوا ضلاً وفـضائلاً

وارفع إليه عن الجزائر كلـها شكراً لطائله المـخلد طائلاً

هذا هو الشرف الذي ما فوقه شرفُ فباه به الجحودَ و النَّا كِلا

قل (للبشير) رفعت هامة أمة ذلت وشعب كان قبلك خاملاً⁽²⁾

ففي التركيبين السابقين، نجد الشاعر محمد العيد آل خليفة قد استعمل "الأمر" لأجل التهنئة، فهو يفيد بذلك الإخبار والتعبير عن مشاعر الجياشة تجاه المتلقي (شيخ الأزهر) ففعل الأمر هنيئاً يحمل معنى التهنئة والتعبير عن مشاعر جياشة تجاه المتلقي "شيخ الأزهر"، وكذلك في أفعال الأمر الموجودة في التركيب الثاني (حي، ارفع، قل) فإنها تدل على معاني التهنئة والتقدير، وتُسهم في تداولية الخطاب حيث تجعل المتلقي يعيش نفس الشعور مع الشاعر، تجاه هؤلاء العلماء وعلى وجه الخصوص العالم الإبراهيمي فبفضل الله ثم بفضلته ازدادت الجزائر عزاً وتداولاً بين الأمم .

ب-2- خروج الأمر من المعنى الحقيقي إلى معاني إنشائية أخرى.

يخرج الأمر إلى معاني إنشائية أهمها الدعاء، الرجاء، ويظهر ذلك من خلال وحدات لغوية تحيل إلى وضعف، ورجاء المتكلم، فيكون بذلك في غير منزلة الأمر التي تسمح له بطلب التنفيذ.

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 206.

² - نفسه، ص 411/410

وحدثني عن الدعاء في هذا الصدد ناتج عن كونه أهم الأغراض التي ميّزت ديوان محمد العيد آل خليفة، وهذا يُحيلنا إلى جانب من شخصية الرجل الدينية المتشعبة بتقوى الله تعالى.

ومن شواهد الكثرة، قوله:

- ت1: يا رحمة الله هُبِّي نفحةً وهمي غيثاً على قبر إبراهيم مدارا
 في ذمة الله لا أنساه ثانية حسبي بجي له عهداً وتذكارا⁽¹⁾
 ت2: إلهي إننا بحماك لذنا وعدنا من جناية كل جاني
 لقد آتيتنا التَّحرير حكما فألهمنا الحفاظ على الكيان
 بدأنا الأمر باسمك واختمنا فجُدْ بالعون واختِمْ بالأمان⁽²⁾
 ت3: والله أرحم راحم سبحانه وسع الخلائق رحمة وأنالها
 (...)

- فارفق بأمة مصطفى محمد واجعل إلى كف السلام مآلاها⁽³⁾
 ت4: ربّ قد سار فُلُكُنَا يَمْحَرُ البحر ر إلى قصدنا و يشأو الرِّيَاحَا
فاحفظ الفلك من مداهمة المو ج و أرشدْ إلى الهدى المَـلَاحَا
 أنت أودعت في الهدى كل خير من أصاب الهدى أصاب النجاحا⁽⁴⁾

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص456.

² - نفسه، ص 04.

³ - نفسه، ص 71-72.

⁴ - نفسه، ص210

ت5: ليس غير المئاب جبل نجاة في الحياة لحيّة الآثام

ربّ فاقبل متابنا واعف عنّا وأتيبنا الرضى حسن الختام.⁽¹⁾

ففي التركيب الأول نجد صغتي الأمر هُبي وهَمي، فالشاعر موجود في وضع أدنى من المخاطب ليخرج إلى غرض الدُعاء والرّجاء.

والحال نفسه في التركيب الثاني، عندما يدعوا الشاعر ربّه أن يحمي كيان الأمة من كل سوء، وفي التركيب الثالث يدعو الشاعر الله أن يرفق بحال الأمة و أن يجعلها في كنف السّلام، ليواصل على نفس المنوال في التركيب الرابع والخامس متضرعا إلى الله عزّ وجلّ، بأفعال الأمر وبغرض الدُعاء، طالبا حفظه، وإرشادَ فلك الأمة إلى برّ الأمان، و راجيا عفوه، وحسن الختام.

و من خلال التراكيب تظهر شخصية الشاعر الدينية وسعيه لخدمة الأمة ككلّ، فهو بذلك أكسب الخطاب أو النصّ الشعري قيمةً تداولية، وهي استعطاف السّامع، والتأثير فيه .

ج- النداء:

تعدد النداء في ديوان محمد العيد آل الخليفة، فالمعنى الحقيقي للنداء هو طلب التفات المخاطب وإقباله إلا أنه قد نخرج عن هذا المعنى الحقيقي إلى معنى الخبر، كون السياق يوحي بمعاني إنشائية أخرى غير الوظيفة الأساسية لصيغة النداء.

ج-1- خروج النداء إلى الخبر:

ويخرج النداء إلى معاني خبرية كثيرة في ديوان الشاعر أهمها الحيرة والنصح والإرشاد ومن شواهد ذلك:

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص155

ج-1-2 النداء لإبراز الحيرة: نحو قوله:

يا دار هل فيك من هاد ليرشدني ... فإنني مستريب فيك مختار⁽¹⁾

- فالشاعر يعبر عن حيرته من الدنيا من خلال استعماله للنداء (يا دار)، لما تحويه من أصداد كالخير والشر، فهو يختار في أمرها، وتكمن القيمة التداولية للنداء في استعطاف المتلقي حتى يهتم ويلتف حوله، وهو يدرك معانيه وقصده.

ج-1-3 النداء للنصح والإرشاد:

نحو قوله:

ت1: يا معشر الطلاب هل من آخذ الذكر أو متمسك بعصامه

فتشرفوا بالأخذ من آدابه وتعرفوا بحلاله وحرامه⁽²⁾

ت2: يا أمة الخير لبّي دعاءه وأطيعي

ولا تهيني كنوزا من آيته أو تضيعي⁽³⁾

ت3: يا أيها الجيل السعيد بعهدده بفتح معهده لريّ الظاميّ

كن ك (ابن باديس) الإمام مجاهداً أو كن ك (عبد القادر) المقدام⁽⁴⁾

ت4: يا فاعلا باليمين خيرا لا تفعل الشر بالشمال

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 07.

² - نفسه، ص 90.

³ - نفسه ص 174.

⁴ - نفسه، ص 239.

كم غملة بارتكاب ظلم جنت على الغار والتّمال⁽¹⁾

ت5: يا فتاة البلاد شعبك نادى فاستجيبى بعزيمة للمنادي

جدّ جدُّ النّساء وانطلق الرّكّ ب مع الرّكب للمدى باتحاد⁽²⁾

- نجد في هذه التراكيب النّدائية خروج من المعنى الحقيقي للنّداء إلى معنى الخبر ولن يتأتى تحصيل ذلك للمخاطب، إلا إذا اعتمد على وحدات لغوية أخرى مذكورة في التّركيب، ففي التّركيب الأوّل ينادي الشّاعر معشر الطلاب فعناصر السّياق وظروف التّواصل توحى بنصح الشّاعر الشّباب بضرورة الذكر والأخذ بآدابه، ومعرفة حلاله وحرامه.

ليواصل في التّركيب الثاني نصحه مستعملاً النّداء (يا أيّها) فيخرج من المعنى الحقيقي ليخبر المتلقي (وجيل الأمة) بوجوب الاقتداء بالعلامة عبد الحميد بن باديس في الإمامة، وعبد القادر الأمير في الشجاعة والإقدام، والحال نفسه في التّركيبين الرابع والخامس؛ أين ينادي الشّاعر فاعل الخير باليمين ولينصحه على أن لا يفعل الشرّ بالشّمال، والتّحذير من عواقبه في المجتمع ضارياً بذلك مثل بالنملة الجانيّة على الغار وبقية النمل نتيجة ظلمها .

ليتوجه بالنّداء في التّركيب الخامس والأخير إلى فتاة الجزائر وينصحها بضرورة الاستجابة لنداء الشّعب بعزم ويخبرها موظفاً المجاز عقليّ "جدّ جدُّ" النّساء، وعلاقته المصدرية مؤكداً على انطلاق الرّكب باتحاد المرأة، ودورها في التّحرير، فالأبيات مأخوذة من قصيدة بعنوان: "ثورة بنت الجزائر" يستعرض فيها الشّاعر دور المرأة الجزائرية في الثورة التّحريرية.

ومقام الحديث يوحي باستعمال الشّاعر النّداء لغرض الإخبار عن دور الجيل والأمة شباباً ورجالاً ونساءً، وينصحهم في نفس الوقت بالاعتصام بذكر الله، وبالافتداء برجال العلم والكفاح

¹-ديوان، محمد العيد آل خليفة ، ص372

²- نفسه، ص430.

حتى يسير الركب في الهناء، وترتقي البلاد إلى العلى، وهنا تكمن تداولية النداء والغرض منه في كسب المخاطب ودعوته إلى العمل بهذه النصائح .

ج-2- خروج النداء من المعنى الحقيقي إلى معانٍ إنشائية أخرى:

ومن أهم هذه المعاني "طلب الاستغاثة" في قوله:

ت1: فيا لله من دهر تغافى عن البلوى ولم يبصر قريباً
ويا لله من دهر تجافى عن الذكرى واكبر أن يُنبيا⁽¹⁾

فالشاعر يخرج بالنداء من المعنى الحقيقي إلى المعنى الإنشائي و(طلب الاستغاثة) فظروف المقام توحى بذلك كون المتكلم أمام وضع يوحى بضرورة الاستغاثة بالله حتى يهدي العباد الغافلين عن الذكر.

د- النهي: يُعد النهي من الأساليب المرتبطة أساساً بالمخاطب، لتضمنها الكفّ عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام.⁽²⁾

فحديثنا عن الأمر سابقاً كونه يصدر عن من يحق له ذلك، ينطبق هذا على النهي، يقول السكاكي في مفتاح العلوم فهو مَحذُوقٌ حذو الأمر في أن أصل استعمال (لا تفعل) يكون على سبيل الاستعلاء"⁽³⁾؛ فلا يمكن عدّها منفصلين لاسيما أن كتب اللّغة لم تفصل بينهما، وتناولتهما في حديث واحد (الأمر والنهي) يقول ابن القيم الجوزية: «المطلوب بالنهي فعل الضد فإنه هو المقصود للنهي، فإنه قد نهاه عن الفاحشة طلباً للعفة وهي المأمورة بها»⁽⁴⁾

¹ -ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص285.

² - الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد الله محمد هارون، مكتبة الخانجي، بمصر، ط2، 1979م ، ص 15.

³ - مفتاح العلوم السكاكي، ص320.

⁴ - الفوائد، ابن قيم الجوزية، المكتبة الثقافية، بيروت، ط1، 1993، ص 159.

لقد تعدّد النهي في ديوان محمد العيد آل خليفة مثلما تعدّد الأمر، وهذا ما يُظهر تلازمهما واحتلالهما في منزلة واحدة ويقول في هذا الشّأن المبرد: « اعلم أن من النهي بمنزلة من الأمر، يجري على لفظه كما يجري على لفظ الأمر»⁽¹⁾

- الملاحظ أن الشّاعر وظف النهي في الديوان على سبيل النصّح والإرشاد وفيه خروج عن معنى الإنشاء إلى معنى الخبر، لأنّ المقام يستدعي ذلك كقوله:

ت1: لا تخف في جانب المجد موتا فهو موت بالحياة كفيلا

من يعيش حراً على الأرض يوماً فله في الناس عمر طويل⁽²⁾

ت2: ولا تظلم فقيراً بانتهار ولا تظلم حقيراً باتهام⁽³⁾

ت3: هذه ثورة عليها اجتمعنا وارفعنا لقمة الأبطال

لا تقل لي أنا ولا أنت فيها! كلنا قومها على كل حال⁽⁴⁾

ت4: ولا تنس فضل السابقين إلى القدى من الشهداء الطيبين بها ذكرا⁽⁵⁾

ت5: اعمل حكيماً تصل سليماً ولا تهب من يقول هاباً

بالصبر والحلم والتّأني والرّفق فاستقبل الصّعابا

¹ - المقتضب، المبرد، تحقيق عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج2، ص 152.

² - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 131.

³ - نفسه، ص 155.

⁴ - نفسه، ص. 42.

³ - نفسه، ص 177.

لا تقذف النَّفْسَ في مجال من يقذف النَّفْسَ فيه خاباً⁽¹⁾

جاء النَّهْيُ في ديوان محمد العيد آل خليفة على سبيل النَّصْحِ والإرشاد، كيف لا والرَّجُلُ صاحب مهام تاريخياً، وأديباً، وفكرياً، وإنسانياً، ومنبثقا من صلب بيئة عربية إسلامية.

فمن خلال التراكيب السابقة يظهر جانب النَّصْحِ والإرشاد عبْر النَّهْيِ والذي يخرج فيه الشاعر إلى معنى الخبر، ليخبر عن طريق النَّهْيِ كيف يكون للإنسان عُمرًا طويلاً، إذا عاش حرًا، وعن ضرورة غياب الخوف من الموت لدى طالب المجد فهو كفيل بالحياة.

وفي التركيب الثاني ينهى الشاعر عن الظُّلم لاستغلال ظروف المظلوم كالفقر والحاجة مثلاً. فمن خلال النَّهْيِ نكتشف معنى الإخبار، كون وقوع الظُّلم له علاقة بظروف الإنسان التي يستغلها الإنسان الظالم.

وفي التركيب الثالث يتوجه الشاعر ناهياً عن التَّميِّز والادعاء في حق الثَّوْرَةِ على أنَّها كانت لطرف على حساب آخر، فهو إخبار عن فضل الجميع في النَّصْرِ والتَّحريرِ.

وفي التركيب الرابع ينهى الشاعر عن نسيان فضل الشُّهداء، ومن خلال هذا النَّهْيِ نلمح خروجه إلى الإخبار عن ضرورة تذكُّر الشُّهداء والتَّرحُّمِ عليهم لأنَّهم رمز الأُمَّة.

أمَّا في التُّركيب الخامس فنهى الشاعر عن قذف النَّفْسِ، لأنَّ مصير القاذف هي الحية.

والظَّاهر من خلال التُّراكيب السابقة، وهي كثيرة في الديوان، أنَّ الشاعر محمد العيد آل خليفة مؤمن، صادق، وهو تكوين اجتماعي ونفسي، ساهمت فيه بيئته التي نشأ بها، لذا حقَّ له تقلُّدُ منصب النَّاصِحِ الأمين والمرشد لهذه الأُمَّة المتعطشة لمثل هذا الشُّعور الإسلامي الفيَّاض والإحساس العميق بالانتماء للأُمَّة العربيَّة الإسلاميَّة.

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 462

فكلُّ هذه الظُّروف المحيطة بالخطاب الشعري جعلتنا نكتشف أنَّ بحثنا هذا في المسار الصَّحيح بعون الله، لأنَّ الهدف من البحث التَّداولي هو الوُصول إلى الإبلاغ مع إشراك السَّامع في الفعل الإنجازي وتحقيق الدَّلالة المقصودة.

3-2- أغراض الخبر في الديوان:

تؤدي الأساليب الخبرية في الديوان أغراضًا مخالفة لما يظهر على مستوى بنية التركيب، كأن يخرج إلى الإنشاء مثلاً ويُعد هذا الخروج مشاركة للسَّامع في إنتاج الخطاب، وهذا ما تُعنى به اللسانيات التَّداولية، فيعمد المتكلم على تأويله حتى يظفر بقصد المتكلم.⁽¹⁾

من خلال فحص تراكيب الدِّيوان وخاصة الخبرية تبين لنا اتجاهين، الأول حين يخرج الخبر إلى دلالات إنشائية خلافا للأصل، والثاني خروجه إلى دلالات إخبارية أخرى غير الدَّلالة الأصلية للخبر، وهي إفادة المخاطب، وهذا ما سيتم عرضه في التفصيل الآتي:

أ- خروج الخبر إلى الإنشاء:

أ-1- خروج الخبر إلى الأمر:

ويظهر ذلك من خلال استخلاص السَّامع بنفسه الأمر مما يحدث قبولاً لتنفيذه، لأنَّه جاء بعد إعمال الدَّهن ولم يبق له سوى المشاركة في إصداره، ومن أشكاله في الدِّيوان:

- أن يكون الأمر في الخبر بعبارة صريحة، نحو:

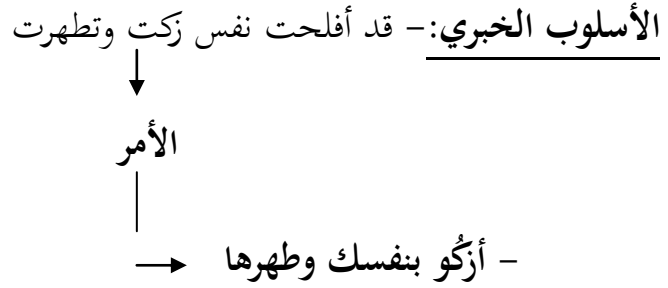
ت1: لكلِّ امرئ عهدٌ بغرض محتم يقوم به في جنب حقِّ محتم

¹ - ينظر في اللسانيات التَّداولية خليفة بوجادي، ص164

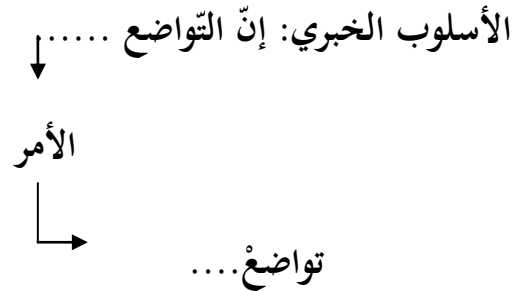
- ومن فرض أهل المال إسعاف عُجَزَ وتكريم إخوان وإيواء هَيْم (1)
 ت2: قد أفلحت نفس زكت وتطهّرت وسعت لكبّح جماحها بلحام (2)
 ت3: إنّ التّواضع من سمات البرّ من يعتده فهو البرّ في الأقسام (3)
 ت4: فليس بحرّ من يرى العزّ ممكناً ويبقى أسير الذل تحت التّغلب (4)

نجد في هذه الأبيات أساليب خبرية صريحة في الخبر، لكن فيها دواعي تجعلها تخلص إلى الأمر وعلى السّامع إدراكها، وهذا ما أردت تبيانه عن طريق المخطط الآتي:

في التركيب الأوّل:



وفي التركيب الثاني:



¹ - الديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 93

² - نفسه، ص 241

³ - نفسه، ص 243

⁴ - نفسه، ص 289.

وفي التركيب الثالث: فليس بحرّ من يرى العزّ ممكناً.....

الأمر

الزّم العزّ.....

أ-1-1- وجود الأمر بعبارة غير صريحة في الخبر لإغراء المخاطب به: نحو قوله:

ت1: إنّما الدين لليُوث عرينّ لا تغرّتك بالعواء الذّنابُ

إنّما الدّين في المبادئ رأسُ المجد منها وغيره أذنبُ

هذه الأرض سوف تنبت عزّاً إنّ تصافت في ظلها الأحزاب⁽¹⁾

ت2: كتاب الله كنز ليس يفنى وشمس لا يغيّب لها ضياء⁽²⁾

ت3: إنّ السعادة نعمة ال استلام وهو أبو النعم⁽³⁾

ت4: الحج مدرسة التّعارف شادها ربّ الورى وأدارها تعلّيمًا⁽⁴⁾

ت5: إنّ العروبة أمّنا الكبرى التي في الأمّهات نظيرها لا يوجد⁽⁵⁾

جاءت التراكيب السابقة حاملة للأمر بعبارة غير صريحة في الخبر لإغراء المتلقي أو السامع بشيء يتمناه ويرغب في بلوغه، يخلص في الأخير إلى إدراك الأمر الذي تضمنه هذا الإغراء، وهذا

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 260.

² - نفسه، ص 538.

³ - نفسه، ص 518.

⁴ - السابق، ص 164.

⁵ - نفسه، ص 229.

الفصل الثاني أفعال الكلام في ديوان محمد العيد آل خليفة

الأسلوب هو الأليق لأنه لا ينفّر القارئ، ويجعله يستخلص بنفسه الأمر ويبلغ بذلك مقام الإغراء، كما يظهر ذلك في عبارات التراكيب.

التركيب	الأمر بعبارة غير صريحة	المعنى المستخلص لإغراء/ التحذير
ت1	إنمّا الدّين للُّيُوثِ عَرِينٌ لا تَغْرُنْكَ بِالْعَوَاءِ الذَّنَابِ	* الزمّ الدّين فهو الملك * (هنا نجد تحذير): اجتنب السّبل * (لا تغرّنك بالعواء الذناب)
ت2	هذه الأرض..... إنّ تصافت	* الإغراء: الزموا الوحدة * التحذير: اجتنبوا الفرقة
ت3	إنّ السّعادة نعمة الإسلام	* الإغراء: الزم الإسلام فهو نعم وسعادة التّحذير: اجتنب الشّرك فهو نقم وحرز
ت4	إنّ العروبة أمّنا الكبرى	* الإغراء: الزم العروبة فهي الأم الكبرى * التّحذير: اجتنب غيرها فهي الهلاك

أ-1-2- وجود الأمر بعبارة غير صريحة في الخبر يتضمن إحالة تاريخية، نحو قوله:

ت1:

كان عبد الرحمان في الرأي قطباً ...*... مُرشداً للعقول والإفهام

مثل (عبد الحميد) * حطّط منه ...*... لاجاً قوياً لقادة الأقاليم

(...)

* - هو عبد الحميد الكاتب وله رسالة مشهورة أوصى فيها الكتاب باحترامهم لمهنتهم وطرقهم أنفع المواضيع.

إنَّ ذكراك تبعث الوعي في الشَّعْء... *... ب كبعث الأرواح في الأجسام⁽¹⁾

ت2:

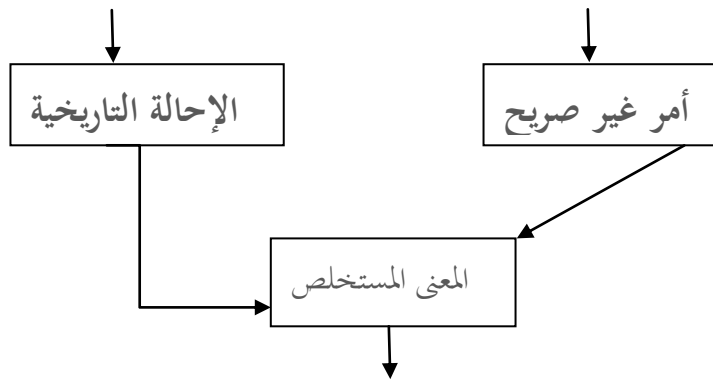
إني أرى فيكم مخائيل فطنة... *... كالبرق تومض من خلال غمام

أسلافكم بالبأس سادوا والقرى... *... من كل مطعان إلى مطعام⁽²⁾

فالأبيات تتضمن حالة تاريخية تثير في نفس المخاطب القياس على المثال أو العبرة، والقيام

بالفعل المطلوب أو استنتاج ما في الإحالة التاريخية من تكليف أو اقتداء، ففي قوله:

كان عبد الحميد في الرأي قطباً..... مثل عبد الحميد (الكاتب)



الأمر : كونوا كعبد الحميد بن باديس

* يتحرى المواضيع المفيدة اقتداءً بوصية عبد الحميد الكاتب

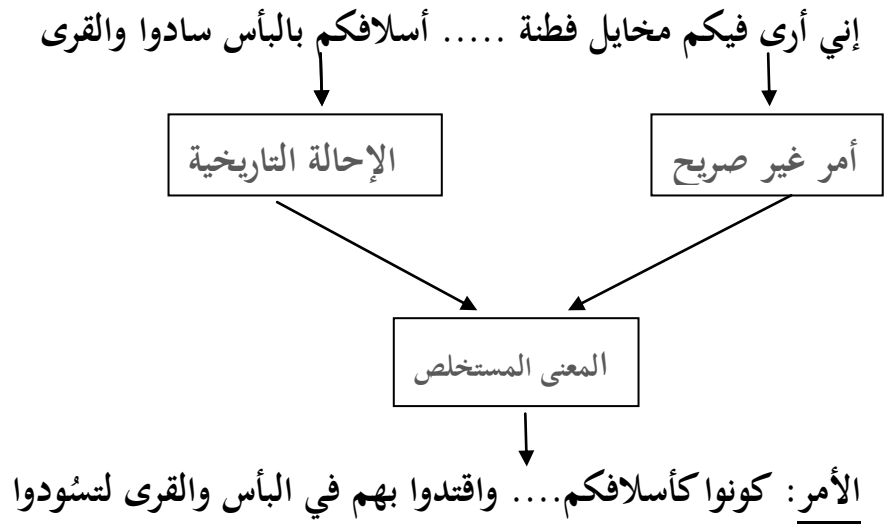
فالمتلقي يستخلص عن طريق القياس التاريخي أنَّ العلامة عبد الحميد سخر كتاباته للإرشاد والوعي، فهي إشارة ضمنية للذين يخلدون ذكره من الكتاب والمثقفين للاقتداء به، كما اقتدى

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص498/499.

² - نفسه، ص240.

العلامة بن باديس بوصية عبد الحميد الكاتب، فراح يكتب مواضيع تم شعبه، فهي مثل الغيث النافع.

وفي التركيب الثاني يستخلص السامع من خلال إحالته تاريخياً على الأسلاف الذين سبقوا هذا الجيل ليقتدوا بهم، فالكلام يحتوي على أمر غير صريح، وعلى المتلقي استخلاصه مثلما هو مبين في المخطط الآتي:



أ-2- خروج الخبر إلى الدعاء: وشواهد ذلك

ت1: عبد الحميد رعاك الله من بطل ماضي الشكيمة* لا يلويك تهويل

دمغت أقوال آشيل* كما دمغت أبطال (أبرهة) الطير الأبايل⁽¹⁾

ت2: لا تُوسعي الأقدار منـ ك تسخطا وتعتُّبا

* - الشكيمة: قوة القلب

* - أحد الاستعماريين الغلاة في الجزائر تحامل على الإسلام والقرآن والمقالات وكتابات عدة.

¹ - الديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 86.

قد ناب عن زين الشُّبَا ب وليدُه زَيْن الصُّبَا

الله يهدى شعبه ويقيه أن يتنكبا⁽¹⁾

ت3: رحم الله معشر الشهداء وجزاهم عنا كريم الجزاء

وسقى بالنعيم منهم ترابًا مستطابا معطر الأرجاء⁽²⁾

فوجد في التراكيب السابقة خروج الخبر إلى الدعاء للمخاطب، وظاهر ذلك في التركيب الأول عندما دعا الشاعر لعبد الحميد بن باديس راجيا من الله أن يراعاه، كونه ردَّ على الطاغية (آشيل) بسبع مقالات كتبها الشيخ ودافع فيها عن حرمة الدين.

وفي التركيب الثاني نجد دعاء الشاعر لشعب العراق بالهداية وأن يقيه الله التنكُّب، والأبيات مأخوذة من قصيدة بمناسبة رثاء الشاعر لملك العراق، "غازي بن فيصل" والذي استشهد إثر الحادثة المدبرة له من طرف الاستعمار الإنجليزي، وعملائه بالعراق.

وفي التركيب الأخير يدعو الشاعر من خلال الأسلوب الخبري لمعشر الشهداء بالرحمة وبكريم الجزاء وأن يسقيهم الله بالنعيم المقطر.

أ-3- خروج الخبر إلى التمني، نحو قوله

ت1: بالأمس كنتا ظاهرين على العدى ومرغمين أنوفهم ترغيمًا

واليوم نسعى بعد فقد فخارنا أن نستعيد فخارنا ونُدبما⁽³⁾

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 469.

² - نفسه، ص 435.

³ - نفسه، ص 164.

ت2: سوف تهوي مبادئ الكفر صرعى فانيات ويخلد الإسلام⁽¹⁾

نجد في التركيبين السابقين خروج الخبر إلى التمني؛ فالشاعر يتمنى في التركيب الأول أن يكون للأمة فخرًا بعدما أرغموا العدو بالأمس وهزموه.

وفي التركيب الثاني يتمنى الشاعر في سياق الأسلوب الخبري دائمًا أن تهوي مبادئ الكفر صرعى، ويخلد الإسلام.

-ب- خروج الخبر من معناه الحقيقي إلى معانٍ إخبارية أخرى:

يخرج الخبر من معناه الحقيقي إلى معانٍ إخبارية أهمها: الشكوى، الإعجاب، المدح، الفخر، التحسّر.

ب-1: خروج معنى الخبر إلى الشكوى، في قوله:

ت1: يا غارة الله السريع غياثها خفي إلينا وارفعي الأكدارا

كلّ الأراضى في النعيم رضية إلا الجزائر فهي تصلى النارا

وتنازع الإخوان هذا بالأذى يسطو وذاك يريد منه الثارا

والفقر فاش فالنساء سوافر يكذن أبناء لهن صغار⁽²⁾

ت2: ديار من السكان تخلى نكاية وعسفًا وأحياء تساق لأر ماس (...)

وشيب وشبان يسامون ذلّة بأنواع مكر لا تحد بمقياس

ولا خير في عدّ المظالم وحدها إذا لم نبن عن مرهفات وأتراس

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص180.

² - نفسه، ص113.

سئمنا من الشكوى إلى غير راحم وغير محق لا يدين بقسطاس⁽¹⁾

نجد الخبر في التراكيب السابقة، يخرج من معناه الحقيقي إلى معنى الشكوى. فالشاعر يشكو إلى الله ما تعيشه أرض الجزائر من نار حارقة، وتنازع الإخوان فيها، و من تفشي الفقر حتى أن النساء أصبحت حيارًا في طلب العيش.

وفي التركيب الثاني يشكو الشاعر جرائم العدو الفرنسي، وما فعله في حق الشعب الأبي، حتى أنه سئم الشكوى إلى غير راحم، وفي هذا اقتناع الشاعر بوجود التوكل على الله، ورفع التحدي لأن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة.

أمّا عن القيمة التداولية فتكمن في خروج الخبر إلى الشكوى، يعطي السامع إدراكًا واستدلالاً واضحًا على حال الأمة وما تعانيه، وبالتالي نجده يوافق المتكلم، ويلتزم بما يقوله.

ب- 2- خروج معنى الخبر إلى الإعجاب بأرض البدو في قوله:

ت1: حينئذ في البدو كل الكائنات به

الريح عازفة والروض صفاق

والحقل محتفل الأشجار من طرب

تشدو وتنفو به ورق وأوراق

والنهر في جنبات السّفح منبسط

والماء في جنبات النّهر رِقراق⁽²⁾

ويقول في وصف فوارة بديعة الشكل بمدينة باتنة:

ت2: يا عين جدّدت النشا ط لنا وبددت الفتور

فلأنت أجمل قينة غنت فأطربت الحضور

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 65

² - نفسه، ص 56.

هذا حريك يستفزُّ بلحنه أهل القبور

صلت مياهاك للإلا ه صلاة إشراق ونور

فكأثما داوودُ في محرابه يتلو الزبور (1)

ففي التّركيبين يظهر إعجاب الشّاعر بجمال البدو وفوارة مدينة باتنة وهذا الإعجاب يستخلصه السّامع ويوقن أنّ الشّاعر يستعمل الأخبار من أجل إظهار الإعجاب بتلك البسيطة الريفية الرائعة ، ووصف جمالها و منظر الفوارة البديعة ، وهنا يظهر الجانب التّداولي في الخطاب كون المتكلّم يبحث عن ظروف تعبيرية تجعل السّامع يتأثر ويزداد دلالة واستعلامًا وتواصلًا.

ب-3- خروج الخبر إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

ت3: نُحِّي خَيْر مَوْلُودَ بَدَا فِي خَيْرِ مِيْلَادِ

نُحِّي سَيِّدَا فِي الْخَلْدِ . ق مَتَّبِعَا بِأَسْيَادِ

نُحِّي مَرشِدَا لَمْ يَبْغِ مِنْهُمْ أَجْرَ إِرْشَادِ

نُحِّي دَاعِي الْحَسَنِ نُحِّي رَاعِي الضَّادِ

نُحِّي الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارَ رَآبَاءَ لِأَجْدَادِ (2)

فالشّاعر يخرج بالخبر إلى مدح سيّد الخلق محمّد رسول الله عليه وسلم ، بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشّريف في احتفال أقامته جمعية الشّبيبة الإسلاميّة ، وخروج الشاعر بالخبر إلى المدح له أثر بالغ على المخاطب ليُحيطُ بظروف الخطاب وبالتالي يحصل إدراك المقصود .

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 52.

² - نفسه، ص 75.

ب-4 خروج الخبر إلى الفخر:

ت1: نحن جيش التحرير جند النضال نحن أسد الفدى نمور النزال
دمدم الطبل للنفير فثرنا وهزنا البلاد كالزلال
كل من كان مثلنا فهو رمز صادق للجزائري المثالي
كل إفريقيا إلينا استجابت واستقلت بوحدة الأوصال⁽¹⁾

ت2:

نوفمبر قد وافى فأهلاً ومرحباً بشهر ركبنا فيه مركبنا الو عرا
نوفمبر قد وافى الجزائر طاوياً من الثورة الكبرى سنين لها عشرأ
نوفمبر عملاق الشهور ببأسه وجبارها تحنى الرؤوس له جبراً⁽²⁾

لقد استطاع الشاعر محمد العيد آل خليفة في خروجه بالخبر إلى الفخر، أن يؤثر في المخاطب أو المتلقي فانتقى التراكيب الملائمة، ليجعل السامع يحيط بمقام الحديث ويحصل على دلالة التركيب.

ج- خروج الخبر إلى التحسر على حال الدنيا في قصيدة بعنوان: " وَكَيْتُ نَحْوَكُ وَجْهِي "

يقول فيها:

ظننت في النَّاسِ خيراً... *... فخاب ظني وخببت

¹- السابق، ص 427

²- نفسه، ص 438.

كم قلتُ شيئاً كثيراً ...*... في مدحهم وكتبت

لقد كذبتُ فحسي...*... في شأنهم ما كذبت

حسبت للناس عهداً...*... فلم أجد ما حسبت

كم سرتني من رأيي ...*... وساءني يوم غبت (1)

- فإحضار الشاعر الخبر على هذه الصورة يجعل السامع يستخلص قصده، ويعلن انتقال الخبر إلى التحسر على الناس وخيبة ظنه فيهم حتى أنه أقرّ كذبه لما قال فيهم من قبل، والسبب أنهم خانوا العهد.

فخروج الشاعر بالخبر إلى الحسرة أثار في السامع الانتباه، وجعله يحيط بمقام الحديث، وبالتالي أصبح شريكاً للمتكلم استناداً إلى ما أحاله عليه، ليقف على ما هو صريح، وضمني في الكلام اعتماداً على نتائج اللسانيات الحديثة التي تقر بوجود البؤرة في حالة توفر الشروط المقامية، يلمّ المخاطب بها ويعرف قيمة الموضوع.(2)

وهذا ما نجده في خروج الخبر إلى الإنشاء أو العكس، ففي هذا الأمر أثر كبير على المخاطب الذي ينبغي أن يكون مدركاً لعدد من شروط التواصل، وظروف الخطاب ليحيط بمقصود المتكلم في تركيبه.

1- ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 364 .

2- الوظائف التداولية في اللغة العربية المقاربة المعيار، أحمد المتوكل، منشورات الاختلاف، ط1، 2016م، ص 43.

الفصل الثالث

تداولية التراكيب في الديوان

-القوة الإنجازية في التّركيب النّحوي.

-القوة الإنجازية في التّركيب البلاغي

1. القوى الانجازية في التركيب النَّحوي:

ولقد برزت العناية بالمظهر التداولي في تراكيب الشاعر محمد العيد آل خليفة، استنادا إلى العمليات الذهنية الحاصلة في ذهن الشاعر، حيث نجده يضمن تراكيبه لوحداث لغوية تحدد وجهة الجملة ودلالاتها، وهذا ما يعرف عند التداوليين بالقوة الإنجازية للجملة.

ويهدف هذا المبحث إلى معرفة خصائص التي تجعل من تراكيب الديوان موجهة لغرض ما وحصر مكوناتها فيما يصطلح عليه المتوكل (1) ب: البنية المكونة للجملة وتشمل المستوى الصرفي والتركيب، ويهتم بالمقابل بدراسة الجانب التداولي للتراكيب، مشكلا مع المستوى الدلالي البنية التحتية للجملة.

وما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن الاعتناء بالمستوى التداولي ظاهر وموجود في كل خطاباتنا تقريبا لأن المتكلم يصوغ كلامه بالنظر إلى أحوال المقام، ولا يختلف النص الشعري عن هذا المبدأ العام، وإن كان حضور المخاطب في الغالب افتراضيا.

ويتعدد هذا الحضور في قصائد الديوان، ويهتم الشاعر كل مرة بأحوال مخاطبيه ويظهر ذلك على مستوى بنية التراكيب نحو:

أ- إثارة المخاطب بواسطة التراكيب الإنشائية:

نحو قوله في قصيدته المعبرة عن مشاهد البؤس:

يا أيّها الآوي إلى الحفرة في سفح طود عند ملقى الشّعب

يا أيّها الهاوي على وجهه تحت أديم الجوّ تحت التراب

¹ ينظر: قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط المغرب، ط1، 2001، ص45

يا أيّها الملتّم في طمره كالقنفذ انهالت عليه الكلاب
هوّن من الغم عليك فما أحسب إلّا منه هذا الضّباب⁽¹⁾
أنومك الآن خــــداع لنا أم لك أم أنّك صلب الإهاب

والقصيدة سائرة على هذا النمط التركيبي إلى نهايتها، فيعمد الشّاعر إلى تعداد النداءات (يا أيّها الآوي، يا أيّها الهاوي، يا أيّها الملتّم)، وتكرارها مع تعداد أساليب إنشائية أخرى مثل الأمر (هوّن) الاستفهام (أنومك) ليحدث إثارة في مخاطبه، ويضمن استجابته، فالتركيب يشمل إلى جانب الدلالات الواضحة للأبيات، مستوى تداوليًا تمثله هذه الأساليب بتواليها وتكرارها، مما يضمن استجابة السّامع وميوله إلى الطلب المعروض عليه كونه يعيش حالة مزرية من بؤس وشقاء، ولقد عايش الشّاعر هذا الوضع الذي عرفته البلاد .

ب/ أغراض الزيادة بالوصف في التراكيب

لقد تنوعت أغراض الزيادة في التركيب الشعري بالوصف نذكر منها:

4-1- إحداث الدهشة لدى السّامع، نحو قوله :

يا حبّذا عين تفور حفت بحافتها الزّهور
باتت بباتنة تفي ض على سرائرها الشّور
في روضة غناء قد غنّت بساحتها الطيور
في حوضها ماء يجو ل كأنه فلك يــــدور

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 28

وترى الفقاقع كالكواكب فيه تطلع وتغور
وترى الأسماك به تلمع كاللآلئ في النحور⁽¹⁾

فالشاعر شاهد فوارة بديعة الشكل، في حديقة عامة بمدينة باتنة فوصفها في هذه الأبيات، مستعملاً تراكيب متشابهة، ليحدث الدهشة في نفوس مخاطبيه، ويمكنه في الأخير إرسال الطلب في قوله :

قل للأديب هوى الطبيب عة لا يحول ولا يجور
فأهو الطبيعة إنّا أمّ تحوطك بالبُرور
حبّ الطّبيعة طاهر لا فسق فيه ولا فجور⁽²⁾

والزيادة في الوصف في التراكيب السابقة تعد تهيئة لحال المتلقي، واستدرجاً لتلقي الطلب الحاصل في نهاية القصيدة، ليطلب من السامع أن يهوّ الطبيعة لطهارته بل يشبهه بالأمّ محققاً بذلك غاية الإقناع .

4-2- المبالغة في عرض حال النفس، نحو قوله :

هزّتك للشعر حنات وأشواق وعادوت حساسات وأذواق
اليوم صدرك للأفراح منشرح فما عليه من الأفراح أعلاق
أقم هنيئاً فما في القلب موجدة وئمّ قريباً فما بالعين إزاق
حيّتك في البدو كل الكائنات به الريح عازفة والروض صفاق

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص52.

² - نفسه، ص53.

والحقل محتفل الأشجار من طرب تشدو وتنفو به ورق وأوراق

والنهر في جنبات السفح منبسط والماء في جنبات النهر رقاق (1)

وتستمر القصيدة في هذا العرض لتصور ما تفيض به النفس من إعجاب بجمال الرّيف وطلاقة تهيئة لإرسال الطلب في آخر القصيدة في قوله :

أنظر تجد خلل الأكواخ مائدة تميد من فوقها بالزُّرق أطباق

مبسوطة لبني الإنسان مطلقة على يد كلها بسط وإطلاق

يارب شكرك حق لست أجحده فما سواك لهذا الخير خلاق (2)

- الشكوى والاستعطاف، نحو قوله:

يا دهر عجلت الصبّا بالقطف لم يزهر ولم يثمر به عُنقود

لا تنكر الدّعوى عليّ معارضاً رأسي عليك وعارضاي شهود

فكأن هذا الهم منك جهنّم وكأن هذا الشيب منك وقود (3)

تحمل هذه الأبيات غرض الشكوى فالشاعر يشكو غدر الزّمان حين عاجل بقطف زهر

الشباب، ثم يستعطف الشباب قائلاً:

فعليك يا عهد الشباب تحية فيحاء ما تلت العهد عهد

في الكأس فضل منك فيه لذاذة وتعلّة مزلت عنه أذود (4)

1 - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 56

2 - نفسه، ص 57

3 - نفسه، ص 21

4 - نفسه، ص 21

ج/ فصل دلالة التركيب السابق عن اللاحق ،نحو قوله في وصف " تيمقاد "

المدينة الرُّومانية العظيمة الموجودة في جبال الأوراس:

وقفت على (تمقاد) وقفة جائل وطفت بها مسترشداً بالدلائل

أردد في آثارها طرف عبّرة علّي منها أعوذ بطائل

عجبت لها من بلدة أثرية خلّت منذ أجيال طوال دوائل⁽¹⁾

فقد بدأ الشّاعر قصيدته بإجمال صورة، تمقاد كونها تعود إلى أجيال طوال، وبعد أن يحصل قبول هذه الصُّورة، يبدأ الشّاعر قي التفصيل بقوله:

صفائحها منقوشةً بلسانها على من يرى معروضة كالرّسائل

تماثلها تبدي لنا كتل بادن قويم من الأجسام جعد الخصائل

تدلّ على عيش طال بها حقبتنا ولكنّه ولا كأحكام قائل*

طرائقها الصّخر رصّت ودورها فما انقضّ منها غير دور قلائل

مبان كأمثال الجبال شماخة تروع النهى بالذكريات الجلائل

فمسرّحها ذكرى لإبداع فنّها وساحتها ذكرى لعرض المسائل

ومعهدّها ذكرى لبثّ علومها وديوانها ذكرى لصون الفضائل⁽²⁾

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص351. / *القاتل : هنا النائم في قيلولة.

² - نفسه ، ص351/352.

إلى آخر القصيدة ، حيث يَعْمَدُ الشَّاعِرُ إلى عرض كل الصُّور ، وبيان كلِّ المزايا التي يمكن أن تُخدم العرض المجمل السَّابِق ، وتفصله ، وكأَنَّها حججٌ منه مَشُوقة إلى المخاطب الذي قبل الخطاب المجمل سابقاً .

ومن هذا الأسلوب أيضاً ، قوله في جمال الرِّيف :

لهم مزامير بالألحان صادحةٌ كأنها في صدى الوديان أبواق⁽¹⁾

ف نجد هنا إجمال وصف المزامير سرعان ما ينتقل إلى التَّفصِيل ذاكراً مصدرها في قوله :

والوحش سلوان في الغابات منطلق والطير جدلان في الأوكار زقزاق⁽²⁾

و من حيث المستوى التَّدَاوِي فإنَّ الشَّاعِرَ يعرض الفكرة مجملة في البداية مما يحدث انتباهاً لدى المتلقي ، واهتماماً لسماع بيان مجمل ، ثم يعمد إلى تفصيلها جزءاً ، جزءاً ، ليضمن من السَّماع ما لم يكن يضمنه لو حصل الحديث بكيفية أخرى فإعجابه بجمال الرِّيف ما كان يتحقق بهذا القدر لو عرض بتفصيل ثم إجمال .

د - تعجيل الطلب وتأخير المنادى وأداته، نحو قوله في قصيدة بعنوان "عيد الحرم":

ت1 : اليوم عيدك لا جرم فاهناً بعيدك يا حرم⁽³⁾

وقوله في قصيدة بعنوان "يا شباب" والتي ألقاها في احتفال مدرسة بسكرة :

ت2 : أنت عنصر الخلود لباب كن الى المجد طامحا يا شباب⁽⁴⁾

1 - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 56

2 - نفسه، ص 57

3 - نفسه، ص 99

4 - نفسه ، ص 259

و ما قاله عن النفس في قصيدة بعنوان: " يا نفس "

ت3 : عرفْتُك يا نفس ازهدني أو ترهبي على كلِّ حال مذهبي فيك مذهبي (1)

ونفس الأمر نجده في قصيدة بعنوان (هذه جذوة) عند قوله :

ت4: فإزع فيها الجنى أيُّها الغارس

قل لشعب سجي ليله دامس

هذه جذوة هل لها قابس(2)

فمن خلال التراكيب السابقة نلاحظ أن الشاعر أحر النداء وقدم موضوع النداء؛ ففي التركيب الأول أحر أداة النداء والمنادى (يا حرم) مقدّما موضوع النداء اليوم عيدك... فاهناً بعيدك ، وفي هذا بيان لتعجيل الابتهاج والفرح بهذا العيد، فالشاعر يريد إبداء ما يعيشه من شعور و التركيز على جوّ الفرح والبهجة السائد أثناء إلقاء الخطاب بمناسبة الاجتماع العام لجمعية العلماء بنادي الترقّي .

كذلك في التركيب الثاني عندما قدّم الشاعر الطلب بقوله : أنت من عنصر الخلود لباب... كن إلى المجد... يا شباب، ففي هذا التّقديم تحسيس بمكانة الشّباب ومجتم المسؤولية الملقاة على عاتقه للنّهوض بالأمة، وإثارةً للسامع ليزداد يقيناً أنّ الشّباب القلب النّابض للمجتمع وفي التركيب الثالث نجد الشاعر يتوجه بكلام نُجاه النفس يؤكد فيه معرفته لها ويؤخر النداء وهذا دليل على تمكن الشاعر من نفسه، ومعرفته لحباياها، وما توسوسه ، فالحديث بهذا السياق يكسب السامع تأثيراً ويوحى له أنّه يستطيع التّحكم في نفسه، وترويضها كما يجب، فلفظة

1 - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 288

2 - نفسه، ص 293

المعرفة هنا شاملة عند قوله: "عرفتك يا نفس" وتعني التمكن من الشيء الذي يبدو صعباً لبعض الناس .

والتعجيل ظاهر في التركيب الرابع من خلال تقديم الطلب ، فإنع فيها الجنى... وتأخير النداء و المنادى، أيها الغارس، فالوضع يتطلب التعجيل فالببت مأخوذ من قصيدة بعنوان "هذه جدوة" ووردت لفظة جدوة، في كتاب الله تعالى في سورة القصص.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٤٩﴾ (١)

وجاء في تفسير الميسر عن معنى جدوة وهي الشعلة من النار؛ لعل آتيكم منها نبأ أو آتيكم بشعلة من النار لعلكم تستدفئون بها. (٢)

فالجزائر كانت تعيش تحت وطأة الاستعمار الغاشم، وبالضبط سنة 1936 م، تاريخ نشر هذه الأبيات في جريدة البصائر فالحالة المزرية من فقر وجهل و قيود تقتضي التعجيل بالطلب وتأخير المنادى وهذا الأمر مهم من الناحية التداولية كونه يحيط بظروف الخطاب، والتي عبر عنها الشاعر في إحدى أبيات القصيدة ذاتها يقول :

نحن في بيئة لصلها حارس^(٣)

1 - سورة القصص، الآية 29

2 - ينظر تفسير الميسر، مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف، إعداد نخبة من العلماء، بإشراف صالح بن عبد العزيز بن محمد آل شيخ، ط2، 1430 هـ / 2009 م، ص389

3 - ديوان ، محمد العيد آل خليفة، ص293

فالظروف المحيطة بالخطاب توحى بالافتراضات المسبقة التي ينطلق منها المتكلم و التي يمكن استنباطها من الرسالة، فلا يجد المتلقي صعوبة في إدراكها، وتصدر هذه الافتراضات عن المعلومات التي اكتسبها المتكلم من خلال محيطه الاجتماعي واجتهاداته الشخصية⁽¹⁾

فعنوان القصيدة، "هذه جدوة" يوحي بحاجة الشعب للشعلة حتى يقتبس منها نارا، ويحارب بها العدو المستبد، وهذا يأتي في سياق ضمنيات الحديث، ووعي السامع بالنظر إلى المحيط الاجتماعي السائد.

هـ - اتفاق التركيب أو تعارضه قصد إغراء السامع وإثارته، نحو قوله:

أيتها الشعر أنت وحي جناني	وصدى خاطري وسحر بياني
أنت مني بمنزل الروح	لكن لست مني إن لم تجب من دعائي
لست مني إن لم تر الفضل فضلا	وتجاز الإحسان بالإحسان ⁽²⁾

فالشاعر يخاطب الشعر كونه وحي جنانه، وصدى خاطره وسحر بيانه، وذلك طلباً للاتفاق المخاطب وسرعان ما يردف ذلك بتركيب يعرض فيه غضبه، واعتراضه وخصومته لهذا الشعر إن لم يجب من دعاه، وبلجوء الشاعر إلى هذه الصورة يكون قد استخدم شيئاً متداولاً في المحيط الاجتماعي، وهو الفضل والإحسان ليضمن بذلك إغراء السامع واستجابته، واتفاقه على أن الشعر رسالة محبة وعلم وأدب .

¹ - ينظر: المعنى وظلال المعنى: أنظمة الدلالة في العربي محمد يونس علي، دار المدار الاسلامي، بيروت - لبنان ط2
2007م، ص153/154،

² - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 265

ويظهر من خلال ما سبق حرص الشاعر على إغراء السامع، وإثارته خاصة إذا علمنا أنّ الأبيات نُظمت بمناسبة اختتام السنّة الدّراسية للمعهد الإسلامي بمدينة باتنة صيف 1960 م ليضيف قائلاً:

أَيُّهَا الطالِبُ الَّذِي رَكِبَ العِزَّ مَ إِلَى العِلْمِ فَارَهَا كَالْحِصَانِ
 قَفٌّ قَلِيلًا أَفْذُكَ بَعْضَ الوَصَايَا وَأَزُودُكَ عِدَّةَ المِيَادَانِ
 أَنْتَ عِنْدِي أَخُو ابْنِ لَقْمَانَ فَظْفَرُ بَوْصَايَاكَ مِنْ أَخِي لَقْمَانَ
 أَخْلَصَ القَصْدَ جَاعِلًا نِيَّةَ الأَعْمَالِ مَا لَ أَصْلَا كَمَا رَوَى الشَّيْخَانِ
 إِتْمَا المرءُ بِالمَقْصُودِ رَهِيْمًا وَمَدِينِ بِمَا جَنَّتَهُ اليَادَانِ
 وَاسْتَعْنِ بِالإِلَهِ لِيَمْنَحَكَ عَوْنًا وَكُفَى بِالإِلَهِ مِنْ مُسْتَعَانَ
 وَعَلَى الصَّدَقِ فابِنِ وَاعْمَلْ بِعِلْمِ لَا بِجَهْلِ يَجْرُ لِلخَسْرَانِ⁽¹⁾

ففي نداءه للطالب أضاف (الذي ركب العزم) وفي هذا تذكير للمنادى ببعض ما يتصف به ليخاطبه بناءً على هذه الصفات، فمادمت أيُّها الطالب تركب العزم إلى العلم كالحصان فإنّ واجبك أن تقف من أجل أن أزودك بالوصايا، كالإخلاص، والاستعانة بالله، و الصّدق لا الجهل الذي يؤدي إلى الخسارة والندامة، وليس أسرع من هذا الأسلوب في إغراء المخاطب واستلامه، وضمن سرعة إجابته، حيث يفصّل المتكلم صورة، ثم يردفها بتراكيب آخر مقترن بها، وهو المقصود في الخطاب.

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 266

-و- تقديم الضمير عن الاسم العائد عليه، لأحداث انشغال السامع وانتباهه، وهذا ما نجده قول الشاعر:

فمُ عَزَّ مصرَ وعَزَّ الشرقَ أقطارا ففحلُ مصرَ حَبَا كالنَّجمِ وانهارا
خطبُ جرى في ضفاف النيل زلزلةً وثار ملء جواء الشرق عصارا
وطار كالبرق ينعى شاعراً لبقاً إلى أقاليم فيها صيته طارا
يا ويح مصر خلت من حافظ وخلا في الهامدين كأن لم يشوها دارا
كأنه لم يجدها كالحيا أدبا جمماً ولم يروها كالنيل أشعارا
يا موت فاجأت من لو ضفت ساحته مهلاً لوفاك ترحيباً وإكبارا

(...)

يارحمة الله هُبِّي نَفْحَةً وهَمِي غيثاً على قبر إبراهيم مدرارا
في ذمة الله لا أنساه ثانية حسبي بْحُبِّي له عهدا وتذكارا¹

فالأبيات من قصيدة ألقاها الشاعر محمد العيد آل خليفة، يرثي فيها شاعر النيل حافظ إبراهيم، فنلاحظ من خلال الأبيات تقدم الضمير "هو"، العائد على الشاعر حافظ إبراهيم عن الاسم الظاهر، "فحل"، وفي قوله: طار (هو)، لوفاك (هو)، إلى أن ذكر في الأبيات الموالية الاسم الظاهر في قوله: على قبر إبراهيم، وهذا التقديم يحدث انشغالاً لدى السامع، ويثير انتباهه قصد معرفة الضمير العائد.

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 456/455.

2. التركيب النحوي وعلاقته بالعمليات الذهنية للمتكلم:

غاية النحو الوظيفي و الدراسات التداولية هي دراسة التراكيب النحوية و تحليلها وفق ما يطابق العمليات الذهنية الحاصلة لدى المتكلم، حيث « إنَّ هذه التحليلات على تفاوت كفايتها كفيلة برصد الخصائص البنيوية (الصورية) على أساس أنها تجليات لخصائص وظيفية مرتبطة بالغرض التواصلية المروم إنجازها»⁽¹⁾

ولقد تمكنت من الوقوف على عدد من التراكيب النحوية التي تعكس العمليات الذهنية والتحويلات الحاصلة في ذهن الشاعر، ومنها :

أ- توافق التركيب لأحاسيس الشاعر ترتيباً، نحو قوله :

هل للمساجين من عفو ومن حرج	تساءل الشعب في ضيق وفي حرج
روح من العفو صفو طيب الأرج	هل للذين بسجن الكدية اعتقلوا
فرما جرنا التضييق إلى المرج	قل للؤلؤة دعوا التضييق واقتصدوا
مادام في سيركم ضرب من العرج	وليس يصلح سير التابعين لكم
على كواهله ترقون في الدرج ⁽²⁾	عودوا على الشعب بالحسنى فإنكم

فالأبيات من قصيدة نظمت بمناسبة سجن الاستعمار للعلماء الجزائريين بتهمة فتح مدارس في بعض القرى الصحراوية، ومباشرتهم التعليم فيها بأنفسهم، بدون رخصة، ونشرت في الجزء السابع المقطع العاشر من مجلة الشهاب الصادرة في رجب 1358هـ أوت 1939م.

¹ - الجملة العربية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، منشورا عكاظ، الرباط، المغرب، 1988، ص 185

² - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 62

والملاحظ على تراكيب هذه الأبيات، أنّها وردت مرتبة بشكل متناوب بين الخبر والإنشاء، حيث عرض الشاعر صورة الشعب، وهو في ضيق وحرَج جِراء سجن العدو لأولئك الأبطال وهي صورة إجمالية، ثم قام بإيضاحها بتراكيب أخرى في قوله: "قل للولاة دعوا واقتصدوا" وهي أيضا تراكيب مرتبة بحسب ورود أفكارها في نفسية الشاعر، فقد أحسَّ في البداية بمدى وقع صورة الضيق الذي يعيشه الشعب جِراء الاعتقالات، والانتهاكات المستمرة من طرف المستدمر الفرنسي، وسرعان ما تعدّد إحساسه إلى جملة أحاسيس أخرى، فاستفهم، و أمر بترك التضييق وطالب بضرورة العودة على الشعب بالحسنى. فانتقال المتكلم من الإحساس العام إلى الأحاسيس الجزئية يظهر على مستوى الجملة في الانتقال من أسلوب الاستفهام إلى الأمر.

ب - توافق ترتيب التراكيب للواقع:

ويظهر ذلك من خلال وصف مشهد من مشاهد البؤس الكثيرة التي عرفتها الجزائر، فيقول:

بدا لـعيني تا عـسُّ ناعس	على الثرى في الصُّبح بالي الثياب
جاث على الرجلين جاني الحشى	والظهر هاوي الجسم ذاوي الشَّبَاب
فهاج من حزني ومن ولـعتي	كما يهيج النَّار عود الثـقَاب (1)

لقد بدأ الشاعر تراكيبه بوصف عام لمنظر المسكين البائس وهو على الثرى، ساعة إصباح وثيابه بالية، والواقع أنّ هذه الصورة هي أول ما يعائنه المتكلم إن كان حاضرا أمام هذا المشهد، ليشرع بعد ذلك في تفصيل أجزاء المشهد، في قوله: جاث على الرجلين، ظهره هاوي....، فترتيب هذه التراكيب مطابق لترتيب حصول معانيها في الواقع.

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 28

ج- مخالفة ترتيب التراكيب للواقع:

تختلف التراكيب بحسب اختلاف المعاني في الواقع، مثلما هو الحال في قصيدة بعنوان الترحيب بالحجاج والتي نشرت في جريدة البصائر في العدد 94 سنة 1949م، يقول فيها:

ألسنا من الأجناس أفصحهم فمأً وأسمحهم ديناً وأصلحهم أبا؟⁽¹⁾

يعرض الشاعر في هذا البيت سؤاله وتمتد المعاني في ذهنه، وتتوالد الأسئلة باحثة عن هؤلاء العظماء، أهل السّماحة والإصلاح إلى أن يقول:

فهل أنجبوا فيها (عليّاً) و(خالداً) و(عمرأً) و(معنأً) و(ابن قيس) و(مصعباً)

وهل أنجبوا مثل (الغزاليّ) باحثاً ومثل (ابن خلدون) خبيراً مدرّباً؟

وهل أنجبوا مثل (ابن حيان جابراً) وهل جرّبوا من قبل ما كان جرباً

وهل نشروا في الكون عدلاً ورحمة كأجدادنا أم صيّروه مُخرباً؟⁽²⁾

وفي هذه الأبيات ينتقل الشاعر إلى الإجابة بأسلوب إنشائي طلي غير حقيقي يتضمن الردّ عن الاستفهام الموجود في التركيب السابق عند قوله: ألسنا أفصحهم؟....، ليجيب مستعرضاً عظماء الأمة الإسلامية، كعلي وخالد وعمر وغيرهم؛ ليجعل تراكيب الأبيات في شكل مختلف، من سؤال عام إلى أسئلة فرعية تحمل أجوبة، مما يطابق اختلاف المعاني وتداخلها في ذهنه.

¹ - ديوان، محمد العيد آل الخليفة، ص 195

² - نفسه، ص 195

1- القوة الإنجازية في التراكيب النَّحوية :

تعتبر القوة الإنجازية أحد اهتمامات الدّراسات التّداولية، وتشمل الجملة أو النّص وما يهدف إليه أثناء التواصل؛ كالأخبار والاستفهام والأمر، أو غير ذلك (1).

ونجد في الديوان الكثير من القوى الإنجازية، والتي تُظهر اهتمام الشّاعر بقضية وطنه، ورغبته الصادقة في التّبليغ.

أ- أنواع القوى الإنجازية في الديوان

أ-1- الدعاء:

ويستعمله الشّاعر بغية تقوية إنجازية العبارة وأدائها، ويكون دعاءً للمخاطب في الكثير من الحالات أو عليه.

ونجد ذلك في قول الشّاعر:

سقى الله حزب المصلحين سواجماً من النّعم العُظمى علّتها سواجم (2)

فالتّركيب مأخوذ من قصيدة بعنوان: "بلادي"، وقوته الإنجازية ظاهرة في دعاء الشّاعر لحزب المصلحين، على ما قاموا به، من تعليم القرآن، وإرشاد الأجيال إلى طريق الصّواب.

وتظهر نفس القوّة الإنجازية عندما يواصل الشّاعر حديثه عن الإصلاح والمصلحين، في قصيدة بعنوان "رعد البشائر"، بمناسبة الأعمال والدروس التي قام بها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليتوجه بالدعاء يقول:

1 - ينظر: الوظيفة بين الكلية والنمطية: أحمد المتوكل، ص17

2 - نفسه، ص137

جزى الله عنا من سعى لإصلاحنا ومن كان عوناً للصالح لمن سعى⁽¹⁾

ففي التركيب قوة إنجازية تتمثل في الدعاء والذي يعتبر مصدر انتباه التفات السامع وتأثره بالخطاب الملقى عليه، ولا يجد حرجاً في قبول الدعاء والتأمين .

ونظراً لاهتمام الشاعر بالتعاليم الإسلامية، نجده يواصل استعمال عبارات إنجازه في دعائه لأهل العلم حيث يقول :

رعى الله في أرض الجزائر نهضة مباركة في العلم تسمو إلى النجم

وترمي إلى أهدافها بقصودها موفقة الأنظار صائبة السهم⁽²⁾

وتظهر قوة التركيب الإنجازية في الدعاء دائماً كونه يثير السامع ويرفع من قيمة الرسالة التي يريد الشاعر إبلاغها، فيكسب الخبر بروزاً أكثر والمتلقي اهتماماً، في بلوغ مرتبة العلم حتى ينال ثناء مجتمعه ورضى ربه.

أ-2- النداء:

والنداء لغة هو: " ، أمّا اصطلاحاً⁽³⁾ : « فهو طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد حروف النداء ملفوظاً كان حرف نداء أو ملحوظاً »⁽⁴⁾ ويقول سيبويه عن النداء : "إنّ النداء هو كلُّ اسم مضاف فيه نصب على إضمار الفعل المتروك"⁽⁵⁾.

¹ - ينظر : الوظيفة بين الكلية والنمطية: أحمد المتوكل، ص188

² - نفسه، ص203

³ - شرح المفصل 2. ابن يعيش /ص3

⁴ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، عبد الحميد محي الدين، القاهرة، 3/ 1961/ص16

⁵ - سيبويه، أبو بشر، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1991، ص86

والنداء من الأدوات الإنجازية التي تحقق مقاصد العبارة، ولقد ورد في ديوان الشاعر محمد العيد آل خليفة ملفوظاً كان أو مقدرًا، نحو قوله :

ت 1 : عليكم أيها القوم سقته إليكم كبسم الله في الأمر ذي البال (1)

ت 2 : يا عبد ثق بالله يكفيك وحده يا عبد سلّه يجبّك بالإسراع (2)

ت 3: أيها الشعب وكل اسم سما فهو بعد الله للشعب مدين

لك مني الشكر جزلاً خالصاً بعد شكر الله خير الشاكرين

(....)

ولقيت الخطب جلدًا صابرًا فانعم اليوم بعقبى الصّابرين (3)

وقع النداء في التراكيب السابقة اعتراضاً بين عناصر متلازمة، ففي التركيب الأول، حصل التفات المخاطب في قول الشاعر (السلام عليكم) وأضاف النداء (أيها القوم) والذي يعد تأكيداً لطلب التفات واهتمام زائد .

وكذلك في التركيب الثاني نجد الشاعر كرّر النداء في الشطر الثاني للغرض نفسه، وفي التركيب الثالث استعمل النداء أيها الشعب لإثارة الاهتمام، وإبراز قيمة المنادى، خاصة إذا علمنا أن الشاعر بصدد تقديم الشكر لهذا الشعب الصّبور العظيم .

وهنا تظهر قيمة التداولية، كون الشاعر يوظف النداء كقوة إنجازية يثير من خلالها السامع ويجعله يعتني بالموضوع .

1 - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 125

2 - نفسه، ص 140

3 - نفسه، ص 172

كما هو الحال في قوله :

أَيُّهَا الْقَوْمُ تَحَلُّوا بِالرِّضَى وَتَحَفُّوا بِالرِّجَالِ الْمَكْرَمِينَ

(...)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ فِي السُّلَالَةِ مِنْ أَبٍ وَأُمٍّ فَكُونُوا إِخْوَةً شَرَعًا⁽¹⁾

فالقوة الإنجازية تظهر في لفت انتباه المنادى ودعوته إلى التحلي بالرضى، والتذكير بالأخوة الجامعة، والهدف من استعمال النداء جلي هاهنا لأنه يثير انتباه التلقي ويجعله يستعد لتلقي الخطاب .

أ- 3- النَّعْث

يستعمل النَّعْثُ في الجملة من أجل الإيضاح، وقد يكون مفرداً أو جملة وجاء، في كتاب جامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني أنّ النَّعْثُ: « ويسمى الصفة أيضا ويذكر بعد الاسم لبيّن بعض أحواله أو أحوال ما يتعلق به». ⁽²⁾

فحقّ للنَّعْثِ أَنْ يستعمل كقوة إنجازية في التّركيب بالنّظر إلى أهميته البالغة في التبيان والايضاح، ومن شواهد ذلك في الديوان :

ت1: بشرى لنا بحكومة عربية شعبية رعت البلاد لتعمراً⁽³⁾

ت2: فواء الغاب أشبال حمت حرما لغاب شديداً الضراء⁽⁴⁾

¹ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 173

² - جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة جديدة منقحة، 2009 م، ص 551

³ - نفسه، ص 443

⁴ - نفسه، ص 496

نجد في التركيبين قوة إنجازية في اهتمام المتكلم بالنعث المفرد في قوله: حكومة عربية شعبية، والنعث جملة في قوله (حمت) ، لتظهر قيمة النعث التداولية ، في إيضاحه للمعنى حتى يصل إلى المخاطب بصورة جليّة ويتحقق له الإبلاغ .

أ- 4- الحال:

للحال قيمة تداولية بالغة، كونها وصف تذكر لبيان هيئة الاسم الذي يكون وصف له، ولا فرق بين أن يكون الوصف مشتقا من الفعل، أو اسما جامداً في معنى الوصف المشتق (نحو عدا خليل غزالاً). أي مسرعاً كالغزال ، ومعنى كونه فضلة أنه ليس مسندا ولا مسندا إليه، وليس معنى ذلك أنه يصح الاستغناء عنه. ⁽¹⁾

فالحال لها قيمة عالية لتوفرها على أدوات إنجازية من جهة، وارتباط مفهومها بأداء الفعل من جهة أخرى، مما يجعلها أكثر ارتباطاً بأداء اللّغة وأكثر إحالة على واقع استعمالها، ومن شواهد ذلك في الديوان :

- ت1: وقضى بتغريب الجزائر كلّها مستقبهاً تغريبها مُستنكراً⁽²⁾
- ت2: فالشّعب أجمع يُخنفي بك راضياً مستبشراً ويراك عيداً أكبراً⁽³⁾
- ت3: خرج الإصلاح من محنته "وهو عالي" الرّأس وضّاح الجبين⁽⁴⁾
- ت4: تتعالى منائرُ الحق فيها من بعيد لخائضي الظّلماء⁽⁵⁾

¹ - ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص 455

² - الديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 443

³ - نفسه، ص 446

⁴ - نفسه، ص 169

⁵ - نفسه، ص 436

وردت الحال في التركيب الأول في قول الشاعر مستقبحا، وهو بصدد الحديث عن ميلاد التحرير وكيف استطاع الشعب أن يتحرر من قيود المستعمر الساعي إلى فرنسا الجزائريين فهذا قبح ما بعده قبح، فتوظيف الشاعر للحال أعطى العبارة قوة إنجازية واستمال المتلقي، ليبلغه حجم المعاناة، وزاد الوضوح في العبارة ذاتها في لفظة مستنكرا الواقعة حالا، حيث عمد الشاعر إلى تعديد الحال، ليعطي السامع صورة واضحة عن خطط العدو القبيحة، وكل قبح يستدعي حتما الاستنكار.

وفي التركيب الثاني يتحدث الشاعر عن ذكرى الاستقلال وعيد النصر في قصيدة رائية رائعة، موظفا الحال في قوله: راضيا، ومستبشرا؛ فتعدّد الحال يُعطي دلالة إنجازية وقوة بيانية للمعنى فأصبح المتلقي يدرك حالة الشعب وهو يفتخر بالنصر بل اعتبره عيداً كبيراً.

وورد الحال في التركيب الثالث، جملة فعلية: (وهو عالي الرأس)) وهنا تظهر القوة الإنجازية لهذه الجملة الواقعة حالا، فهو يبين كيف للإصلاح أن يخرج وهو عالي الرأس شامخا، وجبينه وضّاح واقتران الجملة الواقعة حالا مع صيغة المبالغة "وضّاح" على وزن "فعل"، أعطى التركيب دلالة أكبر على دور الإصلاح في المجتمع ودوره في تبيد الظلام.

- أما في التركيب الرابع: نجد الحال وقع شبه جملة (من بعيد) ليوضح الشاعر كيف أنّ في الجزائر منائر الحق تعلو وتظهر من بعيد لتبدّد حُجب الظلم والظلام، فالقوة الإنجازية للحال تظهر في وروده شبه جملة (من بعيد) حيث أعطت للسامع صورة واضحة عن حالة المنائر وهي تتعالى من بعيد.

أ- 5- التكرار/الترداد:

ورد في قاموس المحيط: "ردّ رداً، مرداً، مردوداً، صرفه والترداد التردد.... والارتداد الرجوع"⁽¹⁾

وجاء في لسان العرب "ردد، الرد : صرف الشيء ورجعه والرد مصدر رددت الشيء، ورده عن وجهه يرده رداً ومرداً وترداداً: صرفه وهو بناء للتكثير - قال شمر: الردة لعطفه عليهم والرغبة فيهم ورده ترديداً وترداداً، فتردد"⁽²⁾

وفي معجم الألفاظ والإعلام القرآنية نجد معنى الترداد على النحو التالي: "رده عن كذا صرفه

وأرجعه... ووراده الشيء أرجعه إليه ... قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾⁽³⁾

وقد أوردت المعاجم الاصطلاحية العلمية واللغوية اللسانية هذه المادة، كورودها في قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية " التردد: répétition"⁽⁴⁾.

والتكرار يرادفه التكرار إلا أن المعاني نجدها تارة تتشابه، وتختلف تارة أخرى، ومرد ذلك إلى إشكالات المصطلح التي تطال كل بحث أدبي أو لغوي، ومن أجل ذلك اعتمد على أمهات الكتب والمعاجم لإيضاح دلالة المصطلح .

ويقول سيويوه في معرض حديثه عما لحقته الزوائد ... : « وليس في الكلام مفعال و لا فعلال و لا تفعال إلا مصدرا ، وذلك نحو الترداد و التقتال ». ⁽⁵⁾

¹ قاموس المحيط، الفيروز آبادي، محمد مجد الدين بن يعقوب محمد ابن إبراهيم الشيرازي الشافعي (ت 817هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1، 1995م، ص304 .

² - لسان العرب، لابن منظور ، مادة (ردد)

³ - سورة التين الآية 5

⁴ - قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ، إميل يعقوب و آخرون ، عربي انجليزي فرنسي، دار العلم للمليين ، بيروت ، ط1 ، 1987، ص118.

⁵ - الكتاب، سيويوه ، 257/4.

ويعدّ التكرير من محاسن الفصاحة، وهو أبلغ من التأكيد كون يقرّر الشّيء، ونجد في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (1)، يقول الزّمخشري: "كرّر ليجدوا عن سماع كلّ نبيّ انقطاعاً وتنبهها، وإن كلاً من ذلك الأنباء يستحق لاعتبار يختص به، وأن ينتبهوا كي لا يغلبهم السرور والغفلة" (2)

والتكرار على هذه الصورة له قيمة تداولية تتمثل في اهتمام المتكلم بالمخاطب، حين يعلم أنّ خيراً ما قد يثير في ذهن مخاطبه احتمالات عدّة، فيكرّر الخبر ذاته إزالةً لهذه الاحتمالات، وتثيتاً لما يقصده في ذهنه و شواهد جمّة في الديوان، يقول في قصيدة بعنوان "يا نفس":

عرفتك يا نفس ازهدني وارهي على كل حال مذهبي فيك مذهبي

عرفتك نفساً بالغرور مريضة قديماً فما تجدي ضروب التّطيب (3)

إلى أن يقول:

ت 2:

حسبت شعاع الشمس في الأرض مورداً وما هو فوق الأرض غير التّلهّب

حسبت شعاع الشمس في الأرض ثابتاً وأيّان ما تغرب به الشمس يغرب (4)

لجأ الشّاعر للتكرار قصد التأكيد على شعوره تجاه النفس التي أصبح يعرفها معرفة جيّدة فراح يطاوعها، ويقابلها بالرّهد، بعد عدم جدوى التّطيب معها كما قال، والتكرار على هذه الصّورة يدل على القوّة الإنجازية في الأداء وحسن بلوغه إلى المخاطب. وفي التركيب الثاني الأمر نفسه

1 - سورة القمر الآية: 32

2 - الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 66/ 67

3 - الديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 288.

4 - نفسه، ص 289

عند توظيفه للفعل حسب وتكراره، وهو فعل متعدي إلى مفعولين، فالأول شعاع والثاني مورداً ، وكذلك في البيت الموالي الفعل حسب، ومفعوله الأول مكرراً في لفظة شعاع، وهذا تأكيد من الشاعر وهو يخاطب النفس، لبيّن لها قوته ولن تستطيع التّيل منه كما يتوهم لها ، شعاع الشّمس مورد ماء لكنه مجرد سراب ، وإن كانت تراه أو تحسبه ثابتاً فهو متحرك وملازم للشّمس حتى المغيّب فنلاحظ روعة تعبير الشّاعر في التّكرار الدّال على حقيقة النّفس، ومبالغتها في الأمر بالسّوء وإيهامها للإنسان العجول .

كما نجد التّكرار ظاهر في قصيدة نظمها الشّاعر بمناسبة نقل رفات رمز الكفاح الجزائري الأمير عبد القادر من سوريا إلى وطنه الجزائر ، حيث يقول:

تبارك نصر بالبطولات شاهد	وعيد به عاد الأمير المجاهد
تبارك عيد النّصر عاد بآية	كآية (عيسى) مالها اليوم جاحد
رفات كريم للممات مفارق	وميّت عظيم للحياة معاود
رفات على نعش وإن قلت واصفا	ملك على عرش فما أنت حائد ¹

(....)

فأهلاً وسهلاً بالأمير مشرفاً	حماه عزيزاً والزمّان مساعد
وأهلاً وسهلاً أنت أكرم وافد	علينا ومن في العصر مثلك وافد؟ (...)

¹ - الديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 506

وأهلاً وسهلاً أرضك اليوم حرّة وجيشك منصور وشعبك راشد⁽¹⁾

إنّ القيمة التداولية للتكرار تظهر من خلال اهتمام المتكلم بالمخاطب، فيعبر عن شعور فيه الكثير من الاحترام تجاه هذا القائد العظيم مؤسس الدولة الجزائرية، ليكرّر في كل مرّة لفظة أهلاً وسهلاً في إشادة واضحة بعظمة الوafd على شعبه، كأنّه حي يرزق.

أ- 6 - التوكيد اللفظي والإضافات:

ونجد ذلك في قوله:

ت1: والكريم الكريم من مدّ جسرا لبواقبي واحتثّهم للعبور

إتّما هذه الحياة مجال لاكتساب العلى وذخر الأجور⁽²⁾

ت2: فليجاهد في الحق كل محقّ وليدافع بالصّبر كل صبور⁽³⁾

في التركيب الأول كرّر الشاعر لفظة الكريم من باب التوكيد والتّقرير للكلام الحاصل بعده فكأنّه يهياً السّامع، ويثير اهتمامه بغية معرفة من هو الكريم، ليكتسب التوكيد قوّة إنجازية ويسهل بذلك الإبلاغ إلى المخاطب.

أمّا بالنسبة للإضافات فتجد لفظي المحقّ وصبور في التركيب الثاني المضافتين (لكلّ) ، فالحق لا ينسب إلا لأصحابه وكذلك الصّبر، فنلاحظ لفظة صبور جاءت على وزن فعول وهي صيغة مبالغة فجعلها الشاعر أكثر دلالةً قصد التّقرير والتوكيد.

¹ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 507

² - نفسه، ص 106

³ - نفسه، 107.

ب- تعدّد القوى الإنجازية:

تعدّدت القوى الإنجازية في التركيب الواحد قصد إنجاح الخطاب ومضاعفة لشروط تحقيقه ومن شواهد ذلك:

ب-1- تعدّد الإشارة في التركيب :

ومثال ذلك ما ذكره في قصيدة بعنوان : "تحية شاعر إلى الرئيس جمال عبد الناصر":

ت1: هذا (صلاح الدين) منصف خصمه أم كامل رب البيان الساحر

هذا (جمال الدين) حر الفكر أم هذا جمال الشرق (عبد الناصر)⁽¹⁾

وقوله في قصيدة بعنوان دعاك الأمل بمناسبة حفلة تدشين دار الحديث بتلمسان

ت2: دعاك الأمل لخير العمل

(....)

فهذا قضى وهذا ارتحل

وهذا عنّا له وامثله⁽²⁾

والملاحظ هو أنّ الدلالة تحدّد عن طريق الإشارة في التركيب؛ ففي التركيب الأوّل نجد إشارة الشاعر إلى جمال عبد الناصر على أنّه صلاح الدين ، ثم جمال الدين وفي ذلك دلالة تاريخية هادفة ، قصد تحقيق غاية تواصلية بين المرسل والمرسل إليه ، والذي يدرك قيمة الرّجل من خلال تعدّد الإشارات في التركيب ولتظهر تداولية الخطاب بشكل جليّ وواضح.

¹ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 220

² - نفسه، ص 233/236

وفي التركيب الثاني يشير الشاعر إلى الانجاز المحقق، مشيراً إلى تكاثف الجميع وسعيهم في تحقيقه ففي تلك الإشارات صورة واضحة لمعنى التكافل، والتعاون والتآزر إحياءً للعلم وتنويراً لعقول .

ب-2- تعدّد الدعاء في التركيب :

ونجده على نمطين : فالأول على سبيل الدعاء للمخاطب :

نحو قوله في قصيدته المشهورة "وقفه على قبور الشهداء":

ت1: رحم الله معشر الشهداء وجزاهم عنا كريم الجزاء

وسقى بالنّعيم منهم تراباً مستطاباً معطرّ الأرجاء

(...)

لمنّ منك قد مضى ألف رحمي ولمن عاش منك طول بقاء⁽¹⁾

فتعدّد الدعاء في التركيب الواحد يوحي بتعلّق الشاعر بالمخاطب والاهتمام به وتعظيماً لشأنه وهو القائل في القصيدة ذاتها :

هذه في الثرى قبور حوتهم أم قصور تسموا فوق الجوزاء⁽²⁾

فنجد الشاعر لم يغادر الدعاء للمخاطب في قوله : رحم، جزاهم، سقى، ...ألف رحمي طول بقاء، وفي ذلك قيمة إنجزائية هادفة ؛ ليزداد اهتمام السامع بالموضوع و يلتفت حوله بلطف.

1 - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص: 435/437

2 - نفسه، ص435

والنمط الثاني هو الدعاء على المخاطب ، نحو قوله:

خيِّب الله كلَّ من كاد للشَّعْـ ب بفضم العرى وقطع الحبال

خيِّب الله من مشى فيه بالدس فأوهى روابط الأجيال⁽¹⁾

يدعو الشاعر في هذا التركيب على كل من أراد الكيد للشَّعب بقطع أوصاله، وإضعاف روابط الأجيال، فتعدّد الدعاء على المخاطب بهذه الصورة يلفت انتباه السامع، ويلتفت حول خطاب المتكلم، وهنا تظهر قيمة الدعاء الإنجازية في كسب ثقة المتلقي، لأنّ الأمر يتعلّق بالجزائر وسيادتها.

ب-3- اتحاد النداء والاستفهام والأمر في التركيب الواحد :

في قصيدة بعنوان يا معشر الطلاب :

ت1: يا معشر الطلاب هل من آخذ بالذكر أو متمسك بعصامه ؟

فتشرفوا بالأخذ من آدابـه وتعرفوا بحلاله وحرامـه

(....)

يا معشر الطلاب هل ناهض بالشَّعب حرّ حافظ لذمامه

أو باعث في الشَّعب روح إباية منكم فموت الشَّعب في استسلامه⁽²⁾

¹ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 42

² - نفسه، ص 90

ويقول في قصيدة بعنوان سلوا التاريخ:

ت2: بني الإسلام هذا يوم ذكرى معطرة على مـرّ العهود

سلوا التاريخ عن أزكى رسول رؤوف في الكتاب بكم ودود

(....)

فهل للمسلمين اليوم عود إلى ما ضاع من شرف الجود

وهل لرجالهم عزمات صدق إلى الأهداف تقدح كالزود⁽¹⁾

نجد في التراكيب السابقة تعاون النداء والاستفهام والأمر على تأكيد المعنى للسامع ففي التركيب الأول استعمل الشاعر النداء للفت انتباه السامع في قوله: يا معشر الطلاب ليُتبعه باستفهام في قوله: هل من آخذ... ثم ينتقل إلى الأمر في قوله: فتشرفوا بالأخذ..

فهذا التعاون حقق أثرا بالغاً على المتلقي، لأنّ الشاعر تدرّج بالسامع عبر الأساليب الإنشائية الطلبية الثلاثة ممّا يثبت قوّتها الانجازية؛ في ترسيخ الهدف لدى الطالب وهو ضرورة الأخذ بالذکر والتمسك به ومعرفة حاله من حرامه.

وكذلك في التركيب الثاني، يتوجه الشاعر بنداء إلى بني الإسلام ليتبعه بأمر في قوله: سلوا التاريخ... ليخلص إلى استفهام في قوله: فهل للمسلمين اليوم عود...؟ ، وهل لرجالهم عزمات صدق...؟؛ فهذا التدرج من النداء إلى الأمر وصولاً إلى الاستفهام يكسب المعنى دلالة أكبر وتصبح الصورة أكثر وضوحاً لدى المتلقي، وما بقيّ عليه إلاّ العزم على التنفيذ ، فأبناء الإسلام وجب عليهم الإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم حتى يعودوا إلى مجدهم وعزّهم

¹ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 200

المفقود ، و لا يكون ذلك إلا بوجود رجال يميّزهم الصدق والإخلاص في العمل. فمن خلال هذا التظافر للأساليب الإنشائية يمكن الحكم على تداولية الخطاب وقيمتها التواصلية.

ب-4- اتحاد الأمر والنداء والنهي والاستفهام في التركيب الواحد:

ونجد ذلك في قوله:

فثق أيّها الأستاذ واطبع نفوس النشء بالصّور البهايا

ولا تياس من الثمر المرجى فإنّ ثراك مخضّر الحشايا

وكيف يموت شعب عبقرى به الفتيان تنبع و الفتايا⁽¹⁾

ففي هذا التركيب نجد الشاعر ينتقل من الأمر إلى النداء وليس العكس ، لأنّ الأمر ها هنا يقتدي بالنصح والإرشاد وهذا سبب عودة الشاعر إليه مباشرة بعد النداء في قوله : فثق أيّها الأستاذ واطبع ... ، ليتوسط النداء أسلوب الأمر، وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى النهي مباشرة في قوله : " لا تياس " ويختتم كلامه باستفهام فيقول: "وكيف يموت شعب عبقرى؟" ؛ وعن دلالة هذا التدرج في الأساليب الإنشائية الطلبية يمكن استخلاص ما يلي:

1-/الأمر: ضرورة التثيف + 2/النداء : أيّها الأستاذ+3/ الأمر : وجوب طبع النفوس

4 / +النهي: عدم اليأس+5/ الاستفهام: كيف يموت شعب عبقرى؟.

فإذا تحققت الثقافة من طرف الأستاذ و تمكن من طبعها في النشء دون ياس فسيخلص إلى نتيجة مفادها : حياة الشعب وبقائه ، لا موته وزواله ، وبهذا يكون قد تمكّن الشاعر من جمع أغراض الأساليب الإنشائية الطلبية السابقة وهي: النصح ،ولفت لانتباه ،والإرشاد والإنكار

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص217.

لنتيجة السلبية، بغية التأثير في السامع مع إبلاغ رسالته عن طريق الإقناع وهذا هو الهدف السامي للتداولية .

ب- اتحاد التكرار والتوكيد في التركيب الواحد :

يقول في قصيدة بمناسبة الذكرى العاشرة لفتح نوفمبر:

نوفمبر قد وافى على اليمن والبشرى بعاشرة الذكرى لثورتنا الكبرى

نوفمبر قد وافى فأهلا ومرحبا شهر ركبنا فيه مركبنا الوعرا

نوفمبر قد وافى الجزائر طاويا من الثورة الكبرى سنين لها عشرا⁽¹⁾

لقد تعددت القوى الإنجازية في التركيب من خلال استعمال الشاعر لأدوات تسهم في عملية الإنجاز كالتكرار لعبارة "نوفمبر"، وما تحمله هذه اللفظة من دلالة واضحة في نفسية المخاطب، وتوظيفه لحرف التحقيق "قد" المقترن بالفعل الماضي، ليؤكد ابتهاج المتكلم بذكرى عزيزة على كل مواطن جزائري، فيعتبر "التكرار" والتوكيد بـ: "قد" المتصلة بالفعل الماضي، من الوسائل الإيحائية المؤثرة في السامع فتحمله إلى الاندماج العفوي، والقبول الثابت بأحقية التعظيم والاحتفال بشهر الثورة المجيدة .

اللواحق الإنجازية في تراكيب الديوان :

ونقصد به كل الوحدات اللغوية التي تكون مسؤولة عن توجيه الخطاب وإنجازيته، نحو أسماء الاستفهام، وأسماء الشرط..... وغيرها، كأدوات الاستفهام والشرط وأسماء الإشارة، وما هو دال على المستقبل، كسوف وسين التسوية، لتحديد دلالة التركيب.⁽²⁾

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة ص 438

² - ينظر، في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص 54

أ- الإشارات:

تلعب الإشارات دوراً هماً في تحديد دلالة التركيب، ليس من حيث معناها التّحوي فحسب بل لأنّها الوحدات اللّغوية التي تُلم بالعناصر، المحيطة بعملية التّواصل لتحديد دلالتها.

أ- 1- الإشارات التّشخيصية :

وهي اللّواحق التي تشير إلى معان في شخص المتكلم أو السّامع أو في أحد عناصر التركيب ، ودلالاتها ضرورية لأنّها تلم بجوانب الموضوع بصورة كاملة، ومن أشاكلها في الديوان :

* إشارة المتكلم الى معرفة سابقة :

نحو قوله :

ت1: هنا استمدت ثورة من ثورة وتعزّز لأوراس ب الأهرام

هنا تلقى ثائر عن ثائر أسمى دروس الضّاد والاسلام (1)

ت2: إذا ما تعاوننا في مرام فعلى البرّ لا على العصيان

بين هذا وهذه من عفاف برزخ حاجز لا ييغيان

بين هذا وهذه واجبات وحقوق عن فعلها يسألان (2)

يشير الشّاعر في التّركيب الأول إلى صورة مكان في ذهنه وعلى السّامع الإحاطة بملاسات هذه الصّورة لبلوغ دلالة كاملة ، والأمر نفسه في التّركيب الثاني ، عندما أشار إلى الرجل باسم

1 - ديوان محمد العيد آل خليفة ، ص 239

2 - نفسه ، ص 268

الإشارة: هذا وإلى المرأة بتوظيف اسم الإشارة هذه ، فواجب على السّامع إدراك صورة الرجل المستخلص من اسم الإشارة وكذلك صورة المرأة ، ودورهما المشترك في صناعة حياة الأمة.

* الإشارة إلى معرفة مشتركة بين المتكلم و السّامع وعليه إدراكها:

نحو قوله :

في مثل هذا اليوم ريعت أمّي بالاحتلال ونالها ما نالها

ولعلّ من جعل الصّليب يظلمها سيّير من خلف العُيوم هلالها⁽¹⁾

فإشارة الشّاعر الى اليوم الذي تم فيه احتلال الجزائر وهو الخامس جويلية 1830م ليُنزم السّامع بضرورة إدراك تلك المعرفة المشتركة التي تجمع بينهما ذهنيا، فيستحضرها لتحصل له الدلالة الكاملة، علما أنّ الأبيات نضمها بمناسبة احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلال الجزائر سنة 1930 م.

أ- 2- الإشارات المكانية:

وهي لواحق تشير إلى مكان ينبغي أن تشمله دلالة المتكلم، ويدركه السّامع لتنجح العملية التواصلية ومن أشكال ذلك في الديوان :

* إشارة المتكلم إلى مكان صريح معلوم لدى السّامع:

وفي هذه الحالة يجب على السّامع أن تكون له معرفة بحيثيات الموضوع، حتى تتم عملية التّواصل بنجاح.

¹ - السابق، ص 515

نحو قوله:

ت1: هذه في الثرى قبور حوتهم أم قصور تسمو في الجوزاء⁽¹⁾ ؟

ت2: هذه ثورة عليها اجتمعنا وارتفعنا لقمة الأبطال⁽²⁾.

ت3: وإذا ساءك الجحود فسامح لا تجاز التكران بالتكران

هذه قمة الفتوة فاصعد مستواها تكون فتى الفتيان⁽³⁾.

فالمتلقي على معرفة مسبقة بالموضوع، حيث نجد في التركيب الأول الشاعر يُشيد بالشهداء ، وبقيמתهم عند ربهم، فالسّامع يُدرك مكانة الشهيد وقُدسيّته .

وكذلك في التركيب الثاني فالحديث حول الثورة التحريرية والتي تجمع بين كل الجزائريين ، فالمخاطب يدرك ذلك الاتحاد الذي تمخض عن الثورة، فأصبحت الإشارة إلى مكان واحد وقلب واحد ، فلم يعد هناك فرق بين الشرقيّ والغربيّ والقبائلي والشاويّ، والمزابيّ.... بل مكان وحيد وهو ثورة الجزائر الجامعة .

وفي التركيب الثالث، يتفق المتكلم مع المتلقي في جانب الارتقاء بالنفس والتّرفع عن ردّ الإساءة، حتى يتمكن من الصُّعود إلى قمة الفتوة، فالأبيات مأخوذة من قصيدة بعنوان: هذه قمة الفتوة، ألقاها على طلبة بالمعهد الإسلاميّ بباتنة سنة 1965 م، ومن تم ليس غريب أن يتحقق النجاح التّواصلّي مادام السّامع على دراية بهذه المجالات المعرفية في التّراكيب الثلاثة السالفة .

¹ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص435

² - نفسه ، ص428

³ - نفسه، ص266 /ص267

* الإشارة إلى مكان مبهم لدى السّامع :

وفي هذه الحالة على السّامع أن يلتفت إلى عناصر أخرى في القصيدة ليدرك دلالتها المكانية، حتى لا يكون فشل في العملية التواصلية، ومن أشكال ذلك قوله:

ت1: ها هنا ربّة الحنان ها هنا ظئر الصّبي

ثديها دافق اللّبان كؤُ ثريّ المشرب⁽¹⁾

ت2: هنا مشاهد السّلف إلى الفدى تهدي الخلف

إلى حماية الشّرف بالأنفس المسبّلة⁽²⁾

من خلال التركيبين السابقين نرى الشّاعر استعمل لفظة "هنا" في إشارة إلى مكان مبهم وهذا ما يتطلب الالتفات من السّامع إلى عناصر أخرى لعله يجد فكرة صائبة عن المكان المشار إليه، فقلوه : ربّة الحنان دالة على المدرسة لأنّها تربي الأجيال وتسقيهم من ثديها علمًا ، وهذا ما ذكره الشّاعر في البيت الموالي في التركيب فعلى السّامع البحث عن مؤشرات دالة عن المكان المشار إليه ، لتكتمل إليه العملية التواصلية بنجاح.

وكذلك في التركيب الثاني عند إشارته المكانية بلفظة "هنا" فلا يمكن للسّامع إدراك المكان إلّا إذا اعتمد على عناصر مساعدة تضمنتها القصيدة، فالمكان المقصود هاهنا هو قرية سيدي عقبة، التي زارها الشّاعر مفتتحاً قصيده بما يلي :

يا أرض عقبة أسلمي من الشّرور واغنمي⁽³⁾

¹ - السابق، ص577

² - نفسه، ص 579

³ - نفسه، ص578

فلفظة أرض عُقبة عنصر مساعد للسامع على معرفة المكان المبهم المشار إليه من قبل الشاعر.

أ-3- الإشارات الزمانية :

و التي تدلّ على ما يرتبط بزمان الخطاب، وما ينبغي أن يدركه السامع مع الدلالات الزمنية الضرورية لإدراك المعنى كاملاً، فتسهم في تحقيق المعنى وانجاز يته (1) ، ومن أمثائها في الديوان:

*إشارة الشاعر إلى الزمن مبهم من حيث الدلالة التحويلية:

- أن يستخدم الألفاظ: (الأمس) (غداً) (اليوم) (الشهر) (الزمن) (ساعة) (عشية) في نحو قوله:

ت1: اليوم عيدك لا جَرمَ فاهناً بعيدك يا حَرمُ(2)

ت2: بالأمس (كُو لُنْبُو) أوزاها كمثل لظي واليوم (بشير) (1*) أجراها كمثل دم (3)

ت3 إهّا ساعة تمرُّ كأن لم تَعْنَ فيها عشية أو غَداة(4)

فمن خلال التراكيب السابقة يتضح وجوب استغلال السامع كل ما يفضي به في البنية حتى يتعرف على الحيز الزمني المقصود في الخطاب، و يتحقق له الفهم .

*إشارة المتكلم إلى زمن عام معلوم لدى السامع :

نحو قوله :

ت1: يا معشر الطلاب هذا عهدكم فاسعوا لكسب المجد سعي عظام

1- ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص 58

2- نفسه، ص 99

3- نفسه، ص 104

4- نفسه، ص 274

هذا زمان الكشف عن سر الحجى ومجاله للطالب الغنّام⁽¹⁾
 ت2: هذه خطوة لك اليوم كبرى فتقبل جزائها الأبدية⁽²⁾
 وفي هذه الحالة تكون العملية التواصلية ناجحة وسهلة نظرا لاتفاق الطرفان (المتكلم /المتلقي)

ويكون ذلك عبر استخدام ألفاظاً تُشير إلى زمان عام يكون معلوما للمتلقي كلفظة "العهد، زمان، اليوم" ليتم تقدير المفهوم بينهما وصولا إلى إنجازية ونجاح الخطاب.

ب- إنجازية الألفاظ:

يعتمد المتكلم على بعض الألفاظ من اجل تحقيق إنجازية خطابه، كون اللفظ " صوت يشتمل على بعض الحروف تحقيقا أو تقديرا"⁽³⁾، لدى لا يمكن تجاوزه في هذا البحث ، رغم عدم وجوده طرفا في الإسناد، لكن قوّته الدلالية لها تأثير أكبر والتي تتوقف على درجة فهم السامع .

ب-1 - (سوف) فيقوله:

كل من شرّع ابن آدم يفنى ولما يشرع الله الدوام
سوف تهوي مبادئ الكفر فانيات ويخلد الإسلام⁽⁴⁾
 نجد للفظه سوف أثر كبير في معنى التركيب ، وهي تبرز أمنية الشّاعر و رغبته المستعجلة في أن يرى مبادئ الكفر تهوى فانية ، ليخلد الإسلام .

¹ - ينظر في اللسانيات التداولية ، خليفة بوجادي، ص 240

² - نفسه، ص16

³ - أوضح المسالك في شرح ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري ، تح :مصطفى السيقا ، إبراهيم الانباري عبد الحفيظ شليبي دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ط6، /1980م، ص11

⁴ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة ، ص 180

ب-2- (إذن) في قوله:

إذن حسبي وحسبك من بعيد مبادلة التحية والسلام⁽¹⁾

تفيد إذن معنى الجواب⁽²⁾، والشاعر وظفه في هذا الموضع حتى يعطي المعنى دلالة أكبر، ويجلب السامع ويتمعن في الحوار الدائر بينه وبين الحرية في قالب شعري رمزيّ.

ب-3- (إذا) في قوله:

ت1: قيام الليل حيلة كل برّ بباب الله قام له خديما

إذا جنّ الظلام عليه أغفى وقام يسابق الليل البهيم⁽³⁾

ت2: وتقدمت فيه التجارة وارتقت فيه الصنّاعة وازدهى العمران

فإذا الصّحاري جنّة مخضّرة غناء فيها الروح والريحان⁽⁴⁾

ت3: وقدحنا زنادنا فقهرنا وبهرنا العدا بقدح الزناد

فإذا جنسنا اللّطيف عنيف⁽⁵⁾ وشريف⁽⁵⁾ في ساحة الأمجاد

فتوظيف إذا له دلالة بليغة على المعنى ، وجاءت في التركيب الأول بمعنى الظرفية الشرطية وهي غير جازمة ، وتفيد ما يستقبل من الزمان⁽⁶⁾ ، فالشاعر يتحدث عن القيام في جوف الظلام

¹ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة ، ص 358

² - المنهاج في القواعد و الإعراب ، محمّد الأنطاكي ، دار الشّرق العربي للطباعة والنّشر ، ط1، ص 142

³ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 282

⁴ - نفسه، ص 356

⁵ - نفسه، ص 431

⁶ - المنهاج في القواعد والإعراب، محمّد الأنطاكي ص 141

الظلام فهو مورد كل برّ إذا جن الليل، فاستعمال "إذا" إنّما جاء للدلالة على ما يستقبل من الزّمان ، لتتضح قيمتها الإنجازية .

وفي التركيب الثاني والثالث جاءت إذا مقترنة بالفاء لتؤدي معنى المفاجئة ، ولا يأتي بعدها إلا جملة اسمية ⁽¹⁾، وتوظيف إذا الفجائية في التركيب الأوّل دلالة التّحوّل الذي عرفه البلد الشقيق السودان والذي خصّه الشّاعر بقصيدة رائعة بعنوان: "استقلال السودان" أظهر فيها تجاوبه واهتمامه بالقضايا العربية، وفي التركيب الثالث وظّف الشّاعر إذا الفجائية في قوله: "إذا" جنسنا اللّطيف، ليعطي المعنى دلالة أقوى أظهر وفيه مساهمة المرأة الجزائرية البطلة في الثورة التحريرية، فاعلان الثورة صاحبه وبصورة مفاجئة تعاون الجنس اللّطيف بعنف ضد العدو، وبشرف في ساحة الأجداد، ليزيد اللّفظ في دلالة المعنى و فحقّ اعتباره قوّة انجازية بامتياز .

ب- 4 - (بل):

لا تخل معشرا قـضـو في سبيل اللّـ — — — — — موتى ، بل هم من الأحياء

(...)

شهداء التّمدن في كل عـصر — — — — — سرج الأرض بل نجوم السّماء ⁽²⁾

¹ - السابق ،ص141.

² - نفسه ،ص435

تفيد بل في هذا الموضع الإضراب والعدول، ونفي الكلام السابق، فالشاعر
ينفي أن يكون الذين قضوا في سبيل الله من الموتى، بل هم أحياء استناداً إلى قوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) (١)، واستعمال

"بل" يكون حسب طبيعة السياق، التي يمكن أن تظهر فيه، فهي للنفي ومثلها لكن ولا (٢).

وفي قوله: بل نجوم السماء، السياق نفسه ووظيفة كذلك، فالشاعر يعدل ويضرب عن الكلام
لينتقل من تشبيه الشهداء بسرج الأرض إلى تشبيههم بنجوم السماء، وفي السياق نفي للكلام
السابق، ولفظ بل يعتبر من الوسائط والتي يمثل لها في النحو الوظيفي بواسطة مؤشر القوة
الإنجازية (٣)، لإسهامه في تشكيل الدلالة الكاملة للخطاب.

2/ القوى الإنجازية في التركيب البلاغي:

لا شك في أن البلاغة هي أحسن ما يبرز العلاقات التداولية في اللغة، ووظائفها، لعنايتها
بشروط سلامة الخطاب، ومظاهره التواصلية الإقناعية الموجودة فيه؛ فيجتهد المتكلم في إقناع
مخاطبه بموضوع الحديث واستمالاته إليه (٤).

و لعل النص الشعري أكثر وفرة بأشكال الإقناعية، لما يحمل من رؤى تخص المتكلم ذاته
، مجتهداً في إبداء مظاهر الإقناع، وهذا ما وجدناه عند شاعرنا محمد العيد آل خليفة فلقد كان
حريصاً كل الحرص على تبليغ مقاصده ورآه إلى سامعه، وبلاد الجزائر تعيش تحت وطأة
الاستعمار الغاشم الظالم فوجدناه يستند إلى وسائل إقناعية عدّة محشوة في صور بليغة تعددت

1 - سورة آل عمران الآية، 169 .

2 - ينظر ، اللسانيات الوظيفية ، أحمد المتوكل مدخل نظري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط2، 2009م ، ص 267

3 - نفسه : ص 267

4 - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص 61

استخداماتها في الديوان وهي من الناحية التداولية اختيار من المتكلم لطريقة عرض خطابه؛ بعدوله عن التعبير الحقيقي المباشر إلى الحديث بصورة بلاغية تجعل السامع مهتمًا بالخطاب ذاته، قبل أن يقف على المقصود به، ليتضح لنا أن هناك تقارب كبير بين ما يدعو له علماء اللغة العربية وما تدعو إليه اللسانيات التداولية اليوم من اهتمام المتكلم، وكيفية تلقي السامع للحديث وأثر الصورة البلاغية ذاتها على نفسه، ويعدّ المجاز في مفهومه العام شكل من أشكال التعبيرية لتوسع في فن القول؛ فنجد الاستعارة والكناية والتشبيه والتكرار والحذف وغيرها تعدّ من المجاز فهي تجاوز المتكلم من أسلوب إلى آخر، ولقد ذكر الباحث شوقي ضيف في كتابه البلاغة لعبد القاهر الجرجاني قائلاً: «... ويقول أنه على زنة "مفعّل" من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه، وإذا عدل باللفظ على ما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعهم الأصلي أو جاز مكانه الذي وضع فيه أولاً»⁽¹⁾

وهنا تبدو أوّل تداولية في مفهوم المجاز، وتتمثّل في دور المتكلم في اللفظ والتعبير بلغة أخرى، رغبة وحرصاً على يقظة المخاطب، ونشاط ذهنه في استرقاق مراحل الاستدلال اللازمة للإحاطة بالمعنى المقصود وتشترك الصور البلاغية في ما بينها في العديد من القيم التداولية، وعديد من القيم الأخرى وتختلف في أخرى فالاستعارة هي: «أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي المعروف، وتدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية.»⁽²⁾

¹ - البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية 1965م ص 215.

² - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دت، ص 30.

لتحمل الاستعارة للشئ الجديد الذي يطلق على معنى ما نقلت عنه فتضيف إليه صفة جديدة أما الكناية هي « أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعنى فلا يذكره باللفظ له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوماً به، إليه ويجعله دليلاً عليه»⁽¹⁾

فالملاحظ هنا اشتراك الكناية مع المجاز في أنه يحتوي على علاقة بين شيئين إثنين حتى أن العلاقات التي تضبط المجاز علاقات كناية نحو التعبير بالكل عن الجزء، تلميحا إلى الدلالة دون التصريح بها، ويشترك المجاز مع الاستعارة في أن المتكلم تخرق به العادات التعبيرية السائدة لأغراض يتوخاها في ذهنه، ويرجو إدراكها من المخاطب.

لتتداخل هذه الصور الثلاثة في ما بينها من حيث عبارة المجاز ذاتها أو فيما يرتبط بالمتكلم والمخاطب، لاسيما أنّها جميعا تبعث المخاطب على الاستدلال.²

وفي التشبيه كذلك قيم تداولية ترتبط بالسّامع، أين يعتمد المتكلم إلى إيضاح المعنى وإبرازه إظهارا لما خفي وكشفًا لما غمض لدى المخاطب.

وتوجد في الحذف قيم تداولية تشمل عددا من أجزاء الجمل كحذف المسند أو المسند إليه أو المتعلقات والقيود، ليتيح مجالا واسعا لتقدير المحذوف، ويقول عبد القاهر الجرجاني عن الحذف: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطف ما تكون إذا لم تنطق، أتم ما تكون بيانا إذا لم تبين»⁽³⁾

¹ - دلائل الإعجاز في علم المعنى، عبد القاهر جرجاني، تحقيق محمد شاكر، مطبعة المداني بالقاهرة ط3 (1431هـ/1992م)، ص66.

² - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص62

³ - دلائل الإعجاز في علم المعنى، عبد القاهر جرجاني، ص146.

وفيما يلي عرض لعدد من الصّور البلاغية التي تكرّرت في ديوان محمد آل خليفة وبيان دور السّامع في انجاح مقاصد المتكلم من خلالها القيمّ التّداولية في الاستعارات لقد أخذت الاستعارة القسط الأوفر، والحيز الأكبر في بحوث البلاغة الفلسفة واللّسانيات الحديثة كونها « نظرية إنسانية كونية ليست مختصة بثقافة أمة من الأمم» (1)

ومن خلال هذا التعريف يظهر لنا مفهوم الاستعارة الواسع وعلى السّامع أثناء العمليّة التّواصلية إدراك الفائدة من معنى اللفظ لا من اللفظ ذاته، والتي تقوم على مفهوم ادعاء المتكلم أن المعنى المذكور هو المقصود إثباته (2)، فإذا قلنا حدّثنا بحر فالدلالة كاملة في معنى البحر لا في لفظه، المتكلم يدعي أنّه حدّثه بحر لا إنسان يشبه البحر فعلى المخاطب أن يبحث عن حدود هذا الإدعاء وأبعاده ليدرك القيمة التّداولية للاستعارة المتمثلة في تقوية المعنى المراد وتثبيتته في نفسه، فهو تجاوز المتكلم لنقل اللفظ من مجال دلالي آخر إثباتا لمعنى لا يعرفه السامع من اللفظ ولكنّه يعرفه من معنى اللفظ (3)

ومن خلال الأقوال السابقة نستنتج أن تجاوز المتكلم للمألوف يعدّ ابداعا في حدّ ذاته لما يمتلكه من قدرة على اختراق عوامل الدلالة لإدهاش المخاطب فيحصل قناعه بعدما أدرك نوايا المتكلم. ويمكن أن نتناول استعارات الديوان من خلال:

4-1- تداولية الاستعارة في الديوان:

إنّ القيمة التّداولية للاستعارة تتجلى من خلال لفظها، لتكسب المخاطب غير المعنى المألوف لينطلق المخاطب في اكتشاف أبعاد الاستعارة، ومن شواهد الديوان التي تحمل في ذاتها قيما تداولية و تقرّب الأبعاد الاستعارية التي يرمي إليها المتكلم نحو:

1 - تحرير الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، 1992 ص 82.

2 - ينظر أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 31.

3 - ينظر نظرية اللغة والجمال والنقد العربي، تامر سلّوم، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية، سورية (د.ت)، ص 274.

*إحالة المخاطب على معنى الواقع نحو قوله:

ت1: أفيقوا فهذا الدين بين ربوعكم

تنازله الأحداث شرّ نزال

ت2: تحاول نكباء الظلالة نسفه

وترميه أشلاء الردى بنبال

(...)

ت3: فبينكم الغربي وهو أخو العلاء

يجد لإدراك العلاء ويوالي

طوى الأرض بالخط الحديدي وانبرى

يجول مع الأرياح كلّ مجال⁽¹⁾

فالألفاظ (تنازله، ترميه، طوى) تحيل إلى دلالة في الواقع لكلّ منها حالة على صفة حدوثها (فتنازله) في التركيب الأول توحى بالصراع القائم بين الدين الإسلام و الأحداث الواقعية التي يعيشها المجتمع، ليأمر الشاعر أنصار الدين بأن يفيقوا من سباتهم، فالأمر يشبه المعركة القائمة بين الخير والشر فهي منازلة بين الدين وأحداث الشرّ ، لتظهر من خلال التركيب الأبعاد الدلالية التي يحملها المتكلم أثناء توظيفه للفظ الإستعاري (تنازله) وهو في حدّ ذاته قرينة دالة على الشيء المحذوف (الإنسان المصارع)؛ وتحمل الاستعارة مضامين تداولية ، أهمها أن يقصد التأثير في سامعه وإقناعه بوجهة نظر أو فكرة أو موقف ما.⁽²⁾

وفي التركيب الثاني نجد اللفظ الإستعاري في قوله تحاول نكباء الظلالة ، فنكّب عن الشيء بمعنى عدلّ وتَنَحَّى عن الطّريق⁽³⁾، فشخص الظلالة على أنّها تحاول نسف هذا الدين

¹ - الديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 13.

² - ينظر تداولية الاستعارة، خليفة بوجادي، من خلال أسرار البلاغة ، مجلة علوم اللّغة العربية وآدابها ، العدد الخامس،

2013 م، ص 165

³ - لسان العرب ، لابن منظور ، (نكب)

واقتراعه، مثلما تفعل الرياح التّكباء المنحرفة بالأشجار والموجودات، فيزداد معنى المعنى قوّة ودلالة وتثبيتاً في نفس السّامع، وتيقُّنا بالخطر المحدق بالأُمَّة .

واستعار الشّاعر لفظة (ترميه) في قوله: ترميه أشلاء الرّدى ليشبهه الأشلاء بالإنسان الرامي بالسّهام، ففي هذه الصُّورة إظهار للحقد الكبير الذي يكُنُّه أعداء هذا الدين محاولين نسفه واستئصاله، لكن هيهات هيهات ما يضمنون.

أمّا في التّركيب الثالث فنجد لفظة طوى الدّالة على القوّة والسيطرة، التي ميّزت الأبحاث العلمية بقيادة الإنسان الغربي وهو يطوي الأرض كطيّ الورقة، عن طريق الصّناعة، ونجد في هذه العبارة الاستعارية دلالة واضحة على سيطرة الغرب، بكده وجدّه بغية نيل العلى، وهي دلالة عرضت بطريقة ممتعة، فهي تحيلنا على معنى الواقع؛ فحديثه عن الاجتهاد الذي ميّز الغربي في الوصول إلى القمّة يعد تعبيراً على واقع حيّ معيش .

* تجسيد المعنى مادياً تحقيقاً للدلالة المعنوية :

نحو قوله :

جلّ من ركب ابن آ دم جسماً وعدّلاً

برأ العقل جوهرًا بالمعاني موكلًا

طوى الغيب دونه فتقنّى وأوّلًا⁽¹⁾

فلفظة طوى تحمل دلالة مادية، والغيب شيء معنوي، فجسده الشّاعر في صورة محسوسة تحيلنا إليها لفظة "طوى"، الدّالة على قدرة الخالق الباهرة .

¹ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 27

* التعبير عن المعنى النفسي للمخاطب:

نحو قوله :

متى تريني الصَّبَاحَا	<u>يا لَيْلُ طَلتْ جَنَاحًا</u>
بوجهه وأشاح	<u>أرى الكرى صَدَّ عني</u>
ما كان منه مباحا	<u>أمسى علي حراما</u>
وما وجدت انشراحا	<u>قد ضقتُ بالهمِّ ذرعًا</u>
واستوحشت منه ساحا ⁽¹⁾	<u>ملت فراشي نفسي</u>

لقد وظف الشاعر في الأبيات السابقة مجموعة من العبارات الإستعارية لينقل من خلالها المعنى النفسي المسيطر عليه، وهذه مقطوعة من قصيدة بعنوان "يا ليل"، فنادى الليل، عارضا لنا صورة تشخيصية (النداء) ، ثم صورة الطائر (الجناح)، إلى استعمال الاستفهام (متى) ليرز معاناته، وقلقه وحيرته، فالشاعر يعيش بعيداً عن الانشراح النفسي والمعنوي وعبر عنه في صورة الجناح ليعطي المعنى دلالة أكبر، ويقنع السامع .

كما شخّص النوم في صورة شخص يصد عنه و يمسي حراما عليه، بعدما كان مباحا، ليواصل في الحديث عن ضيقه وكرهه في صورة الملل الذي أصاب فراشه .

فلقد أسهمت الأساليب البيانية المختلفة السالفة في التعبير وبشكل واضح عن المعنى النفسي للمتكلم محققة عنصريين مهمين من عناصر التداولية وهما الإمتاع و الاقناع.

ويقول في قصيدة بعنوان "لا أنسى":

¹ - السابق، ص 45

ت1: أأُكْتَمُ وَجْدِي أو أَهْدِي إِحْسَاسِي وثامن ماي جرحه ماله آسي

وأرقب ممن أحدثوه ضماده وهم في جماع لم يميلوا لإسلاس

تمرُّ اللَّيالي وهو يدمي فلم نجد له مرهما منهم سوى العنف والباس

إذا ما رجونا برأه ثَرَّرَ دافقا بأحداث سوء وقعها مؤلم قاسي⁽¹⁾

(...)

ت2: فضائع ماي كذَّبن كل مزعم لهم ورمت ما رُوِّجوه بإفلاس⁽²⁾

(...)

ت3: ويا أيُّها الشَّعب المروِّع لا تضق بدنياك ذرعًا واطرح خُلق اليأس

قل للذي آذاك لا وصل بيننا وموعدنا العقبى فما أنا بالنَّاسي⁽³⁾

ففي قوله (أأُكْتَمُ وَجْدِي) و(أو أهدي إحساسي) تعبير عن معنى نفسي للمخاطب دال على حزن وأسى الشاعِر على ما أصاب الجزائر يوم ثامن ماي 1945م من مجازر هزّت الكون، وتكمن دلالة الحزن و التفجع في تلك الصُّورة التي رسمها الشاعِر لوجدانه وإحساسه مستفهما في حيرة، مشبها هذا اليوم بالإنسان الجريح، ينزف دمه بغزارة، فهي فضائع كذّبت ما زُعم ورُوِّج، ليتوجه إلى الشَّعب المكافح أمره بطرح اليأس، ومواصلة التَّحدي، لتتضح بذلك دلالة التراكيب الإستعارية ومساهمتها في التَّعبير عن الجوّ النَّفسي، وما يختلج في صدر الشَّاعر مع استعمال حرف الرُّوي السَّين الدَّال على الحالة النَّفسية الحزينة.

¹ - محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 325

² - السابق، ص 325

³ - نفسه، ص 325

4-4-1 تداولية المتكلم في التركيب الاستعاري:

تظهر القيمة التداولية للمتكلم من مبدأ الإدعاء الذي سبقت الإشارة إليه؛ حيث يدعي المتكلم المعنى في اللفظ المذكور على أنه منقول من مجال دلالي إلى آخر، بغية إحداث الدهشة والإعجاب في نفس مخاطبه طلباً لموافقته واستمالاته، فعلى المخاطب الإحاطة بالمعنى المقصود، وأن يكون على دراية بنوايا المتكلم زمن إنتاج الخطاب والتلفظ به، اجتناباً لضياح عناصر السياق.

وتبدو مظاهر هذه القيمة في استعارات الديوان من خلال مواقف عدّة للمتكلم، ومن

شواهدها:

*توسّع المتكلم في المعنى :

له إلى الله إخبات وإطراق

ت1: والبدر في الليل يبدو زاهداً ورعاً

وقد غفت من رعاة الحي أحداق (1)

وعاشقاً ساهراً في الحي منفرداً

وما كالعلم للبلدان جار

ت2: (تلمسان) احتفت بالعلم جارا

يحق به لأهلها الفخار (2)

لقد لبست من الاصلاح تاجا

في استعارات التركيبين السابقين توسع وامتداد للمعنى وتوالد للدلالات في نفس المتكلم وهو إحالة غير محدودة التي ينقلها إلى مخاطبه، فيتغنّى بجمال الرّيف في التركيب الأول واصفاً البدر وهو يبدو زاهداً خاشعاً خاضعاً وكلّه اطمئنان لله عز وجل، منفرداً في الحي في صورة العاشق السّاهر، فيكون المتكلم قد أحال سامعه إلى معنى لا متناهي فهذا الامتداد ضمان لاستمالة السّامع .

1 - السابق 57

2 - نفسه ص 79

وفي التركيب الثاني جعل المدينة في صورة العروس وهي تلبس تاج الإصلاح والعلم، فحقّق لأهلها الافتخار، والشاعر أنشد هذه الأبيات يوم افتتاح مدرسة دار الحديث بتلمسان، فكأنّه عقد قران يجمع بين العلم و هذه المدينة العتيقة في حضرة أعضاء الجمعية كلّهم، ووفود من تونس والمغرب في خريف 1937م. ففي هذا الامتداد إحالة للسامع على الإعجاب بهذا اليوم التاريخي العظيم.

* ادعاء المتكلم لحصول المعنى وثبوته :

نحو قوله:

إنّ الجزائر بوأتك بأرضها
أكباد أحرار بها وحرائر
ضحكت حدائقها إليك بزهرها
وثمارها فضحك الحبيب السافر
واهتزّ شاطئ بحرهما لك عازفا
ومصفقا بمدير موج زاخر⁽¹⁾

(...)

وتكلّم (الأوراس) عنها خاطبا
وُدّ (المقطّم) باللسان الشاكر
واستقبلتك سهولها وحقولها
وربيعها الزّاهي بحسن مناظرها⁽²⁾

لقد استحضر الشاعر الحدائق في صورة المرأة الضّاحكة والشّاطئ في صورة العازف و الأوراس خطيب يتكلّم، والسّهول والحقول في صورة المستقبل للرئيس المصري جمال عبد الناصر وهو يزور الجزائر.

¹ - السابق، ص 221.

² - نفسه، ص 221.

وفي هذا النقل لمثل هذه الألفاظ من دلائل أصلية إلى مجالات دلالية خارجية عنها و إدعاء من المتكلم لثبوت هذا المعنى لحصوله، بحيث يمكن لسّامع أن يدرك بأنّ بمجرد حلول هذا الرّمز بالجزائر، كان كلّ شيء في استقباله حتى الجماد.

4-1-2 تداولية المخاطب في التركيب الإستعاري:

تعتمد الاستعارة كثيرا على السّامع، لأنّه هو الذي يمثّل أثرها، ويفرز مجالاتها فإنّها: " تكتسب تداوليتها من التأثير التي تحدّثه في المتلقي في سياق معيّن".⁽¹⁾

وأمام ادعاء المتكلم وثبوت المعنى في اللفظ المذكور، وأنّه ليس من قبيل النقل من دلالة إلى أخرى أن يكون على السّامع أن يستند إلى علميات ذهنية، ليحيط بالدلالة الكاملة في عبارة الاستعارة⁽²⁾.

ومن تم على المخاطب الإحاطة بالقيّم الممكن للقول الإستعاري، وتنصيف مجالاته حتى تحصل له الدلالة المقصودة.

ومن مظاهر تأثير الاستعارات على المخاطب في الديوان ما يلي:

*إحساس المخاطب بمعنى غير متوقّع :

نحو قوله :

ت1: سلوا التاريخ عن طود تعالى فوق أوطاد

¹ - اللغة ودلالاتها ، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مقال)، محمّد سويرتي : مجلة عالم الفكر ، مج 28، ع3،يناير/مارس، 2000، ص41.

² - ينظر الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي الولي محمد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب، 1990م، ص29/28.

سلوا التاريخ عن أرض حماها من يد العادي

ت2: وكم فيهم من الرّجل رجالات كأساد

وكم ردّدت الدّنيا صدهم أيّ ترداد (...)

ت3: لقد حنت جوانحنا إليهم وسارت قبلما سار القطار

-ففي التركيب الأول يشعر المخاطب حين تلقيه للتركيب الاستعاري (سلوا التاريخ) بالتعبير

الدّال على أرض حماها رجالها من بأس الأعداء وهذا ما يؤكده في الشطر الثاني من البيتين .

وكذلك في التركيب الثاني والثالث حيث استقدم المتكلم المخاطب إلى مجال الدلالي أبدعه

في ذهنه وهو يعدّد هؤلاء الرجال الذين وقفوا في وجه الأعداء مستعملا كم الإخبارية والتي تفيد

التكثير، بل تعدّى ذلك ليشمل الدّنيا كلّها وهي تردّد صدى الرّجال فعلى المخاطب أن يستقصي

الدّالة بشكل يخالف بناء المتكلم، ليصل حيث بدايتها، في صورة الطّائر المحذوف واللازمة

الدّالة عليه وهي جوانحنا، كيف لا يكون الحنين إليهم وهم سبب سعادتنا، نعيمنا اليوم .

-إدراك المخاطب عواقب الأمور من خلال التركيب الاستعاري:

ت1: الخمر شربة رجس أم ارجاس الخمر صاعقة تهوي على الرأس

الخمر فأس خراب هدمت أسرا مصونة في كل وعي منه حساس⁽¹⁾

ت2: سل (عقبة) يوم سل السيف مقتحما أدغالها وغزا الرمان العرب

¹ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص281.

هي العزيمة إن جدت وإن صلبت في المرء نال بها ما شاء من رتب⁽¹⁾

ت3: إذا أصبح الناس غلف قلوب فما تنفع الأروس الحاسرة⁽²⁾

ت4: لا تزرعوا الشرّ فالأيام محصدة كل امرئ حاصد فيها الذي زرع⁽³⁾

- أول ما يتلقاه المخاطب في هذه التراكيب الإستعارية هو عواقب الأمور سواء كانت فيها خير أو شر.

- ففي التعبير الأول عاقبة شارب الخمر معروفة فهي أمّ الخبائث و الأرجاس بل شَبَّهها بالفأس الهدامة للأسر .

- أمّا في التركيب الثاني فيتحدّث الشاعر عاقبة العزيمة والإقدام وهي نيل الرتب والمعالي، مثل ما نالها عقبة بن نافع لما غزا الرومان.

- وفي التركيب الثالث فيبين لنا الشاعر عاقبة الذين قلوبهم غلف وهي انعدام النفع .

- وفي التركيب الرابع يبدو مدركا عاقبة زارع الشر حيث لا يمكن أن يجنّي من شوك العنب .

والملاحظ من خلال التراكيب أنّ المخاطب يدرك عواقب الأمور ونهايتها من خلال التركيب الاستعاري

4- 2 - تداولية الكناية في الديوان:

لقد اعتنى الدارسون بالكناية كعنائتهم بالاستعارة، لأن مفهومها زاهر بعدد من القيم التداولية المرتبط بالمتكلم أو المخاطب، حيث تقوم على عدم التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما

¹ - السابق ، ص 232

² - نفسه، ص 253.

³ - نفسه، ص 255، .

يلزمه وحينها ينبغي على المخاطب أن ينتقل من المذكور إلى المتروك حيث جاء مختار في الصّحاح: "الكناية تتكلم بشيء وتريد به غيره" (1)، يكون ذلك لغرض من الأغراض كالإبهام . كما أنّ جذر الكلمة له دلالة السّتر والإخفاء في "كنى ، يكتي، كناية بالشّيء عن كذا: ذكره ليدل به على غيره" (2).

- فالكناية تشبه الاستعارة في احتوائها على معنى حرفي ففي ظاهر اللفظي وآخر ضمني يرمي إليه المتكلم دون التعمّق أو الوقوف عند المعنى الصريح، كما تفعل الاستعارة في مبدأ ادّعاء، وهذا هو سبب عدم صلاحيتها في الواقع فعند قولنا حدّثني بحر نجد أنفسنا غارقين في ادّعاء ظاهر يفيد شساعة معلومات الإنسان مثل شساعة البحر بخلاف قولنا فلان كثير الرّماد فعلاقة الرّماد ملازمة للإنسان العربي في كرمه وجود منذ العصر الجاهلي، فيكون ذلك تلميحاً للمعنى المقصود، فالتكلم يريد اختبار فطنة المخاطب و يقظته مع إمكان المعنى الصريح للعبارة في الواقع.

ومما لا شكّ فيه أن الكناية حافلة بالقيم التداولية و الإشارات التي يكتنف صيغتها والتعبير بها و«العناصر التداولية شبيهة بالعناصر التداولية للكناية» (3)

وفيما يلي عرض لتداولية الكناية في الديوان:

4-2-1 تداولية الكناية:

تظهر قيمة تداولية اللفظ من خلال إشارة الشّاعر إلى المعنى المقصود، وفي كنايات الدّيوان بعض من هذه الإشارات:

1 - مختار الصّحاح، الرّازي، محمد بن أبي بكر ، دار الجليل، بيروت، لبنان، 1987، ص369.

2- المنجد في اللّغة و الإعلام، دار المشرق، بيروت ، لبنان، ط31، 1991، ص701.

3 - اللّغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، (مقال) محمّد سوپرتي، مجلّة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مج28، ع3، يناير /مارس 2000م، ص41.

* ارتباط الكناية دلاليًا بالمعنى المقصود:

كأن يشير المتكلم بكل سهولة إلى دلالة معنى المقصود، فيحيط المخاطب بالموضوع دون عناء نحو قوله:

ت1: كم أقمنا شواهد الحق فيها وضرينا شواهد الأمثال

اقتحمنا الهيحاء نارا تلظى كل صال منّا بها لا يبالي (1)

فلفظة الهيحاء في عُرف الاستعمال قد خلصت إلى دلالة محدّدة وهي الحرب لذا نجد المخاطب أمام إشارة قريبة من المعنى المقصود، وعلى السّامع أن يستغل قرائنها في التركيب كاملاً ليظفر بدلالته.

وهي بطولات يعدّها محمد عيد آل خليفة، وهو الذي عايش أحداثها، فوظّف ضمير الجمع اقتحم (نا) ليرسم لنا صورة صادقة لشجاعة وبسالة جيش التحرير وهو يقتحم الحرب وهي نار تلظى .

وقوله :

ت2: فإذا جنسنا لطيف عنيف وشريف في ساحة الأمجاد (2)

لقد أضفى الشّاعر في هذا التركيب على الموصوف (الحرب) دلالة أخرى وهي ساحة الأمجاد فهذه إشارة مفادها أنّه لا يتحقّق مجد أمة إلاّ بالنظام والذي شمل حتى الجنس اللطيف، والذي كنى به عن النّساء، والمعنى التداولي للعبارة هو أنّ حتى اللّطيف أصبح عنيفا مع هذا المستدمر الغاشم.

1 - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص427.

2 - السابق ، ص431.

-إحالة المخاطب على معنى نفسي في ذهن المتكلم:

إلى جبهة التحرير ذلت جباههم ومن جيشنا ترتاع أبطاهم ظلما

وما جبهة التحرير إلا عريننا وما جيشنا إلا اللئوٲ به تضري⁽¹⁾

فعبارة ذلت جباههم تحيل إلى معان نفسية في ذهن المتكلم، في مقام الإشادة بجبهة التحرير وجيشها الذي غير مجرى الحياة، وجعل المستعمر يعيش حالة الذل، فالتركيب الكنائي يدل على حالة الانهزام العدو الفرنسي، وهذه الصورة موجودة في ذهن المتكلم فأحالتها على مخاطبه بمعانيها النفسية، فهي كناية عن صفة الذل والهوان الذي أصاب العدو .

وفي نفس السياق أنشد الشاعر قائلا :

نوفمبر جلّى عن بلادي ظلامها نوفمبر في آفاقها أطلع الفجر

ففاتحه قد كان أعظم فاتح لنا كسب التحرير وانتزع النصر⁽²⁾

ففي التركيب : أطلع الفجر إحالة واضحة إلى معنى نفسي وهو الاعتزاز والابتهاج بالفتح من نوفمبر الذي كان سببا في التحرير، فالتركيب يدل على موصوف راسخ في ذهن الشاعر وهو الاستقلال والحرية.

وما ذكره الشاعر في حق الأمير خالد، حفيد الأمير عبد القادر، الذي مات مننيا، بتعبير يوحي بالمعاني النفسية الصادقة الموجودة في ذهن المتكلم فيريد إحالة المخاطب عليها.

حيث يقول في هذه الأبيات المأخوذة من قصيدة بعنوان : "الوداع الوداع":

¹ - السابق، ص 439

² - السابق، ص 439

سلي المطالب كم ذا	أشاعها وأذاعها
وكيف قام فوفى	بالواجبات اضطلاعا
وكيف نادى فدانت له	الرؤوس أتباعا
حتى إذا طار صيتا	وطال فيك ارتفاعا ⁽¹⁾

فالألفاظ الكنائية تعبر عن الجو النفسي الحاصل في ذهن المتكلم، وما يحويه من معاني الأسى والحسرة على حفيد الأمير عبد القادر، فهي صفات اشتهر بها الرجل ولم تعد اليوم إلا ذكريات زمانية نرويها للأجيال الصاعدة قصد الإقتداء، ففي قوله: فدانت له الرؤوس تعبير كنائي دال على موصوف وهي الطاعة، و في عبارة طار صيتاً كناية عن صفة "الشهرة"، فالشاعر يتأسف على فقدان الرجل الحامل لهذه الصفات الثمينة، ولقد أسهمت التعبيرات الكنائية في استدراج المخاطب إلى الدلالة الكاملة .

- إحالة المخاطب على معنى الكناية بشكل مباشر:

نحو قوله :

ضاقَت الأرض على أحرارها	فعدا الرَّحْب عليهم كُشْتَبَانَا*
فقدوا أندادهم فاسترخصوا	عيشهم واستوحشوا منه عيانا ⁽²⁾

ففي عبارة "ضاقَت الأرض تعبير كنائي عن صفة العجز والاستكانة نتيجة فقدان الأحباب، فنجد المتكلم يحيل مخاطبه بشكل مباشر على معنى الكناية، وهو في حرارة وشوق على من غيَّبهم الموت.

¹ - السابق، ص464

* كُشْتَبَانَا: قمع يركزه الخياط في أملمته ليستعين به على الخياطة .

² - الديوان محمد العيد آل خليفة ، ص479

ويقول في قصيدة بعنوان "رهين المحابس":

أفوّض أمري للذي غمر السورى بآلائه من كل رطب يابس

نفضت يدي من كل ما اقترفت يدي وجرّدت نفسي من قبيح الملابس⁽¹⁾

نجد في عبارة "نفضت يدي" تعبير كنائي أسهم في حصول دلالة واضحة للمخاطب وبشكل مباشر وهي كناية عن صفة التوبة إلى الله والخضوع التامّ له.

4-2-2-4- تداولية المتكلم في التركيب الكنائي:

تكمن القيمة التداولية للتركيب الكنائي عندما يعتمد المتكلم إلى إخفاء دلالة التداولية وراء الدلالة الحرفية للتركيب الكنائي فيتجاوز المتكلم التصريح ليصل إلى التلميح،⁽²⁾ ليختبر فطنة المخاطب وذكائه في اكتشاف مدلول التركيب وما يكتنفه من دلالات ضمنية.

ومظاهر هذه القيمة التداولية بادية في كنايات الديوان من خلال خيارات المتكلم وإحالاته التي يراهن فيها على سرعة اكتشاف المخاطب للمعنى المقصود، وأبرز هذه المظاهر في الديوان ما يلي:

- الحرص على إخفاء الدلالة المقصودة مع إبراز مشاعر وعواطف المتكلم:

نحو قوله:

بُلّيت بهم صهاينة جـياعاً فسُحِقاً للصهاينة الجياع

¹ - نفسه ، ص380.

² - في اللسانيات التداولية ، خليفة بواجدي، ص76

ستكشف عنهم الهيجاء سترًا وترميهم بكلّ فتى شجاع⁽¹⁾

يحرص الشاعر على إخفاء الدلالة المقصودة في التعبير الكنائي الحاصل في لفظة الهيجاء وهي كناية عن موصوف مبرز في نفس الوقت مشاعره وعواطفه نحو فلسطين العربية التي وقعت بين أيدي الصهاينة الجياع.

*إحالة المتكلم في الكناية إلى تذكّر الماضي من خلال الإشارة إلى خصال المرثي.

نحو قوله:

فَقَدَ الشَّعْرَ مِنَ الشَّرْقِ شَمْسًا لم يزل منها على الشرق نور

فَقَدَ الشَّعْرَ أبا الشَّعْرِ (شوقي) فطغا الويل به والشُّبُور⁽²⁾

(....)

يا أمير الشعر أين غوان؟ ما لها إلا حجاج خُذور

أين رصف محكم عبقرى رفع المعنى به فهو صور

وروايات سـررت كهرباء دنت البید بها والعصور

نفخ الصورُ بها في القوافي فعلتها هبّة ونشور⁽³⁾

¹ - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 334.

² - السابق، ص 457.

³ - نفسه، ص 459.

فقد عبّر الشاعر على فقدان أمير الشعراء أحمد شوقي بتعبير كنائي دال على موصوف (أحمد شوقي)، في لفظة شمسًا، فحرص الشاعر على إخفاء الدلالة جاء لإبراز خصال المرثي عن طريق التذكير بماضيه وأعماله المضيئة بنورها الساطع، فحقّق لشاعرنا تعدادها .

ويقول في قصيدة رثى فيها شاعر النيل حافظ ابراهيم :

يا ويح مصر خلت من حافظ وخلا في الهامدين كان لم يثوها دار⁽¹⁾

(...)

عُرِّتْ في مصر شمسًا وارتجحت بها ركذا و صوّحت في إكليلها غارا⁽²⁾

(....)

أين عهدك بالدار التي عهدت منك المعرّي بالشكوى و بشّارا؟

وكيف حالك في دار نزلت بها ضيفاً عساك بها للخلد مختار⁽³⁾

فقد أحال المتكلم مخاطبه عن طريق التّركيب الكنائي في لفظة شمسًا وهي كناية عن موصوف يتذكر عبرها الماضي الذي كان ساطعاً بنوره نتيجة أعمال الشاعر حافظ إبراهيم، و في لفظة الدار المعرّفة (ال) نجد تعبیر كنائي عن موصوف وهي الدنيا، وعمد الشاعر إلى هذا التعبير حتى يجيل المخاطب تذكر ماضي الشاعر وما كان يعهده بفحول الشعراء كأبي العلاء المعري وبشار بن برد، وفي لفظة "دار" الغير المعرّفة، تعبیر كنائي، عن موصوف وهي الآخرة متسائلاً فيه عن حال المرثي في دار الآخرة، ففي ذلك إشارة إلى مقام الشاعر المحمود بإذن الله تعالى .

¹ - السابق، ص 454

² - نفسه، ص 455

³ - نفسه، ص 455

4-2-3 تداولية المخاطب في التعبير الكنائي:

يلعب المخاطب دورًا هامًا في إدراك المعنى المقصود من التركيب الكنائي، من خلال فطنته واكتشافه للعلاقة بين الملفوظ والمقصود والصريح والضمني، ومن مظاهره في الديوان ميلي :

* إدراك المخاطب لمعاني واقع الحال المعيش وضرورة التغيير من خلال التركيب الكنائي:

نحو قوله في قصيدة بعنوان "ثورة بنت الجزائر" :

هَنَّ أسُّ البيوت والأهل تدييراً وأنسس الأزواج والأولاد (...)

نحن عون الرجال في كل حال أيُّ سعد لم يُستفد من سُعاد (...)

فلنشر ثورة على الظلم كبرى ولنحطم سلاسل الأقياد

ولنقم من رقادنا فهو عارٌ هل يفيد الرقاد غير الكساد⁽¹⁾

فمن خلال اللفظ الكنائي (سلاسل الاقياد) يدرك المخاطب حال الأمة وهي تعيش تحت وطأة الإستعمار والاستغلال، عبر تلك الصفة الحفية المدركة من قبل المخاطب، فعنصر الإخفاء تكمن قيمته في إعطاء المعنى إثارةً وتأثيراً في نفسية المخاطب، وتجعله يلتف حول كلام الشاعر ويسعى الى التغيير.

والحال نفسه في اللفظ الكنائي (رقادنا) ، و الدال على حال المجتمع وهو يعيش في خمول وُسبات عميق، كما تدل الكناية ها هنا على صفة التّعاس عن الحرب، ومن خلالها يستطيع المخاطب أن يقيس درجة غفلته .

¹ - السابق، ص 430

* اكتشاف المخاطب لمعاني النصح والتوجيه من خلال التّركيب الكِنائِي:

نحو قوله:

أرى الأرض زادت ظلمة فوق ظلمة على أهلها واستوحشت بعد إيناس

ويا أيُّها الشَّعب المروع لا تضق بدنياك ذرعا واطرح خـلق اليأس⁽¹⁾

فالمخاطب يُقبل على مقاصد الكناية، ويتتبع كلّ ما يتعلق به للظّفر بدلالة المتكلم، ففي عبارة أرى الأرض ازدادت ظلمة فوق ظلمة كناية عن صفة القهر، والفنوط الذي أصاب الشَّعب الجزائريّ نتيجة الإستعمار الغاشم، وفي عبارة لا تضق بدنياك كناية عن صفة العجز والإحباط والملل الذي يشوب الشَّعب جراء استبداد وظلم العدو؛ فمن خلال التّركيب الكِنائِي الحاصل يدرك المخاطب قصد المتكلم ويتتبع الدلالة، والتي ارتكزت أساسًا على وصف الحالة المزرية التي يعيشها الشَّعب، وعلى المخاطب إدراك معاني النصح والتّوجيه الموجودة في اللفظ الكِنائِي، فالشّاعر ينصح المخاطب بمواصلة الكفاح دون يأس.

-4-3 تداولية التشبيه في الديوان:

يرتكز التشبيه أساسا على وضوح المعنى وجودة النّظم، اللذان يتوخاهما المتكلم في حديثه حرصا منه على تأكيد المعنى، ويكون ذلك عن طريق التّصوير والإقناع الحسيّ، كما أنّ الصُّورة التّشبيهية ذاتها ينبغي أن تكون مطابقة للواقع، مُدركة بالحواس، حتى تتجلى بعض القيم التّداولية التي تكتنف مفهوم التّشبيه من ناحية المتكلم باعتباره منتج الخطاب، حيث يلح عبد القاهر الجرجاني على قيمة الدّوق في تلمس جمال التّشبيه ولا يفصل بين صياغته الفنية، وطبيعة النّفس التي تتلقاها⁽²⁾. وهنا تبرز قيمة المخاطب في التّراكيب التّشبيهية، فالمبرد ذكر تقسيمات للتّشبيه المرتبطة

¹ - السابق، ص 326

² - ينظر، أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ص 78

أساساً بذوق المخاطب وموقفه من الصورة التشبيهية نحو: التشبيه العجيب، التشبيه المحمود، التشبيه الغريب، التشبيه الحلو...⁽¹⁾

فدرجة التأثير تتوقف على المتلقي، والتشبيه هو تسهيل للمخاطب لأن يدرك الصورة، وإخراج الغامض منها إلى الظاهر، ليُتَكسب المتلقي وضوحاً وبيانياً وتوكيداً وإيجازاً، فتظهر عن طريق ذلك قيمة التشبيه التداولية.

ولقد وظّف الشاعر محمد العيد آل خليفة عدداً غزيراً من التشبيهات في قصائد الديوان، بأشكال متعدّدة نذكر منها:

4-1- ارتكاز التشبيه على التفصيل:

نحو ما ذكره في قصيدة يرثي فيها رجل الاصلاح رشيد بحطوش العضو البارز في الجمعية حيث يقول:

ت1: فيا رشيد وداعا اليوم يوم الغياب

اليوم كالشمس تمسي وتختفي بالحجاب⁽²⁾

ويقول عن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ممجداً أعماله ودروسه وخطبه:

ت2: بمدرسة دينية عربية أعدت لإرواء المدارك منبعا

نمت و نمت النشأ الصغير على الهدى بها ووعى فيها من العلم ما وعى

¹ - ينظر الكامل، المبرد، عرضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ت، ج3، ص32.

² -ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 473

وشبَّت فأُست للشَّباب كقلعة محصنة فيها الشَّباب تمنَّعا⁽¹⁾

ويتحدث عن العزيمة فيقول :

ت4: هي العزيمة إن جدَّت وإن صلبت في المرء نال بها ما شاء من رتب

كأثما فلك نوح بالمسير بها فخض بها واقتحم ما شئت من عُيب⁽²⁾

ويقول في قسم الألباز:

ت5: شيء به تُختبر العقول صعب إليه يعسر الوصول

يلهو به السائل والمسؤول فحبله بينهما موصول

كأنه حمامة تجول يصطادها الحذاق الفحول

فبعضهم مخيب مخذول وبعضهم موفق مقبول

وفكرك الآن به مشغول فما ترى فيه وما تقول؟⁽³⁾

وفي قسم اللزوميات يقول عن النفس والعقل:

ت6: النفس والعقل معبودان من القدم و المرء عبدهما لو أنه داري

ما النفس والعقل إلا للأذى التقيا فينا كغدارة*⁽⁴⁾ في كف غدار

والناس طاغ على طاغ إلى أمد كالموج يقذف هدأرا بهدار

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 185

² - نفسه، ص 232

³ - السابق، ص 558

*- الغدارة: في اصطلاح بعض المغاربة هي: المسدس

(...)

ومن مواطن ضعف المرء طبيته فلا تكن طيباً إلا بمقدار¹

من خلال التراكيب التشبيهية السابقة يُعنى المتكلم ببيان حدود الدلالة ايضاحاً للمخاطب وتقريباً لاستدلالاته، فقد فصل الشاعر كل مرة صورة التشبيه بالحرص على إيراد عناصره المعروفة؛ من مثبه وأداة التشبيه ومثبه به، مع تفصيل وجه الشبه كل مرة إغراقاً في الإيضاح، وبيئاً لحدود الدلالة المقصودة .

فنجد في التركيب الأول، قد شبه يوم فراق رجل الإصلاح بالشمس و هي تسمي وتختفي بالحجاب، حيث نجد تفصيلاً في وجه الشبه (تسمي وتختفي بالحجاب) ، وهذا التفصيل يُظهر حال ذلك اليوم في غياب الرجل، فجملة تسمي تعبر عن حال الشمس، إلا أن الشاعر جعل جملة أخرى معطوفة عليها (تختفي) والتي تعبر عن حال الشمس وهي تختفي ، واعتماد الشاعر على التفصيل الهدف منه توضيح الصورة للمخاطب، حتى يدرك عظمة الرجل ودوره في تنوير الأمة، ليلبغ المعنى كاملاً وفي أحسن صورته،

وفي التركيب الثاني يشبه الشاعر المدرسة الدينية بالقلعة، ولم يقف عند المشبه به (قلعة) بل راح يفصل في وجه الشبه مستخدماً النعت في لفظة (محصنة) ، حتى يدرك المخاطب المعنى، فالمدرسة الدينية كالقلعة في الحصانة، فيجب على الشباب التقيّد بها.

وفي التركيب الثالث يقوم الشاعر بتفصيل وجه الشبه (في مسيرها) بعدما شبه العزيمة بفلك نوح عليه الصلاة و السلام وهي تسير في أمان تقتحم الأمواج، والغرض التداولي هو توضيح الشاعر للمتلقي أنّ سرّ النجاح والمعجزات هي العزيمة وفي كلّ ذلك تسهيل للمخاطب لأن يدرك الصورة، وليبغ المعنى كاملاً وفي أحسن صورة.

4-ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص361

أما التركيب الرابع يتحدث الشاعر عن اللُّغز الذي شبّهه بالحمام التي تحول ليفصّل وجه الشبه بغية تقريب الصُّورة إلى المخاطب فراح يصف من يصطادها عل أنه حادق وفحل ماهر لبيّن قيمة من يصطاد اللُّغز ويجيب عنه. ولقد تعدّدت الألفاظ المرتبطة بالعناصر التشبيهيّة وبيان الصّفة والشّكل والغاية ليدرك السّامع من خلال هذا التّفصيل المعنى، ويسهل عليه في الأخير إيجاد اللُّغز بعد الإيضاح الذي يعدّ هدفاً في المنهج التداولي.

وما ذكر في التركيب الخامس يعزّز بيان الهيئة والحال رغبةً من المتكلم في إيضاح وإيصال الفكرة إلى المخاطب حينما شبّه الناس بالموج وهي تقذف هدّارا بهدار ليتضح استعمال الشاعر لصيغة المبالغة "فعل" رغبةً منه في توضيح المعنى وزيادة بلاغته كما أن استعمال اسم الفاعل طاغ من قبل الشاعر يعتبر تعزيزاً للصيغة المبالغة، وتوضيحاً لحال النّاس الطغاة وهيئتهم إذا سيطرت عليهم النفوس الأمارة بالسُّوء فكانوا طغاة كالموج القاذف المنذع دون انقطاع .

4-2 - ارتكاز التّشبيه على الإجمال :

لقد استعمل الشاعر عنصر الارتكاز القائم على الإجمال تحريضاً للسّامع على إدراك معاني الكلام وطلباً لمشاركته في إنتاج الدّلالة، نحو قوله في قصيدته النونية بعنوان، " هذه قمّة الفتوة":

أئُّها الشّعْر أنت وحي جنان وصدى خاطري وسحر بياني¹

فالإجمال واقع في اختزال عناصر التّشبيه المفصل والمؤكّد، والاختصار على المشبّه، والمشبّه على سبيل التّشبيه البليغ في البيت كلّهُ، ومن قيّمه الإدعاء من المتكلم على زوال الفروق بين طرفي التّشبيه وأنّ المشبّه هو نفسه المشبّه به، ففي تشبيه الشاعر الشّعْر بوحى الجنان، وبصدى خاطره وسحر بيانه وجوه بلاغية مثيرة، اعتمد فيها على الإيجاز، والاختصار، فحذف الأداة ووجه الشّبه

¹ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 265.

لتزول الحواجز المادية بين المشبه والمشبه به، فيمكن اعتبار التشبيه البليغ، أسمى درجة في التشبيه الصريح من حيث هو يسوي بين المشبه والمشبه به، تسوية تامة (1).

وفي ذلك حثٌ للمخاطب أن يأخذ المعنى واضحاً على وجه إدعائه بعد أن يقوم بعدد من العمليات الذهنية لتفصيل وحدات الصورة و تحصيل هذا الإدعاء .

وقد يكون الإجمال بغير اللجوء للتشبيه البليغ، بالشكوت على وجه الشبه أو على بعض ما يقتضي إضافته نحو قوله:

ت1: فالقلب مثل الأرض أو كأناسها الوعظ مثل القطر أو كغمامه (2)

ويقول في قصيدة بعنوان بين الشك و التشكي :

ت2: يا دهر عاجلت الصبا بالقطف لم يزهر، ولم يثمر به عنقود

لا تنكر الدعوى عليّ معارضاً رأسي عليك وعارضاي شهود

فكأن هذا الهمم منك جهنم وكان هذا الشيب منك وقود (3)

وقوله في قصيدة بعنوان "الصحو"، بعدما انقطعت الثلوج عن الجزائر برهة من الزمن ثم هطلت بغزارة سنة 1935م:

ت3: فكأن الثلوج في الأرض غيمٌ وكانَّ الرِّياض في الأرض أفقٌ

هكذا كان أول الصحو رسم اللد في لونه جمال وعمق (4)

1 - ينظر خصائص الأسلوب في "الشوقيات"، محمد الهادي الطرابلسي، المطبعة الرسمية، تونس 1981، ص 150

2 - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 89.

3 - نفسه ص 21

4 - نفسه، ص 23

كما وصف السينما الناطقة بالعربية قصيدة بعنوان "لوح الخيال" فيقول:

ت4: وتجلّت الفُصحى اللُّغات كشمس فحبا كلُّ كوكب مُتلالي

زانك الضَّاد من لسان بديع أيُّها الفيلْمُ البديعُ الجمال

(....)

فهو وحيُّ إلى شهودك يوحى من سماء الحجى وعرش الجلال

وبدا الشُّرق فيك للغرب مرعى للحضارات مُخصبا للرجال (1)

فمن خلال التراكيب السابقة نجد إعمالاً لذهن المخاطب وإشارة لعملياته الذهنية ، حتى يشارك في دلالة الصورة ومغزاها، ليصبح المعنى واضحاً ويفي التشبيه بغرضه.

ففي التركيب الأول شبه القلب بالأرض، ثم شبهه بالأنس، وكذلك الوعظ شبهه بالقطر وبالغمام مستعملاً أداة التشبيه "مثل" دون ذكر وجه الشبه ، تاركاً للمخاطب المشاركة الذهنية ليدرك دلالة الصورة ومغزاها .

وفي التركيب الثاني شبه الهمَّ بجهنم والشَّيب بالوقود في حديثه عن الدهر، وغدره تاركاً للمخاطب الاجتهاد في تحصيل الدلالة حتى يدرك كيف صار الهمَّ مثل جهنم والشَّيب مشتعلاً مثل الوقود.

أمّا في التركيب الثالث عبّر الشاعر عن كثرة التلوج عندما شبهها بالغيم وهي في الأرض دون ذكره لوجه الشبه حتى تزول الفروق بين طرفي التشبيه، وكذلك الأمر نفسه في الشطر الثاني حينما

¹ - السابق ، ص 25

شبهه الرياض في الأرض بالأفق وفي ذلك إدعاء من المتكلم حتى يقوم المخاطب بتفصيل وحدات الصورة وتحصيل دلالتها.

و في التركيب الرابع شبه فصحي اللغات أي لغة الضاد بالشمس ليترك إعمال الذهن للمخاطب من أجل بلوغ المعنى المقصود، فاللغة العربيّة أضاءت على السّينما لما نطقت بها، فزادتها جمالا وبهاء ، ولعل هنا تكمن القيمة التداولية للتشبيه.

الفصل الرابع

البنية الحجاجية في ديوان محمد السيد آل خليفة

- المظاهر الحجاجية وتنوعها في الديوان

- المرجع الديني وأشكاله في الديوان

تمهيد:

يقوم الشّعر أساسًا على الحجاج، فهو أداء كلامي يعتمد ضروريًا عن الصنّاعة الفنيّة للتعبير عن آراء الشّاعر ومواقفه، لتعديل سلوك القارئ أو التأثير فيه، وعلى حدّ تعبير "أوزفالد ديكرود" "O.Ducrot": «فهو طريقة عرض الحجج و تقديمها، ويستهدف التأثير في السّامع». ⁽¹⁾

يركز "ديكرود"، على دور الحجاج في التأثير على السّامع، وهذه غاية الغايات التّداولية، وقد عرّفه طه عبد الرحمان: «أنّه كلّ منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها» ⁽²⁾

فلقد ركز طه عبد الرحمان في تعريفه هذا على غاية الإفهام ودون التّعرض إلى غرض الإقناع الذي يمثل جوهر الحجاج وغاية التّداولية، فالقصيدة تخضع إلى العديد من العمليات الدّهنية لدى المتكلم والعدولات التي يجربها الشّاعر وهو يقلّب أحوال فكره، قياسًا بحال المتلقي ممّا يلزمه الإعتقاد على الحجاج، والذي يقوم على صنّاعة الجدل أساسًا، لذا يعتمد كثيرًا على مبادئ المنطق والفلسفة والبلاغة، فيعالج المشكلات الكلامية وكيفية عرض الحجج وبيانها، والغاية من ذلك كلّ هي استمالة المتلقي لما يعرض عليه ⁽³⁾، ونجد بيرلمان Berlman وتيتيكا Tyteca، «يدعيان أنّ إذا كان إذعان العقول بالتّصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كلّ حجاج، فأبجح حجّة هي تلك التي تنجح في تقوية جدّة الإذعان من يسمعها، وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل، أو الإحجام، أو هي على الأقل التي تحقّق الرّغبة عند المرسل إليه في أنّ يقوم بالعمل في اللّحظة الملائمة» ⁽⁴⁾.

¹ - التّداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، ص 15-21 .

² - اللّسان والميزان، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص 126.

³ - في اللّسانيات التّداولية، خليفة بوجادي، ص 89

⁴ - استراتيجيات الخطاب، الشّهري عبد الهادي بن ظافر، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،

ط1، مارس 2004م، ص (456-457)

وما يلاحظ أنّ هذا التعريف الأخير يعتبر أكثر شمولاً من سابقه لأنّه بين شكل الحجاج وغايته الإقناعية، كما يعد الحجاج باباً رئيساً في مبحث التداولية، واندراجه فيها أمر قد جرى في عرف الباحثين⁽¹⁾

أمّا في ديوان محمد العيد آل خليفة فإننا نجد الكثير من التراكيب التي تتمسك بلامح حجاجية تعكس ما يدور في ذهن الشّاعر، والغرض الذي يتوخاه لدى سامعيه، حيث أنّ نظرة شاملة لمجموع قصائد تكشف عمّا يرتبط بالشّاعر متكلمًا ومرئيًا، ومحبًا لوطنه، معاشيا الاستعمار الغاشم، رافضًا للذل والهوان.

وهذا ما تكشفه قصائده فهي تصويرٌ حيّ لواقع عاشه الشّاعر، فضلاً عن ذكر مناسبة القصيدة وتاريخها في أغلب قصائد الديوان، ممّا يجعل شعر محمد العيد آل خليفة مناسباً للدراسة التداولية في عموم مباحثها.

1- المظاهر الحجاجية في ديوان محمد العيد آل خليفة:

يتناول هذا المبحث تراكيب الديوان من حيث انتظام وحداتها، ومن حيث العلاقات الناشئة بين التراكيب فيما بينها.

وما يميز تراكيب الشّاعر محمد العيد آل خليفة تلك التراكيب اللغوية التي تعتمد أساساً على وحدات إضافية (فضلة) أو تحذف وحدات أساسية منه، وفي حالة اقتترانه بتراكيب أخرى يأخذ أشكالاً مختلفة للدلالة، بحسب تعدد المقامات التي تستخدم فيها، لكن اللافت للنظر، هو ارتباط الأشكال المحددة للزيادة والحذف بوظائف تداولية مختلفة، فزيادة أدوات التوكيد مثلاً مرتبطة بحال السامع وما يقتضيه المقام لتقوية الكلام وتأكيده.

² - ينظر: التداولية والحجاج مداخل ونصوص صابر الحباشة، ص 7.

والحذف يشمل عددًا من أجزاء الجملة، كحذف المسند إليه أو المسند وله أغراضه البلاغية، مما يتيح مجالاً واسعاً لتقدير المحذوف بعدة تقديرات تكون مقصودة⁽¹⁾

وفيما يلي بعض الإضافة أو الزيادة والحذف في الديوان، بأبعادها المحجاجية و وظائفها التداولية:

1-1- الإضافة في التركيب لأبعاد حجاجية:

أ) التوكيد:

نقف في هذا المبحث عند أهم أساليب التوكيد في الديوان أين نجد فاعلاً في التركيب المحجاجي، بحسب المتلقي، إن كان متقبلاً للخبر أو يطلب توكيداً أو منكرًا للخبر تمامًا نحو قول الزركشي: « إنما يؤتى به للحاجة للتحرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب ساذجاً ألقى إليه الكلام خالياً من التأكيد، وإن كان متردداً فيه حسن تقويته بمؤكد، وإن كان منكرًا وجب تأكيده. »⁽²⁾

فالأمر يتوقف على معرفة سابقة مشتركة بين المتكلم، السامع، على سبيل التوافق والاختلاف، فيلجأ المتكلم إلى الإضافة في التركيب، طلباً لتثبيت ما يريد في ذهن السامع، وإزالة ما يعتقده من احتمالات. فمفهومه حجاجي أساساً⁽³⁾، ومن أبعاده المحجاجية في الديوان:

* أ-1- المخالفة: وتكون عند تأكيد الشاعر لحكم مخالفاً لما يعتقده السامع نحو قول الشاعر

محمد العيد آل خليفة:

ت1: حثوا العزائم وادققوا الآمال إنَّ الزَّمان يسجل الأعمال⁽⁴⁾

ت2: إنَّ الممثل للحقائق كاشف خيراً وشرّاً أو هدى وضلالاً.

¹ - ينظر في أساليب الإتيان الدلالي في الحديث النبوي الشريف، تنوير أحمد هندي، مقال مجلة دراسات أدبية العدد 21، سلطان دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ص 9.

² - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، ج2، ص 390.

³ - في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص92

⁴ - الديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 343.

إِنَّ المِثْلَ قَائِدَ بَيَانِهِ يَغْزُو الحِصُونَ وَيَفْتَحُ الأَقْفَالَ. (1)

ت3: إِنَّ ذَكَرَى الشَّهِيدَ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ تَرْفَعُهَا بِالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ

إِنَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَوْلَ رِزْقٍ مِنْهُ فِي نِعْمَةٍ وَفِي سَرَاءٍ (2)

ت4: إِنَّ العُرُوبَةَ تَسْتَعِدُّ لِنَسْفِ مَا بَذَرَ اليَهُودُ لَهَا مِنَ الأَلْغَامِ

إِنَّا بَنُو العَرَبِ الأَعْرَابِ مَا لَنَا غَيْرَ العُرُوبَةِ مِنْ دَمٍ وَقَوَامِ

وَطَنَ العُرُوبَةِ كُلَّهُ وَطَنَ لَنَا فِي مِصْرٍ أَوْ بَغْدَادٍ أَوْ فِي الشَّامِ (3)

تحتوي التراكيب السابقة على مجموعة من الأحكام المؤكدة والمخالفة لما في ذهن السامع، حيث ينفي الشاعر كل مرة اعتقاد مخاطبه حسب النتائج:

ففي التركيب الأول يريد توجيه الخطاب إلى المتلقي على النحو الآتي:

- ليس كما تعتقدون أنكم في حزم وعزم وصدق.

وفي التركيب الثاني: ينفي الشاعر ما يعتقد المتلقي: ليس للفرجة والاسترخاء التمثيل، بل هو للكشف عن الحقائق.

وفي التركيب الثالث: لا يعتبر الشاعر ذكرى الشهيد أن ترفع بالصخرة الصماء، كما يعتقد السامع بل هي أرفع من ذلك.

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 343.

² - نفسه، ص 435.

³ - نفسه، ص 244.

وفي التركيب الرابع يتوجه الشاعر إلى اليهود لينفي ما يعتقدونه أثناء بذرهم للألغام قصد التضييق، فإنّها ستُفسف من قبل العروبة فتكون مقبرة لهم، وليس من المعقول أن يجيد بنو العرب عن عروبتهم سواءً في مصر أو بغداد أو الشام كما يعتقد العدو، فالعروبة تجمعهم .

- إنّ ما يقدّمه التّوكيد في الأبيات ليس ما هو موجود على مستوى الملحوظ من العبارة، إنّما نتيجة ذلك، وهذا هو البعد الحجاجي للتّوكيد. فالبيت الأول مثلاً، لا يقرّر حالة الاسترخاء التي يجيها الجزائريون في الخمسينات قبل اندلاع الثورة التحريرية، بقدر ما يحاججهم عن الحال التي هم عليها في اعتقاد العزم والحثّ عليه، والصدّق في الآمال واجب لأنّ الزّمان يسجّل الأعمال فعليهم الانتباه والعمل من أجل تحقيق النّصر، بناءً على عطف الأمر (أصدقوا) على الأمر (حتوا) ، ليُتبعه بالتّوكيد (إنّ الزّمان).

وفي التركيب الثاني نجد حديث الشاعر عن التّمثيل، كونه ليس موطن فرجة فقط إنّما يسعى فيه الممثل إلى الكشف عن الخير والشرّ، و فالممثل فيه بمثابة القائد يخترق الحصون ويفتح الأقفال؛ فكلام الشاعر المألوف لم ترد فيه لفظة فرجة، إنّما هي نتيجة حتمية لما يعتقد السّامع وعلى الشاعر مخالفة لما في ذهنه، فلولا سوء التّمثيل وقلة وعي الممثل لما كان هذا الكلام.

وفي التّركيب الثالث نجد الشاعر يؤكّد على ذكرى الشّهيد فهي أكبر من ما يعتقد السّامع وأسمى من أن توضع لها صخرة صماء، فذكر لفظة الصّماء يريد بها العكس أي حياة الشّهيد عند ربه وهو حيٌّ يريزق بخلاف اعتقاد السّامع.

أمّا في التّركيب الرابع، يريد الشاعر أن يعلن من أرض الجزائر المباركة، تضامنه مع فلسطين الجريحة، واستعداد العروبة لنسف ألغام الصهاينة، عكس ما كانوا يعتقدون بمخططاتهم التي تسعى إلى بتّ الفرقة بين العرب، فالدمّ العربيّ يجمع شعوبهم سواء في مصر أو العراق أو الشام، فمن خلال

دلالة الأبيات تظهر التوقعات الخاطئة التي كانت بحوزة المتلقي (اليهود) مما استدعى التوكيد في بعد حجاجي ، يهدف إلى إزالة ما يعتقد السامع وشكل مطلق.

وفي قصيدة بعنوان "بلادي" * يقول شاعرنا:

ت1: ومنا لها في الخوف حام و حارس ومنا لها في الحيف كاف وناقم

ومنا لواء في الميامين خافق ومنا شهاب للشياطين راجم

ومنا جبال في الحلوم شوامخ ومنا بحار في العلوم خضارم

ت2: سيشهد شهر الصّوم خير شهادة لكم و تزكيه الشهور القوادم

فهل أنت ساع بالهواجر دائب وهل أنت سار في الدياتير حازم؟

وهل أنت راج في أجورك راغب وهل أنت باك من ذنوبك نادم؟

وهل صُمت هذا الشهر لله مؤمنا ومحتسبًا تعفو به وتُسلم؟

وقلت لمن ناجاك بالبرّ ناجني وقلت لمن هاجاك إني صائم؟

ألا هل لنا يا شهر فيك مرشد ألا هل لنا يا شهر فيك مراحم؟⁽¹⁾

ت3: لقد قطعوا نهارك بالتّحري لصومهم و ليلك بالقيام

وقد صاموا عن الشبهات لا عن شرايهم فحسب أو الطعام

فقل ما شئت في طيب وأنس و تفكّهة ويسر وابتسام(...)

* - ألقى الشاعر القصيدة في إحدى حفلات مدرسة الشبيبة بالجزائر، ونشرت في جريدة البصائر 1937 م

⁻¹ ديوان، محمد العيد آل الخليفة، ص (137،138)

وقل ما شئت في أجر عظيم يفوز به دؤو الممم العظام⁽¹⁾

تختلف دلالة التوكيد في الأبيات السابقة من تركيب لآخر بل في التركيب الواحد بحسب اعتقاد المخاطب؛ فلقد أكد الشاعر في التركيب الأول على ضرورة حماية البلاد وحراستها والدفاع عنها، بتكرار السياق "منّا" مرتين في كل بيت من الأبيات الثلاثة، وتعبيره هذا لم يكن عبثاً لأن حرف الجر "من" يفيد الانطلاق والبداية والضمير "نا" يعود على الجماعة (نحن) ليحمل دلالة الدفاع والحراسة والحماية التي تنطلق "منّا" بخلاف ما يعتقد المخاطب، فالمبادرة تكون جماعية للدفاع عن هذا الوطن الحبيب.

أمّا في سياق التركيب الثاني يظهر التوكيد باستعمال أداة الاستفهام (هل) والضمير المخاطب "أنت" في أربع مواضع يتقاسمها كل شطر من البيتين؛ فتكرار اسم الاستفهام والضمير يحدث في النفس زعزعة وانتباها، لأنّ الاستفهام هاهنا غير حقيقي يفيد اللوم والعتاب الموجه للمخاطب على اعتقاده الخاطئ تجاه شهر الصيام، والضمير "أنت" يفيد توكيد المفرد وله دلالة قويّة في أن المسألة أصبحت فردية، تقتضي الجزاء، كما اعتمد الشاعر في التركيب نفسه على تكرار الفعل الماضي وتوكيده: (قل) الفعل + الضمير (ت) المتكلم، - فلقد استعمل الشاعر الأسلوب الخبري من باب تذكير المخاطب حتى يعدل عن ما يعتقد و يلتزم بقواعد الصيام .

- لينتقل الشاعر إلى التوكيد بالحرف "ألا" الدال على العرض واسم الاستفهام "هل"، والجار والمجرور (لنا) والنداء (بالنهي) وهذه السياقات المختلفة للتوكيد إنّما تدل على حرص الشاعر على تغيير المعتقد المترسب لدى المخاطب، خاصة إذا تعلّق الأمر بعظمة هذا الشهر المبارك الدال على الخير والرّحمة واليُمن.

¹ - السابق، ص 152.

ليواصل الحديث عن هذا الشَّهر الكريم المبارك في قصيدته الميمية بعنوان "شهر الصيام" مستعملاً التوكيد بـ "قد" والتي تفيد التحقيق لاقتراحها بالفعل الماضي (قطعُ) (وا) والواو العائدة على جماعة الصَّائمين، القائمين، المتقين.

ويستمر الشاعر في تنويع عبارة التكرار ليستعمل فعل الأمر (قل) والجملة الموصولة (ما شئت) الدالة على المجال المعنوي الفسيح في ذكر خيرات الشَّهر العظيم الفضيل المبارك.

والملاحظة أنَّ المتكلم أو الشاعر يلجأ إلى الزيادة في التركيب طلباً لتثبيت ما يُريده في ذهن السَّامع وإزالة ما يعتقدُه من احتمالات، فمفهومه حجاجي أساساً.

* أ-2 - التذكير:

قد يأخذ التوكيد شكلاً آخر عندما لا ينفي المتكلم ما في ذهن المخاطب بل يعمد إلى تذكيره، بما يقتضيه ذلك الاعتقاد نحو قوله:

ت1: نوفمبر قد وافى على اليمن ...*... والبشرى بعاشرة الذكرى لثورتنا الكبرى

نوفمبر قد وافى فأهلاً ومرحباً ...*... بشهر ركبنا فيه مركبنا الو عرا

نوفمبر قد وافى الجزائر طاوياً ...*... من الثورة الكبرى سنين لها عشراً

(....)

نوفمبر وافانا فذكرنا الفدى ...*... وثورتنا العظمى وأعوامها العُبراً

نوفمبر وافانا فطيبنا شدى ...*... بذكرى ضحايانا وضمَّخنا عطرًا¹

¹ - السابق، ص 438

ت2: إني أرى فيكم مخايل فطنة...*... كالبرق تومض من خلال غمام⁽¹⁾

ت3: وتعلم قواعد النحو والصّر...*... ف ورضها بمنطق وبيان

إنها كلّها وسائل فهم...*... لمعاني الحديث و القرآن⁽²⁾

تختلف دلالة التوكيد في هذه الآيات عن الدلالة السابقة، لأنّ الشاعر (متكلّمًا) يقبل اعتقاد المخاطب، لكنّه يذكره بما يقتضيه اعتقاده، ليحججه حجة عليه.

ففي التركيب الأوّل يذكر الشاعر المخاطب بنوفمبر رمز الثورة والفدى في ذكراه العاشرة، فالشاعر يذكر المتلقي للخطاب بما يقتضيه اعتقاده ليحججه ذلك حجة عليه من أجل الاعتبار والاعتداء.

أما في التركيب الثاني: فيواصل الشاعر حديثه عن الشعب المقعم بالثورة، ليحججه منه فطن وكالبرق يومض من خلال الغمام.

- وفي التركيب الثالث دعوة الشاعر لمن يريد فهم الحديث والقرآن عليه تعلم قواعد النحو والصّرّف، ويهدف المتكلم من خلال ذلك إلى إقناع المخاطب، ويعدّ هذا بعدًا حجاجيًا في هذا التركيب.

و الملاحظ أنّ المخاطب بالتوكيد في هذه الحال لا يستطيع معارضته خلافًا للسابق، حيث يستطيع أن يبدي عدم موافقته على مذهب المتكلم، لكنه في هذا التوكيد يكون أقرب إلى أن يستسلم للمتكلّم ويقبل حجّته.

¹ - السابق، ص 240

² - نفسه، ص 266.

(ب) - العطف:

من دلالات العطف في التركيب اللغوي الاشتراك في الحكم، إذ ينزل المعطوف منزلة المعطوف عليه، باستخدام أحد حروف العطف المعروفة، مما يزيد في البعد الحجاجي، فيزيل المتكلم اعتقاد مخاطبه المخالف للإشراك في الحكم،⁽¹⁾ أو أن يؤكد بالعطف عدم صحّة شكوكه بشأن ذلك ويحصل في الأخير على دلالات التقوية والإلحاح ومن أشكال تراكيبه في الديوان.

ب-1- عطف الخاص على العام نحو قوله:

ت1: بباتنة رعد البشائر لعلعا ...*... فأطرب (أوراسا) بها (والشَّلْعِعا*)⁽²⁾

ت2: وما نحن إلاّ أمة ذات نسبة ...*... سماوية الأسباب لن تتقطعا

وذريّة للأطلس الفخم لو به ...*... تصدت لنا ذريّة ما تصدّعا⁽³⁾

ت3: ألسنا من الأجناس أفصحهم فمّا ...*... وأسمحهم ديننا وأصلحهم أبا؟

ولدنا وأنجبنا ففزنا عليهم ...*... ومن ولد الصيّد المناجيد أنجبا

فهل أنجبوا فيها (عليّا) و (خالداً)*... و(عمرًا) و (مَعْنًا) و (ابن قيس) و (مصعبًا)

وهل أنجبوا مثل (الغزالي) باحثًا ...*... ومثل (ابن خلدون) خيرًا مدرّبا؟⁽⁴⁾

¹ - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص 96

* - أوراس و الشَّلْعِعا: جبلان من جبل الشّرق الجزائري.

² - ديوان، محمّد العيد آل الخليفة، ص 185.

³ - نفسه، ص 188.

⁴ - نفسه، ص 195

- تتضح القيمة المحجاجية للعطف في التركيب الأول في قوله: أوراسًا و الشلعلعا تحدث عن الخاص تم عطفه على العام، مدينة باتنة كأنّ هناك إلحاحًا وتخصيصًا لهذان الجبلان بهذا المنطقة دون غيرها

- وفي التركيب الثاني: عطف "ذرية للأطلس" وهو خاص على لفظة أمة الدالة على العموم، وذلك إلحاحًا على الاهتمام والتّخصيص حرصًا على اكتفاء السّامع بذلك، فذرية الأطلس رمز النّداء والثورة جزء من الأُمَّة الإسلامية المباركة من السّماء.

وكذلك في التركيب الثالث: حيث عطف لفظة أصلحهم على أفصحهم فأسمعهم حيث أنّ الفصاحة تقتضي الاستماع فيحدث الإصلاح وهو الأعلى درجة.

كما عطف الفعل أنجب الخاص، فنقول أنجب الرّجل ولدًا نجيبًا وأنجبت الأرض أبطالاً أي من نوع خاص، فهو معطوف أي الفعل أنجب على العام، وهو الفعل ولد أي ما ولد سواء ذكرًا أو أنثى.

واستمر العطف والتّخصيص عندما عطف مُصعب على ابن قيس وعمر على خالد وعلي وهذا إلحاح من الشّاعر على الاهتمام وبالتّخصيص لتحصل دلالة التّقوية والتّوكيد.

ب-2- عطف العام على الخاص:

خلافًا للسياق، يذهب المتكلم بسامعه إلى أبعد ما يتوقعه ليوسّع دائرة الحكم، بغية الإقناع والتأثير ومن شواهد

ت1: و خلف بعده دينًا قويمًا ...*... وسلطانًا يجعلُّ عن الحدود

وجندا يفتح الدّنيا ويعزّو ...*... كمثل السّيل فاض على السّودود

ومجتمعاً إخائياً تساوت ...*... به الأجناس من بيض وسود⁽¹⁾

ت2: لقد رضي الإسلام عن كل فاضل ...*... (بباتنة) استدعى الضيوف فأمّتها

وعن محسن في المسلمين بداره ...*... على العلماء المسلمين تبرعاً

وعن أي حرّ كان من أي فرقة ...*... أعان على نشر العلوم وشجعاً⁽²⁾

ومن المعاني الحجاجية المستقاة في هذين التركيبين أن يأخذ المتكلم مخاطبه من حال إلى آخر، ومن دليل قريب إلى آخر أبعد، وهذا التدرّج في مراحل الاستدلال هدفه الإقناع والتأثير، فهو في التركيب الأول عطف (مجتمعاً) وهي بصيغة الجمع أعم من الجند بغية الإقناع، لأنّ الجند جزء من المجتمع، وكيف لا يكون الإقناع، والجزائر خلفت خلفاً صادقاً أميناً لا خلفاً كاذباً خائئاً، وشتان بين الخلف والخلف.

وتتضح صورة الاسترسال بالسّامع إلى حدّ الإقناع في التركيب الثاني حين يبدأ المتكلم بالحديث عن رضي الإسلام عن كل فاضل بباتنة المدينة الجزائرية الشرقية، ثم عن المحسن بداره على العلماء إلى أيّ حرّ كان من أيّة فرقة يعين على شرّ العلوم ويجشع ذلك.

وفي هذا تدرج من عام إلى خاص: رضي الإسلام عن كل فاضل بباتنة، ثم عن محسن في المسلمين وصولاً إلى رضي الإسلام عن أيّ حرّ كان من أيّ فرقة .

(كل فاضل بباتنة) ← عن المحسن ← أيّ حرّ كان من أيّة فرقة .

فنتيجة انتقال الشّاعر من العام إلى الخاص كانت بلوغ الاسترسال مداه بسبب هذا العطف.

¹ - السابق، ص 199

² - نفسه، ص 188.

ب-3- عطف التفصيل:

كقوله: في قصيدة "تحية شاعر إلى الرئيس جمال عبد الناصر":

ت1: ضحكت حدائقها إليك بزهرها ...*... وثمارها ضحك الحبيب السّافر

اهتز شاطئ بحرهما لك عازفًا ...*... ومصفقًا بهدير موج زاخر

وعنت شواهدقها لمجدك حُشعًا ...*... ورئت إليك بكل شوق ظافر

وتكلم (الأوراس) عنها خاطبًا ...*... ودَّ (المقطم) باللسان الشاكر

واستقبلتك سهولها وحقولها ...*... وربيعها الزاهي بحسن مناظر⁽¹⁾

ت2 : وبدت لك الصحراء في فردوسها...*... من باطن توّتي الغلال وظاهر

طابت ظلال نخيلها لنزيلها ...*... واعذوذبت أعذاقها للتّامر

فترى التّخيل بأرضها مجلوهً...*... مثل العرائس سادلات ضفائر

والحفلات بطرقها تطوي الفلأ ...*... طيًّا كغزلان بها وجآذر⁽²⁾

يكتسب المدلول في هذا التركيب بعدًا آخر جراء التفصيل الموجود فيه، وهو استقصاء ما يمكن أن يشمل اللفظ العام وذكره كله، وفي ذلك إيجاز للمخاطب إلى الإقناع التام بالحكم، وضمان حصول التأثير فيه وهذا ما يتضح عندما يستقصى الشاعر أحوال أرض الجزائر وهي تستقبل القائد جمال عبد الناصر، فتضحك حدائقها بزهرها، وثمارها ضحكة الحبيب السّافر، واهتزاز الشّاطئ

¹- السابق ، 221

²- نفسه، ص 222.

وعزفه، وتصفيق موجه الزّآخر، وحتى الجبال عنّت والأوراس تكلمّ مستقبلاً الرئيس العربي (جمال عبد الناصر) بسهوله وحقوله وربيعة الزّاهي ومناظره الحسناء.

إذ نجد الشّاعر استعمل **عطف التفصيل** حيث انتقل من العام "أرض الجزائر" إلى الجزء عندما راح يتحدث عن "ضحك الحدائق" و"اهتزاز الشواطئ" والجبال الشواهد وما تحويه السهول والحقول.

ويواصل الشّاعر في ذات السّياق عندما تحدث عن الصّحراء بشكل عام فراح يستقصي ما يمكن أن تشمله، فعملية استقصاء ما يشمله العام ظهر جلياً عندما تحدّث عن ما تحتوي عليه الصحراء من ظلال النّخيل، و أعذاق، وتشبيهه الحافلات بالحيوانات الموجودة بالصحراء كالغزلان، وجآذر أيّ البقر الوحشي، وفي ذلك إيجاز للمخاطب إلى الإقناع التّام بالحكم، وهو قيمة الرجل الزائر لأرض الأحرار، والعروبة الجزائر.

ج) النّعت:

ويؤيّن خليفة بوجادي دور النّعت الحجاجي ليقول: « يعدّ النّعت أحد الأشكال الحجاجية في التّركيب اللّغوي، لارتباطه بإرادة المتكلم في إقناع مخاطبه، وتغيير الحكم لديه، باللّجوء إلى الوصف المذكور (المنعوت) ليتحقق في ذهنه ويعلق به.»⁽¹⁾ فعن طريق تطابق النّعت والمنعوت يظهر التّوكيد جلياً في تكرار النّعت، وما يحمله المنعوت، ولقد استعمل محمد العيد آل خليفة النّعت في ديوانه بهذا البعد الحجاجي في عدّة مواضع، نذكر منها ما ذكره في قصيدة بعنوان "سلوا التّاريخ":

ت1: بني الإسلام هذا يوم ذكرى معطرة على مرّ العهد

سلوا التّاريخ عن أذكى رسول رؤوف في الكتاب بكم ودود⁽²⁾

¹ - في اللّسانيات التّداولية، خليفة بوجادي، ص 99

² - ديوان، محمّد العيد آل الخليفة، ص 201

ويقول في قصيدة بعنوان "تهنئة الجيش" يقول:

ت2: فيأيها الشعب "الخليلي"¹ محنة... *... تبارك من أنجأك من لهب الجمر

هنيئا لك النصر المبين فقد بدت... *... طلائعه مثل التبشير في الفجر

وعاودك الحظ السعيد فعش به... *... سعيدا مجيدا بالفدى طيب الذكر

ومغربنا الحر الكـبير موحد... *... مع العرب الأحرار في كنف اليسر²

ويقول في قصيدة بعنوان "إلى العلم"

ت3: رعى الله في أرض الجزائر نهضة... *... مباركة في العلم "تسمو" إلى النجم

"وترمي" إلى أهدافها بقصودها... *... موفقة الأنظار صائبة السهم

"وتنشئ" للفصحى مدارس عدّة... *... مشيّدّة البنيان محكّمة الدّعْم³

يرد النَّعت في هذه التّراكيب مفردًا باستثناء التّركيب الثالث أين ورد جملة فعلية في الجمل

(تسمو - وترمي - تنشئ...) ليُضفي على كلّ منها بعدًا حجاجيًا غرضه إقناع السّامع، والتأثير

فيه، وإذا عدنا إلى التّركيب الأوّل نجد الشّاعر قد نعت الرّسول صلى الله عليه وسلّم بلفظتي :

(رؤوفٍ، ودودٍ) ليكرّر في النَّعت ما يقصده في المنعوت لكن بطريقة تغري السّامع وتخطب ودّه.

وفي التّركيب الثاني نجد الشّاعر نعت الشعب ب لفظة "الخليلي" وهنا يشير إلى إبراهيم الخليل

وفي ذلك بُعدًا حجاجيًا يوحي بأصول هذا الشعب المكافح البطل، ومن خلال هذه الصّفة نجد

¹ - يشير الشّاعر إلى إبراهيم الخليل عليه السّلام، حيث أُلقي في النّار فأنجاه الله منها .

² - ديوان، محمّد العيد آل الخليفة، ص 434

³ - نفسه، ص 202.

الشاعر يُبَيِّنُ محنة هذا الشَّعب في الكفاح و التي تشبه محنة سيدنا إبراهيم الذي أُلقي في النَّار لتمرَّ عليه برداً وسلاماً بعناية ربانيَّة، وهذا ما يتمناه الشاعر في أن تكون نار الثَّورة برداً وسلاماً على الشَّعب الجزائري المكافح كما كانت برداً وسلاماً على إبراهيم الخليل عليه السلام .

وفي التَّركيب الثاني دائماً: نعت النَّصر ب المبين، والحظ ب السعيد، العرب بالأحرار ؛ فالملاحظ أن النَّعت يطابق المنعوت، وتوظيفه من قبل الشاعر جاء مقصوداً لما يحمله من دلالة حجاجية رائعة تلفت السَّامع وتجعله يقتنع بما يقول، فالنَّصر كان مبيناً، والحظ كان سعيداً، فعلى السَّامع التَّمعن في معنى الإبانة، والسَّعادة حتى يصل إلى البعد الحجاجي للصفتين المذكورتين.

أمَّا في التَّركيب الثالث عبَّر الشاعر بالنَّعت جملة على النهضة العلميَّة التي عرفتها الجزائر، في قوله: (تسمو، وترمي، تنشئ) والنَّعت المفرد في قوله "مدارس عدَّة مشيدة"، محكمة، فهذه نعوت لمدارس على وزن مفاعل، وهذا التَّنوع بين المفرد والجملة له قيمة تداولية، بين حركة الفعل وثبات الاسم، فيعمل ذهن السَّامع ويُشغله.

(د) القصر:

يعتبر القصر من عناصر الحجاج خاصة عندما يجنح المتكلِّم في تثبيت ما يريد في ذهن السَّامع وتغييره لما يعتقد إذا كان مخالفاً للحكم، يقول السَّكاكي: « إنَّ قصر الصَّنفة على الموصوف وبالعكس ليس إلاَّ تأكيداً للحكم على تأكيد»⁽¹⁾

ومن أهم أنواع القصر في الديوان بهذا البعد الحجاجي القصر الحقيقي الذي يلجأ إليه المتكلم حين يكون المخاطب يعتقد الاشتراك في الحكم. ومنه قوله:

¹ - مفتاح العلوم، السَّكاكي، ص 291.

ت1: وما نحن إلا من سلالة يعرب ...*... فمن رام عنها فصلها باء بالرغم⁽¹⁾

ت2: وما الشعر إلا مرصد خارق المدى ...*... على قمة شماء للغيب راصد⁽²⁾

ت3: وما نحن إلا إخوة رغم بيئنا ...*... أشقاء في الإسلام ما بيننا فرق⁽³⁾

ت4: إنما الأمهات دولاب عُمرا ...*... ن و دوحات عصمة واستناد⁽⁴⁾

تتشترك هذه التراكيب جميعاً في كون الشاعر يرغب في تغيير ما في ذهن مخاطبه - كل مرة - ليقنعه بخلافه وذلك هو بعدها الحجاجي المقصود ففي التركيب الأول أنشد الشاعر هذه الأبيات في احتفال تشييد مدرسة التربية والتعليم بمدينة بسكرة، ليؤكد فيها أن الجزائر أمة سلالتها عربية ليرد على المشككين أو الذين يطالبون بالانفصال عن العروبة والإسلام، ليظهر الأسلوب الحجاجي في قصر صفة العروبة على الجزائر وطريقه النفي والاستثناء.

وفي التركيب الثاني: نجد الشاعر محمد العيد آل خليفة مؤكداً باستعمال القصر حيث قصر صفة الرصد على الشعر، وطريقه النفي والاستثناء وهذا يدل على أهمية الشعر في رصد الأحداث والمناسبات فهو بمثابة الوسيلة الإعلامية، وهذا البيت مأخوذ من قصيدته بعنوان "أهلاً وسهلاً بالأمير" بمناسبة نقل رفات رمز الكفاح الجزائري الأمير عبد القادر من سوريا إلى أرض الوطن في جويلية 1966م.

ليواصل الشاعر بعده الحجاجي في التركيب الثالث، عند ما تحدث عن علاقة الأخوة التي تربط الشعب السعودي والجزائري، وذكر هذا بمناسبة رحيل الملك عبد العزيز آل سعود عاهل الجزيرة

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 205

² - نفسه، ص 509

³ - نفسه، ص 484

⁴ - نفسه، ص 430

العربية، حيث كان يحتل مكانة سامية في نفوس المعلمين بالجزائر، ليعبر الشاعر محمد العيد آل الخليفة باستعمال أسلوب القصر وطريقه النفي و الاستثناء مثلما كان الحال في الأمثلة السابقة، فقصر صفة الأخوة على الجزائريين وإخوانهم في المشرق رغم بعد المسافة، فالإسلام يجمعهم ويوحدهم. فهو بهذا الأسلوب يريد تثبيت ما يريده في ذهن السامع، وتفسير ما يعتقد أنه إذا كان مخالفاً للحكم طبعاً.

- أما في التركيب الثالث فالشاعر يهدف إلى بعد حجاجي مفاده أن الأمهات دُولاب، والدُولاب، الخزانة، أو الآلة تدور وتحرك حركة. فقصد هذه الصفة ليعزز دور الأم أو المرأة في المجتمع بل في الجهاد والبيت مأخوذ من قصيدة بعنوان " ثورة بنت الجزائر"، فعبر هذه المحطات يتضح دور القصر في التشيت والتغيير والتوكيد المضاعف للحكم.

هـ) التتابع والتوالي:

من أشكال الإضافة في التركيب التتابع والتوالي، ويعد أرقى من العطف لعدم وجود روابط مثل الواو، فقولنا محمد كريم وحليم، ليس كقولنا محمد كريم حليم، فالفرق في القيمة التداولية بين الجملتين، حيث أن العطف في الأول إشتراك في الحلم، أما الثانية فيقوم على التتابع لا العطف، فالتتابع يلحق فائدة زائدة، وكأنها حجة أخرى تهدف إلى التأثير في السامع وجلب إقناعه⁽¹⁾.

هـ-1- تتابع الصفة والضمير:

نحو قوله في قصيدة بعنوان: "إلى صديقي الجيلالي"

صفحة من حياة أعظم شيخ ...*... كان في مطلع الجزائر بدرا

كان سمحا ملاطفا كان ثبنا ...*... كان شهماً محافظاً كان حرّاً

¹ - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص103

كان فيكم مؤلفاً كان فيكم ...*... مغرماً باللغة وبالكتب مغرى⁽¹⁾

نلاحظ في التركيب تتابع مجموعة من الصفات دون وجود رابط مثل الواو أو الفاء، أو ثم، مما يعزز من قيمة التداولية للخطاب، فقولته كان هو (الجيلالي) سمحاً ملاطفاً، كان (هو) شهماً محافظاً، كان (هو) حرّاً، فلجوء الشاعر إلى التتابع دون روابط يعطى التركيب فائدة زائدة، وحنة قوية لمجموعة من الصفات تحلى بها زميله الجيلالي، ليؤثر بذلك في السامع، ويجعله يقتنع بكلامه.

هـ-2- تتابع المبتدأ :

- يقول الشاعر في قصيدة بعنوان "الثورة العظمى كسبنا نصرها":

إنّ الحياة مجال حق كادح ...*... يلقي من البطلان كل خصام

أنصاره المتجدون عن الهوى ...*... المغرمون به أشد غرام

السّاهرون عليه طول حياتهم ...*... الهاجرون له ألد منام

الذائقون لأجله مر الأذى ...*... من جور ظلام وكيد لئام⁽²⁾

نلاحظ تتابع المبتدأ في التركيب فقوله: المتجدون (هم) والمغرمون (هم) والسّاهرون (هم) ، والهاجرون (هم)، الذائقون (هم) يعطي السامع حجة دامغة فيقتنع، بكلام الشاعر، و يدرك أن الثورة لا تأتي إلا عن طريق التجرد من الهوى، وكبح جماح النفس (المغرمون، الساهرون، الهاجرون للذة النوم).

2- ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 451.

²-نفسه ، ص 241

هـ-3- تتابع اسم الفاعل

يقول في قصيدة بعنوان (يوم الشعب).

نحن البراء من الجحو ...*... د السالمون من البطر

نحن الإعفاء الضما ...*... نر والأصحاء الفطر

العائدون من استعا ...*... ذ العاذرون من اعتذر

المكرمون لضيفينا ...*... شكر الضيافة أو كَفَر

المؤثرون السَّلم إلاَّ ...*... أن تُهان ونحتقر⁽¹⁾

نجد في هذا التركيب تتابع صيغ اسم الفاعل (العائدون ،المكرمون ،المؤثرون)، وما تحمله من أبعاد حجاجية لما لها من دلالات عن معاني وقعت من الموصوف (هم)⁽²⁾ ، ليقع كذلك تتابع اسم الفاعل والمبتدأ العائد على الضمير (نحن)، ليتضح بذلك قيمة التتابع التداولية في إلحاق فائدة زائدة ، فهو حجة دامغة تهدف إلى التأثير في السَّامع وكسبه.

و- **التقابل:** يعدّ التقابل أحد أشكال استمالة المخاطب، ويتمثل في زيادة تعتري التركيب

لغرض التفصيل، والإقناع، فيلجأ المتكلم إلى المقابلة بين تراكيبه المتعاقبة، حيث معنى التركيب فيها يقابل معنى الآخر، شرحاً وتفصيلاً أو نقضاً أو تضاداً⁽³⁾، ومن أشكاله في الديوان:

د-1- **التقابل بالشرح والتفصيل،**

نحو قوله في القصيدة بعنوان "يا نفس"

¹ - السابق، ص 308.

² - جامع الدروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص 7 13

³ - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص 106

- ت1: ولا تحقري ضعفي وليني ففيهما رضى الله لا في قوتي وتصلبي⁽¹⁾
- ت2: نشأ العلم ملاكاً طاهرًا واستحال اليوم شيطاناً رجيماً
- ومضى يهدم ما كان بنى من حضارات فتنقض حطيمًا⁽²⁾
- ت3: أغار على الكنانة شرّ عاد فقل: يا مصر حيّ على الجهاد
- يعدو الإنجليز عليك زحفًا ويعثو في الحواضر والبوادي⁽³⁾

- نلاحظ في التركيب الأول أنّ الشاعر قابل كل من الضعف بالقوة، واللين بالصلب، وهذا من باب التوضيح وهو غرض المحسن البديعي الذي يهدف إلى تقريب الصورة بغية الإقناع، فضعف الإنسان أمام النفس الأمارة لا يعني أنّه في مقام احتقار بل هو عبد تائب يريد كسب رضى ربّه.

أما في التركيب الثاني فالعلم نور نشأ ليعلّم البشرية ويخرجها من الظلمات إلى النور إلا أنّه سلاح ذو حدين سرعان ما حوّله الإنسان بأطماعه إلى شيطان، وشتان بين الملاك والشيطان، والتقابل ظاهر بين لفظة ملاك/ شيطان، وكذلك لفظي بنى/ يهدم فاستعمال التّقابل يعد من الوسائل الإيضاحية التي تستميل السّامع بغية الإقناع والتأثير وتقبّل الواقع الذي يعيشه الإنسان سواء في صراعه مع نفسه أو على أرضه التي فسدت بعدما أصلح فيها ما أصلح.

وفي التركيب الثالث والأخير يواصل الشّاعر استعمال التّضاد ونجد ذلك في لفظة البوادي والحواضر ليبيّن لنا شمولية إجرام العدو الغاشم (الإنجليز)، فهو بهذا يقرب الصّورة للسّامع و يأثر فيه، ويحيطه بما يجري في أرض الكنانة من عدوان.

ويقول الشّاعر محمد العيد آل خليفة في قصيدته "باقة الشعر":

¹ - ديوان، محمد العيد آل الخليفة، ص 288.

² - نفسه، ص 336.

³ - نفسه، ص 344.

خذا لكما عني من الشّعر باقّةً كذكر كما الزّاكي تَضوَعُ* وتعبقُ
 مضت لكما في الدّهر أيام محنة وساعات عسر بالأماثل تلحقُ⁽¹⁾
 (...)

إذا الجور صادي الصّوت والعدل خافت إذا الغيّ عالي الرأس والحق مطرق⁽²⁾

لقد استعمل الشّاعر لفظة الجور وقابلها بلفظة العدل ولفظة الصّادي قابلها بلفظة خافت، وفي الشطر الثّاني قابل لفظة الغي بالحقّ و لفظة العالي مقابلة للفظة مطرق وهذا يعدّ زيادة في التّركيب لبعد حجاجي من أجل تثبيت الحكم في نفس المخاطب ليتقرّر في قلبه ويستقر .

ز- التّعارض:

ويأتي التّعارض عندما يورد الشّاعر تركيبين متعاقبين أو أكثر لكنّه يقوم على معارضة اللاحق للسّابق⁽³⁾ بغية إيضاح الحكم تأكيداً لموقف الشّاعر وتأثيراً على السّامع.

نحو قوله في قصيدة بعنوان "تحية الشهاب للشباب" والشّهاب مجلة نشرت فيها هذه القصيدة سنة 1926.⁽⁴⁾

ت1: كذب المفترى وجاء ببذع سوف يلقي جزاءه في الحساب
 صاح ما شاء أن يصيح ولكن ما على الحرّ من عوّاء الذّئاب

¹ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص395. / *تضوّعت وضاعت رائحة المسك، اشّدت انتشارها

² - نفسه، 395.

³ - ينظر في اللّسانيات التّداولية، خليفة بوجادي ص 107.

⁴ - ديوان محمّد العيد آل خليفة، ص 87.

سره أثنى انقلبت ولم	يدر أنّ استقامتي في انقلابي
سره أنني انقلبت من اللد	ه بفضل ونعمة وثواب
فلئن رحمت غيلة الافتراء	ات فإني قد أبت خير مآب (...)
كأبي زيد السروجي لما	صادمته حوادث الاغتراب
لم يسمه الشقاء قط ولكن	أسعدته قوالب الانتساب ⁽¹⁾

ويقول في قصيدة بعنوان هذه قمة الفتوة التي نظمت بمناسبة اختتام السنة الدراسية بالمعهد الإسلامي بمدينة باتنة صيف 1965.

ت2:	أيها الشعر أنت وحي جنان	وصدى خاطري سحر بياني
	<u>أنت مني بمنزل الروح لكن</u>	<u>لست مني إن لم تجب من دعائي</u>
	لست مني حتى تحيي عني	بالتحايا الحسان من حيائي. ⁽²⁾

ففي التركيب الأول نلاحظ تعارض التركيب اللاحق للسابق فحديثه عن المفترى الذي يصيح أتبعه بكلام أوضح فهو عبارة عن عواء الذئاب، وسرور المفترى عند انقلاب الشاعر وهو في حقيقة الأمر طريق فضل ونعمة للشاعر، فالافتراء لا يزيده إلا خيراً وحسن مآب، مشبها نفسه بأبي زيد السروجي يُدعى "بن سلام صاحب الحريري" الذي روي عنه ملحّة الإعراب⁽³⁾ الذي عانى الاغتراب ولم يُسميها شقاء ولكن أسعدته قوالب الانتساب إلى وطنه وحنينه إليه.

¹ - السابق، ص 87-88

² - نفسه، ص 265.

³ - ينظر تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، نوري حمودي القيسي، يونس أحمد السامري، نصوص أدبية، ط1، 1952، ص 76.

فعرض الشاعر لتزكيين متعارضين زياداً في تأثير السّامع وتأكيداً على الموقف الثابت وإيضاحاً للحكم المراد.

أما في التركيب الثاني، فنأدى الشاعر الشّعر على أنّه وحيه وصدى خاطره وسحر بيانه وروحه فسرعان ما يعقبه بتزكيب معارض للتزكيب السّابق عندما استعمل الأداة "لكن" والتي تفيد الاستدراك لينفي أن يكون الشّعر منه إنّ لم يُجب من دعاه، وإن لم ير الفضل فضلاً و يجاز الإحسان ويحي من يحييه، فعلاقة الشّاعر بالشّعر مشروطة بالخصال الحميدة والأصيلة الثابتة والمبنية على الإكرام.

هذا ولقد صاغ الشّاعر هذا الأمر في قالب تعارضيّ من أجل إيضاح الحكم وترسيخ المراد في السّامع.

ح- الإدخال:

ويتمثل في أن يورد الشّاعر تركيباً ثم يدخل عليه تركيباً آخر على سبيل الاستئناف، لكنه لا يفصل الحكم السّابق أو يشرحه، بل يبدو منقطعاً عنه تركيباً ويربط السياق العام للخطاب، فينتقل بالمخاطب من حال يرجى إقناعه فيها إلى حال أخرى تخدم هذا الإقناع، وتكون بمثابة حجة لذلك، وغالبا ما يكون مؤكداً بـ إنّ أو غيرها فهنا يتضح البعد المحجاجي للإدخال، ومنه الاستئناف والاعتراض⁽¹⁾

ومن شواهد ذلك.

ح-1- الإدخال بالاستئناف، نحو قوله:

ت1: حثوا العزائم واصدقوا الأمالا
إنّ الزمان يسجّل الأعمال⁽²⁾

¹ - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص107

² - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص339.

ت2: لم يدم كيد ولم يبق ظلم

إنّ كيد الظالمين ضئيل⁽¹⁾

ت3: أتلو الكتاب مصدقاً

إنّ الكتاب مصدق⁽²⁾

ت4: فدعوا الهوى والعاكفين على

الهوى إنّ الهوى صنم من الأصنام⁽³⁾

ت5: مدّ أوراس سفحه لك ظلاً

إنّ (أوراس) مكرم الضيفان⁽⁴⁾

الملاحظ أنّ الشّاعر استعمل الإدخال على سبيل الاستئناف مؤكّداً بـ إن ، ليتضح بذلك البعد الحجاجي، ففي التركيب الأول يتحدث عن العزم والصدق ثم استأنف كلامه بالحديث عن الزّمان الذي يسجل الأعمال فهو يبدو منقطعاً عن الكلام السابق، ولكن مرتبط بالسياق العام للخطاب.

وكذلك في التركيب الثاني عندما تحدث عن الكيد والظلم إذ نجده استأنف كلامه بالحديث عن كيد الظالمين الضئيل فهو بذلك ينتقل بالمخاطب من حال يرجى إقناعه فيها إلى حال أخرى تخدم هذا الإقناع لتكون بمثابة الحجة الدامغة.

وفي التركيب الثالث، أمر بتلاوة الكتاب كتاب الله الصّادق، ليستأنف كلامه بتأكيد (إنّ) على أنّ القرآن الكريم مصدق، وحجّة ما بعدها حجّة.

وفي التّركيب الرّابع أمر بترك الهوى، والدّين يعكفون عليه ليستأنف كلامه بالتأكيد على أنّ الهوى صنم من الأصنام، وفي ذلك حجّة يظهر فيها عنصر الإدخال بصورة واضحة.

¹ -السّابق ، ص130.

² - نفسه ، ص167..

³ - نفسه، ص 242

⁴ - نفسه، ص245.

- أمّا في التركيب الخامس فيتحدّث عن الأوراس رمز الثّورة والإقدام الذي يمدّ سفحه ظلًا، ليستأنف الكلام عن كرم الأوراس وفي ذلك إبقاء على السّياق العام للخطاب ليقرّر الحجاج والإقناع في نفس الوقت .

ح-2- الإدخال بالاعتراض:

نحو قوله في قصيدة بعنوان "هذه قمّة الفتوة"

ت1: وعلى الصّدق فابن واعمل بعلم لا بجهل يجر للخسران⁽¹⁾

ويقول في قصيدة " لا أنسى"

ت2: فيا أيّها المستعمرون تنزّهوا ولا تسيّموا وجه الحياة بأرجاس⁽²⁾

ت3: يا أيّها الشعب المروّع لا تضقّ بدنياك ذرعًا واطرح خلق اليأس

وقل للذي آذاك لا وصل بيننا وموعدنا العقبي فما أنا بالنّاسي⁽³⁾

نجد الشّاعر في هذه التّراكيب استعمل الإدخال بالاعتراض، ففي التركيب الأوّل الشّاعر يحث على الصّدق، والعمل بالعلم، ويُدخل الجهل بصفة الاعتراض حتى يدكّر أنّه يجر إلى الخسران.

¹ - السّابق، ص 266.

² - نفسه، ص 327.

³ - نفسه، ص 327.

أما التركيب الثاني: فاستعمل التّداء، والمنادى (أئي) ف "المستعمرون" الواقعة نعتاً، ليأمرهم بأن يتنزهوا و سرعان ما يدخل صيغة الاعتراض ناهياً المستعمر على تدنيس وجه الحياة بالأرجاس، وهذا الانتقال الممارس من طرف الشّاعر من حال إلى حال يكمن توضيحه كالآتي:

* التّداء يا أيها المستعمرون إلى الأمر (تنزهوا) إلى التّهي (لا تستسلموا)

* التّداء (يا أيها الشعب ← إلى النهي ← (لا تضق) إلى الأمر (قل)

إنما كان بغية الإقناع و الحجّة الدّامغة.

وفي التركيب الثالث ينادي الشّعب المروع، معترضاً في نفس الوقت باليأس والضيق الذي يعيشه هذا الشّعب في الحياة، ليأمره بفكّ الوصال مع المستعمر، وأن يضرب له موعد (العقبى) آخر كل شيء وخاتمته ليستأنف كلامه بتذكير مفاده عدم نسيان جرائم العدوّ وفي هذا تأكيد على دور الإدخال بالإعتراض في إقرار المعنى، وإقناع المتلقي.

1-2- الحذف في التركيب لأبعاد حجاجية :

الأصل في كلام العربي أن يكون مذكوراً "ولا يجوز حذفه إلاّ لقرينة حالية أو مقالية وإلا كان الكلام كان تعمية وإلغازاً"⁽¹⁾، وله في الديوان عدّة أشكال:

ح -1- حذف الفعل لدلالة سياق الحال عليه كقوله:

ت1: فشكراً أيها الأبطال شكراً على روح التّناصر والتّفادي

وما قدمتموه من الضحايا وما متلثموه من المبادي⁽²⁾

¹ - في البلاغة العربية (علم المعاني) ، محمد أحمد نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 53.

² - ديوان محمّد العيد آل الخليفة، ، ص 486

ت2: ولا يحمي المواطن غير جند
سخي بالفدى واري الزناد
فعذراً يا بني (الأهرام) عذراً
لقد قصر المرید عن المراد⁽¹⁾

وفي قصيدة بمناسبة نقل رفات القائد رمز الكفاح الأمير عبد القادر من سوريا إلى أرض الوطن يقول:

ت3: فأهلاً وسهلاً بالأمر مشرفاً
حماه عزيزاً والزمان مساعد
وأهلاً وسهلاً أنت أكرم وافد
علينا ومن في العصر مثلك وافد؟
وأهلاً وسهلاً أرضك اليوم حرة
وجيشك منصور وشعبك راشد⁽²⁾

يقع الحذف في التركيب الأول في قوله (شكراً)، فحذف عامل المفعول المطلق (شكراً)، الفعل "أشكر" يقول ابن يعيش: « المصدر ينتصب بالفعل وهو أحد المفعولات وقد يحذف فعله لدليل الحال عليه.»⁽³⁾

- ففي تكرار المفعول المطلق (شكراً) تأكيد على عرفانه وامتنانه لأبطال الثورة، وما قدموه من تضحيات جسام، وهنا تكمن قيمة الحذف الحجاجية، لتجعل السامع يعترف بفضل الثوار في الكفاح، وما قدموه، لننعم اليوم بالحرية والاستقلال.

كما هو حال في التركيب الثاني في لفظة "عذراً" فكأن التركيب والساق كفيلا بأن يحددا المحذوف والغاية من حذفه، أنه معلوم وهذا أبعث على الإقناع، وأدعى إلى التأثير في السامع وما عليه إلا قبول العذر المقدم .

¹ - السابق ، ص 346.

² - نفسه ، ص 507.

³ - شرح المفصل، ابن يعيش، مكتبة المتنبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1940م ج1، ص 113.

- أمّا في التركيب الثالث فنجد الشّاعر استعمل حذف عامل الحال، والظروف دالة على ذلك والحال على الفعل وقرينة الحال دلّت على الفعل وأغنت على اللفظ به.⁽¹⁾

- فلفظة أهلاً، دلّت على العامل المحذوف للفاعل "أنت"، وهو "حللت" ولفظة سهلاً دلّت على العامل المحذوف للفاعل "أنت" "نزلت".

والملاحظ أنّ الشّاعر كرّرها أربع مرات في هذه القصيدة بدءاً بالعنوان: أهلاً وسهلاً بالأمير، والقصيدة رائع نظمها الشّاعر بمناسبة نقل رُفات رمز الكفاح الجزائري الأمير عبد القادر من سوريا إلى أرض الوطن. في جويلية 1966 م⁽²⁾، فظروف القول دلّت على عامل الحال المحذوف، في هذا اليوم المبارك الذي يُستقبل فيه الرفات الحيّ ببطولاته وتاريخه المجيد، فهو ميتٌ لكنه حيٌّ بإنجازاته عظيم، فهذا الحذف يمكّن السّامع من خيارات عدّة يستطيع أن يقف عليها فتكون محدّدة بناءً على سياق الحال العام الذي يؤدي فيه الحديث.

1-2-1 حذف المبتدأ لدلالة السياق الحال عليه. نحو قوله

ت1: أيُّها الشّعب أنت موضع شعري وشعوري لا زينبٌ ولا الرّتاب.⁽³⁾

ت2: رحم اللّٰه كلّ حرّ شهيد لك بالنّفس في الوغى مبذال

شهداء الأوطان شهب دجاها وشهود الفدا و الاستقلال⁽⁴⁾

ت3: أيُّها الزّائرون ساحة طهر قُدسيّ وعزة قعساء

قد وطئتم ما طاب منها فطبتتم وسعدتم بزّورة السّعداء (...)

¹ -السّابق ، 68/2

² - نفسه ، ص 506.

³ - نفسه ،ص 261.

⁴ - نفسه، ص 428.

شهداء التّمدنين في كل عصر سرج الأرض بل بنجوم السماء⁽¹⁾

يقع الحذف في التّركيب الأوّل في عجز البيت ، وتقديره "وأنت شعوري لا زينب ولا الرّباب" ، وإيراد التّركيب بالحذف أبلغ من الدّكر، فكأنّه في هذا التّركيب تعبير بالصورة والمشهد مثلما هو الحال في التّركيب الثاني لوقوع الحذف في مطلع البيت الثاني وتقديره: "هؤلاء" شهداء الأوطان وكذلك مطلع البيت الثالث وتقديره "هؤلاء" شهداء التمدنين".

فالتّعبير بالحذف يحيل على واقع ملموس وهو أنّ الشّعب صنع للشّاعر اسماً وليس شعر الغزل أو الغناء، وكذلك في حديثه عن الشّهداء وتشبيهم بالشّهب و سرج الأرض ونجوم السّماء لأنّهم قاموا بتنوير هذا الشّعب، رسموا له الخطط للتّمدّن ، وهذا هو ملموس وواقع معيش.

فالمتكلّم وإنّ حدّف، فهو يحيل سامعه إلى خطاب آخر غير خطابه المنطوق، وهو سياق الحال وواقع أداء اللّغة، فحق له أن يحمل الحذف وسام الحجاج وليس أبلغ من هذا للتأثير في المتلقي وإقناعه.

1-2-3- حذف ضمير (الخبر) لدلالة سياق الحال عليه:

ت1: قف بي نحّي معاشر الأعلام بتحيّة كالعارض البسام

السّاهرون عليه طول حياتهم والهاجرون له ألد منام

الدّائقون لأجله مُرّ الأذى من جور ظلام وكيد لئام؟⁽²⁾

¹-السّابق ، ص 435.

²- نفسه ، ص 241.

حذف الشّاعر ضمير الخبر في هذا التّركيب لدلالة سياق الحال عليه والأبيات من قصيدة ينوّه فيها الشّاعر بالعلماء، على ما بذلوه من جهدٍ في سبيل العلم والتّعليم، معدداً مناقبهم وصفاتهم في بناء متتابع:

- السّاهرون (هم)

- المهاجرون (هم)

- الذّائقون (هم)

فقد أورد الصّفات متتابعة تأكيداً لسياق الكلام السّابق، الذي حيّ فيه الشّاعر معاشر الأعلام، ولن يجد السّامع عناءً في معرفة المحذوف وتقديره، لأنّه له صلة سابقة بالخطاب، لكنه ينبغي أن يقف على دلالة ذلك، وقصد المتكلم منه؛ حيث أنه لا يريد لصفات العلماء أن تنسب لهم مرّة تلو الأخرى، بل فضّل أن يورد الموصوف بصفته مجردة من نسبتها إليه، وهذا مصادرةً عمّا يتطلبه المقام من إيضاح للسّامع، فالشّاعر يعدّد معاناة العلماء (السّاهرون... هم، المهاجرون...هم، الذّائقون...هم) ليحدث التتابع والتأكيد.

فضلاً عن ذلك فإنّ سكوت المتكلم عن الخبر المحذوف يجعل السّامع أمام اختبارات عدّة لتقدير الخبر بالقياس إلى معطيات سياق الحال .

1-2-4- حذف مالا ينبغي ذكره نحو قوله:

في قصيدة بعنوان: "يا قلب" نشرت في العدد 28 من جريدة البصائر

ت1: تحرّر وانطلق يا قلب حيناً إلى كم أنت للشهوات قنّ

تشوّق أو تحرّق أو تمزّق فلست أحن قط لما تحنّ (...)

أقلني جانب الدنيا أقلني فإني من متاعبها أئن¹

في هذا التركيب نجد الشاعر سكت عن ذكر ما لا ينبغي ذكره من الفعل واكتفى بذكر الفعل الذي يغني عن كل مفعول، تميمًا، إذ يكفي أن يعرف الفعل ليحيل على قصد المتكلم فقوله:

تشوق إلى وتحرق على وتمزق من

دلالة واضحة على كون الشاعر سكت عن ذكر أشياء يحن إليها قلبه، ولا يريد أن يحققها له كأن الشاعر يعيش صراعاً نفسياً منقطع النظير مع نفسه ، والسكوت هنا يحقق البعد الحجاجي للحذف، لأنه يتيح للسامع أن يؤول ما شاء من خيارات وكل ذلك يعود لصالح المتكلم وقصده من الخطاب فيكون أجلب للتأثير والدلالة، فتدرج المتكلم من بنية إلى أخرى والعدول عن هذه إلى غيرها يتوخى منه إظهار الدليل في كلامه.

1-3- الانتقال بين التراكيب لأبعاد حجاجية:

تميزت التراكيب اللغوية في ديوان محمد العيد آل خليفة بانتقال الشاعر من شكل تعبيرى إلى آخر يختلف عنه تمامًا وربما يكون عكسه ومن ذلك:

ويضم التقديم والتأخير الانتقال من التعبير بالفعل إلى التعبير بالاسم والعكس والانتقال من الخبر إلى الإنشاء، والالتفات... وغيرها.

وتتسم هذه الظواهر السالفة الذكر بأبعاد حجاجية، من حيث أن الشاعر (المتكلم) يلجأ إلى التغيير بين التراكيب، ليأتي سامعه من مداخل عدة، مما يجعله أدعى إلى الإقناع وأكثر تأثيراً، فيعد

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 367

حالات الحديث ومناسباته، وينوع مقاماته، وفي هذا التنوع تحدث الحجة لدى السّامع (1) وفيما يلي عرض لأهم هذه الخصائص مع شواهدا في الديوان.

1-3-1 - التقديم والتأخير: للتقديم والتأخير قيمة إبلاغية، حيث تحدث وقعا على السّامع

بحسب الأغراض التي يتوخاها والسياقات (2) ومن أشكالها في الديوان:

ك-1- لغرض الاهتمام بأمر المتقدم: نحو قوله:

- ت1: ناحت عليك سواجع الأطيّار منذ أسكتتك فواجعا لأغيّار (3)
 ت2: لك الشكر مني خالصا ولبعثة لنا شرفت في الشّرق قدر الجزائر (4)
 ت3: سيذكرك الشعب دهرًا مديدًا فأنت لأبنائه والـد (5)
 ت4: ومناّ جبال في الحلوم شوامح ومناّ بحار في العلوم خـضارم (6)

اهتم الشّاعر في كلّ تركيب من هذه التراكيب بأمر المتقدم ليوجه عناية سامعه إليه، حتى يقف عند القيمة المحجاجية التي يكتسبها بذلك.

إذ قدّم الجار والمحرور "عليك" وأخر الفاعل "سواجع" طلبًا للاهتمام بالمخاطب وهو زميله الشّاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون في جوابه عن رسالة شعرية وجهها إليه.

¹ - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص 109

² - نفسه، ص 109

³ - نفسه، ص 328.

⁴ - نفسه، ص 412.

⁵ - نفسه، ص 466.

⁶ - نفسه، ص 138

- وفي التركيب الثاني قدّم الجار والمجرور (لك) وحقّه التّأخير بعد المبتدأ (الشّكر) الذي من حقّه التقديم، لإبراز الاهتمام بأمر المتقدّم وهو أحد تلامذته بمناسبة تهنئته بفوزه في الامتحان وهو أحد أفراد بعثة جمعية العلماء في بغداد، طلبًا لإقناعه فيما ذهب إليه.

وفي التركيب الثالث: قدّم الشّاعر المفعول به ضمير (ك) على الفاعل الشّعب، ووقوفًا عند القيمة الحجاجية للمخاطب، خاصّة وهو في مقام الرثاء، لزعيم سياسي بقيمة الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر .

- أما في التركيب الرّابع: نجد في عبارة (منا جبال) تقديمًا ما حقّه التّأخير وهو (الجار والمجرور) "منا" / "من" (نا) ضمير المتكلم، قبل المبتدأ جبالً وكذلك جار والمجرور "في حلوم" على المبتدأ المؤخر (شوامخ) وكذلك في الشطر الثاني، تقدّم الجار والمجرور (منا/ نا) على لفظة (بحار) المبتدأ المؤخر و تقديم الجار والمجرور "في العلوم" على المبتدأ المؤخر (حضارم)

- فكلّ هذه الانتقالات الحاصلة تبرز اهتمام أمر المتقدم فالضمير (نا) يعود على المتكلم الذي يؤكّد الصّلة الوثيقة التي تجمع بين هذا الشّعب وجباله الشّامخة وبجاره الممتدة ، لذلك اهتم بتقديمها طلبًا لإقناع السّامع بما يذهب إليه.

ك -2- بيان الحال وإظهاره نحو قوله:

ت1: سَمَا ذَكَرًا أَبُـوهُ عِنْدَ . دَ أَعْرَابٍ وَأَكْرَادٍ⁽¹⁾

ت2: عَلَيْكَ مَنِي وَإِنْ قَصْرَتْ فِي كَلْمِي تَحِيَّةً مَلُؤَهَا بَشْرٌ وَتَهْلِيلٌ⁽²⁾

¹ - السابق ، ص 76.

² - نفسه، ص 86.

ت3: لأرباب القلوب عهد صدق وأقوال تصدّقتها الفـعال⁽¹⁾

ت4: على القلب السّليم بنوا وشادوا لهم ملكاً وبالملكوت جالوا⁽²⁾

في التراكيب السابقة تقدّم ما حقه التّأخير لبيان الحال وشرحه، حتى يكون أفيد للمخاطب وأجلب لإقناعه، وكلّ منها عرض للحكم في شكل تصويري، نحو (سما ذكراً أبوه) حيث قدّم لفظة (ذكراً) على الفاعل (أبو) لتبيان الحال عند السّموم.

- وكذلك لفظة (تحية) المؤخّرة عن الجار والمجرور (مني) وعن الشّروط بغية تبيان حال المتكلم.

- وكذلك في التركيب الثالث، فالبيت مأخوذ من قصيدة بعنوان "نحن أبداً مع الأبرار"

إذ تقدّم الجار والمجرور (لأرباب القلوب) الواقع خبراً على المبتدأ (عهدود) لاهتمامه بالأبرار وصدق عهدودهم قولاً وفعلاً.

كما اهتم في التركيب الرابع بالموضع قبل الحدث عندما قدّم الجار والمجرور (على القلب السليم) على الفعل بنوا و شادوا، كما قدّم الجار والمجرور (لهم) اللام التي تفيد معنى الإلصاق والضمير (هم) عائداً على الأبرار لإبراز الاهتمام بالحال وبيانه، فيعدّ هذا التركيب منطقي من النّاحية الدّلالية، حيث يجعل السّامع لا يشكّ في مذهب الشّاعر ولا فيما يعرضه وهنا تكمن قيمة التداولية المبنية المبنية على الإقناع.

1-3-2- الانتقال من الاسم إلى الفعل والعكس: ومن شواهد في الديوان

ل-1 - من الاسم إلى الفعل في قصيدة، بعنوان "الخمير"

¹ - السابق ، ص 280.

² - نفسه، 280.

ت1: الخمر شربة رجس أم أرجاس الخمر صاعقة تهوي على الرأس⁽¹⁾

وقوله في قصيدة بعنوان "يا ابن الليل":

ت2: فيا ابن الليل بار النجم واقطف جنى الأسحار واغنمها نسيما

ويا ابن الليل باه الصبح نورا متى حيا محياك الوسيم⁽²⁾

ت3: وقوله في أبيات معلقاً على أحد تلامذته :

إتّما الشعَرَ ريشةً كلُّ نفس لها وتر

إتّما الشعَرَ لوحه غير محدودة الصّور

أقرض الشعَرَ وأتله في العشيات والبكور

واصحب الشعَرَ واثقاً إنّه الصّاحب الأبر⁽³⁾

فالانتقال من الاسم إلى الفعل يعد انتقالاً بالسّماع أيضاً من حال إلى حال أخرى، مما يبعث

على تغيير مواقفه أو تعديلها.

ففي قوله: الخمر شربة + رجس أم أرجاس + الخمر صاعقة

أسماء

¹ - السابق ، ص 281

² - نفسه، ص 262

³ - نفسه، ص 102

فالأسماء الواردة فيها تأكيد على أنّ الخمر رجس ثابت سواءً كان قليلاً أم كثيراً، ليتبع هذه الأسماء بالفعل (تهوي) ، ليدلّ به على الحركة ويُجسد فيه الشاعر انتقاله من الاسم إلى الفعل معبراً عن المصير المشؤوم الذي ينتظر شارها.

فالأسماء دلّت على الثبات أما الفعل دلّ على الحركة، وهذا الانتقال يعكس مدى اهتمام الشاعر بالسّامع قصد نصحه وإرشاده إلى الطّريق الصّحيح.

كما في التّركيب الثاني عندما ينادي (ابن الليل)، ويقصد به الإنسان القائم، فيدعوه إلى مباراة النّجم ومباهاة الصُّبح، فكان الانتقال حسب الشكل الآتي:

- من الاسم (ابن الليل) إلى الفعل (الأمر) بار، أقطفُ

- ومن الاسم (ابن الليل إلى (باه) فعل الأمر.

وفي التّركيب الثالث، ذكر الشّاعر الاسم: (الشعر) الواقع (مبتدأ) والاسم (ريشة): خبر / + كلّ: مبتدأ + وتّر (خبر)، وفي البيت الثاني نجد كذلك الأسماء الآتية (الشعر): مبتدأ و(لوحة) خبره، ثم بعد ذلك ينتقل الشّاعر إلى الأفعال ليعبر عن الحركية بعدما ذكر الثبات مع الأسماء وتجسدت في أفعال الأمر: (بار) (باه)، (اقرض)، (أصحب)، لتكون المعاني واضحة في نفس المتكلم .

ل - 2 - الانتقال من الفعل إلى الاسم:

ت1: فتدارسوا القرآن فهو هدى لكم وشفاء أنفسكم من الأسقام

وتعلموا فصحي اللغات فإنّها علوية الأسرار والأنغام

كونوا مع التعريب واحموا جنب لا تنسخوه بنقطة الإلجام (1)

¹ - السابق ، ص 240.

ت2: أرى الأرض زادت ظلمة فوق ظلمة على أهلها واستوحشت بعد إيناس⁽¹⁾

ت3: أرى كرة ترمى إلى شرّ غاية تبارى عليها الأقوياء بأقواس

يا أيُّها الشعب المروع لا تضق بدنياك ذرعًا واطرح خُلق اليأس

وقل للذي آذاك لا وصل بيــــننا وموعدنا العقبى فما أنا بالتّاسي⁽²⁾

فانتقال الشّاعر من الفعل الدال على الحركة (فتدارس) (وا) إلى الاسم الثابت (هو) الضمير العائد على القرآن، وكذلك من المتحرك الفعل (تعلموا) إلى الاسم (اللغات) الثابت، وكذلك انتقاله من الأفعال (كونوا)، (أرى) و(قل) إلى الأسماء (التّعريب) (الأرض) (كرة) وصولاً إلى النداء (يا أيُّها الشعب) ففيه دعوة من الشّاعر إلى شدّ انتباه السّامع لما انتقل إليه، كما يعثه على تعديل مواقفه .

1-4- الالتهفات:

- جاء في معجم التعريفات أنّه العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التّكلم أو العكس⁽³⁾، «وهو أحد الأساليب التي ترتبط بالسّامع ومجادلة أرائه بالانتقال من مخاطب إلى آخر»⁴ ومن أشكاله في الديوان.

1-4-1 الالتهفات من الغيبة إلى التّكلم نحو قوله:

ت1: لقد لاح شهر الصّوم باليمن طالعا فأرجاؤنا مزدانة بطلوعه

¹ - السّابق ، ص 326.

² - نفسه، ص 327

³ - معجم التعريفات، محمّد السيّد الشّريف الجرجاني ، ، تح، و دراسة محمد صديق دار الفضيلة للنشر، والتوزيع، ط2، 2004م ص42.

⁴ - ينظر في اللّسانيات التّداولية، خليفة بوجادي، ص113

وقم فاغتنمه للإنبابة فرصة فقد تختم الأنفاس قبل رجوعه

ت2: وأعلنا المظالم والشكايا فأخفتها الدسائس والكبيود

وانغضت الرؤوس لنا هـزوءاً وإنكاراً وصعرت الخدود؟

فقم يا ابن البلاد اليوم وانفض بلا مهل فقد طال القعود

وقل يا ابن البلاد لكل لص تجلى الصبح واتبه الرقود⁽¹⁾

ت3: قد أدرك ابن العلم غايته التي يصبو إليها منذ عهد فطامه

ما زال في طلب الحقائق هائماً حتى شفى منها غليل هيامه

يا معشر الطلاب هل من منصت منكم لوشي الشعر في إلهامه⁽²⁾

يعد نقل التركيب من الغيبة إلى الخطاب استحضاراً للتواصل الحي، بحيث يتوخى المتكلم أن يتجه بشكل مباشر بخطابه إلى السامع، ولذلك يعدل عن الغيبة إلى الحضور، مثل التركيب الأول فالسامع قد يدرك أنه شهر صوم وعبادة، إلا أن المتكلم يريد أن ينتقل إلى طريقة مباشرة في الإبلاغ، مثلما فعل في التركيب الثاني عندما تحدث عن مظالم الاستعمار، وجرائمه فقد يكون هذا السرد كافيًا لاستنهاض الهمم، إلا أن المتكلم انتقل إلى الوسيلة المباشرة ليدحض الشك بقوله "قم يا ابن البلاد اليوم وانفض"

وفي التركيب الثالث عدّد لنا الشاعر ما يدرك صاحب العلم من غايات ثمينة، إلا أنه مرّة أخرى يتّجه بأسلوب مباشر مخاطبًا معشر الطلاب ليحثهم على الإنصات لوشي الشعر وإلهامه. فتلك هي القيمة الحجاجية لهذا الالتفات.

¹ - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 304

² - نفسه، ص 89.

1-4-2- الالتفات من التكلم إلى الغيبة نحو قوله:

في قصيدة رثاء شاعر النيل حافظ إبراهيم:

ت1: قم عزّ مصر وعزّ الشرق أقطارا
فحل مصر خبا كالنجم وانهارا
خطب جرى في ضفاف النيل زلزلة
وثار ملء جواد الشرق إعصارا⁽¹⁾

ت2: وقوله في قصيدة بعنوان "إلى روح شوقي"

يا أمير الشعر أين غوان
ما لها إلا حجاجك خدور
أين رصف محكم عبقري
رفع المعنى به فهو سور (...)
وروايات سرت كهرياء
دنت البيد بها والعصور
نفخ الصورُ بما في القوافي
فعلتها هبةً ونشور⁽²⁾

ت3: وقوله في قصيدة بعنوان "شهر الصيام"

فيا لك داعياً للخير يـأبـى
إجابة صوته غير الكرام
لقد قطعوا نهارك بالـتـحـري
لصومهم وليلك بالقيّام
وقد صاموا عن الشُّبهات لا عن
شراهم فحسب أو الطَّعام⁽³⁾

¹ - السابق، ص 454.

² - نفسه، ص 458.

³ - نفسه، ص 152.

الالتفات الوارد في هذه التراكيب عكس الشّعر المذكور سابقاً حيث يتم الانتقال من التكلم وحديث الشاهد إلى الغيبة ، وقد ورد ذكر هذا الالتفات لدى ابن الأثير، وسمّاه الإخبار بالماضي عن المستقبل، وهو أوكد في تحقيق الفعل.⁽¹⁾

ويكتسي هذا البعد الحجاجي، حين يرغب المتكلم في إثبات ما يذكره وتحقيقه، لينطلق به في صورة ثابتة، ويكون ذلك بغير الماضي نحو ما جاء في التركيب الأول عندما توجه بالخطاب المباشر إلى السّامع بصيغة الأمر طلباً لعزاء مصر في فقيدها الشّاعر حافظ إبراهيم ليعدل على مواصلة ذلك بأسلوب الأمر المباشر إلى أسلوب مخالف تماماً، إخباري بالفعل الماضي (جرى) ، (ثار) ...، حتى يذكر السّامع بالفقيد، فيكون أجلب إلى إقناعه.

- ومثل ذلك نجد في التركيب الثاني، عندما يُنادي بأسلوب مباشر روح أمير الشّاعر (أحمد شوقي) ليستفهم عن أعماله الثرية من غوانٍ، ووصف ...، ورواياتٍ، لينتقل بعدها إلى أسلوب إخباري تحقيقاً لحنمية قائمة وهي الموت (نفخ الصور).

- أما في التركيب الثالث : فنجد حديث الشّاعر عن شهر الصيّام، إذ يناديه بأسلوب مباشر ثم ينتقل إلى أسلوب مخالف كالعادة مستعملاً الفعل الماضي قَطَعُوهُ المسبوق بحرف التحقيق (قد) والهدف المنشود من هذا الانتقال هو: تقوية لحضوره وشعوره بهذا الشّهر العظيم، وما ينتظر الصّائم من صيام وقيّام، وإضافة إلى ما يحدثه هذا الانتقال من تطرية لنشاط السّامع، وإيقاظ للإصغاء لديه، وهو الغرض العام للالتفات كما يذكره الزّمخشري.⁽²⁾

1-4-3- الالتفات من خطاب المفرد إلى خطاب الجمع نحو قوله:

ت1: أَيُّهَا الدَّهْرُ إِنَّمَا أَنْتَ لَوْحٌ مِنَ الدَّكْرِ

¹ - ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، ابن الأثير، ص 12.

² - ينظر: الكشّاف، الزّمخشري، ص 64.

راسم الخير فيك لم يبق في الحسن أو يذر

أئها الغر شرفوا نزل ناديهم الأغر

رحبت ساحة بكم والمقاصير والحجر⁽¹⁾

ت2: يا شعب (باتنة) احترم شهداءنا وفداًتها الأحياء تحت رجام

إنّ الجزائر أصبحت بجهادها تغزو البلاد بصيتها المترامي

(...)

واذكر ب (باتنة) الفدى المأثور عن ثوار (أوراس) الرفيع الهام

فهم الليوث تلقنوا درس الفدى عن (مصطفى بو العيد) في الآجام

هم نكلوا بعدوهم و تكلوا في البأس ضرغاما إلى ضرغام⁽²⁾

ففي التركيب الأول ينادي الشاعر الدّهر على أنه لوح من الذكر وسرعان ما ينتقل إلى الحديث بصفة الجمع (شرفوا)، وهذه الأبيات مأخوذة من قصيدة بعنوان: "رفاق الخير" يشيد فيها بنادي الترقى، والقائمين عليه ويعظم إنجازات أفرادها، وفي هذا الالتفات تأكيد على عنصر الجماعة، فمخاطبة الدّهر بصيغة الأفراد وإعجابه بالصورة المرسومة فيه، لم يكن لها ذلك الجمال لولا تكاتف الجميع في صناعة صورة الخير الجميلة من أجل ذلك حقاً له الالتفات .

وفي التركيب الثاني بدأ كلامه بنداء خص به شعب باتنة، على أنه شعب واحد (احترم، واذكر....) بصفة الأفراد، لكنه سرعان ما يعدل عن ذلك إلى خطابه بالجمع (فهم الليوث)

¹ - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 133.

² - نفسه، ص 242.

(تلقنوا) (نكلوا) وكلا الخطابين جازز بالنسبة إلى الشَّعب حيث يحتمل المفرد كما الجمع، لكن اللطيف في هذا الالتفات قيمه الحجاجية، فالانتقال إلى الجمع يسعى من خلاله المتكلم إلى ضرورة الحفاظ على قوة الجماعة التي بفضلها تحقق النص، فوجب الاحترام والتقدير لهؤلاء العظماء.

1-5- الاستدلال في التراكيب لأبعاد حجاجية:

يُعد الاستدلال أهم ما يميز الدرس الحجاجي، حيث يهتم بدراسة أدلة الحديث، وكيفية بنائها وتوليدها، فإنشاء الكلام قائم على مبدأ الاستدلال بنية الدلالة. فتدرُّج المتكلم من بنية إلى أخرى والعدول عن هذه إلى غيرها يتوخى منه إظهار الدليل في كلامه.⁽¹⁾

من خلال تفحص وقراءة ديوان محمد العيد آل خليفة، رصدت عدّة تراكيب تمثل شواهد لمراحل الاستدلال في النص الشعري وشرح كيفية الانتقال من مستوى استدلالي إلى آخر، واستنادًا إلى ما قدّمه السكاكي في مراتب الكلام البليغ، وحديثه عن الكلام إلى تكملة علم المعاني وهي تتبع خواص تراكيب الكلام في الاستدلال لما فيه من انتفاع عظيم⁽²⁾

1-5-1- التدرج من مستوى استدلالي إلى آخر:

ونجد ذلك في القصيدة التي ألقى في حفل ذكرى الإمام عبد الحميد بن باديس في مدينة باتنة في أبريل 1965.

ت1: حيّ ذكرى عبد الحميد الإمام وتذكره بالرّضى والسّلام

وترحم عليه في كل حين فهو في العلم قدوة الأعلام

¹ - ينظر في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص 123

¹ - ينظر مفتاح العلوم، السكاكي، ص 435.

(....)

وغيوراً على الشريعة يـأبى غير تشريعها لفضّ الخصام
 وغيوراً على العروبة يفشي ضادها لأصحابه في الكلام
 وغيوراً على الجزائر قومــــ يّاً صميماً من سادة الأقبام¹

ويظهر الاستدلال التدرجي في هذه الأبيات في قوله:

- غيوراً على الشريعة
- غيوراً على العروبة
- غيوراً على الجزائر

فمن خلال العرض التدرجي الذي توخاه الشاعر، حيث بدأ حديثه عن غيره الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى على الشريعة الإسلامية، ثم على العروبة وصولاً إلى غيرته على بلاده الجزائر، فهذا الخطاب يعتبر حجّة، لأنّ الشاعر وصفه بما لا ينبغي إنكاره كون الرجل كان متمسكاً بقيم الشريعة الإسلامية، مناصراً للقومية العربية عامة، والقضية الوطنية خاصة، في ظل فترة الصراع التي عرفتها الجزائر بين قوى الشّرك وأحرار الإسلام، الشعب الجزائري المجاهد، فالحرب كانت حرباً على الإسلام بكلّ ما تحمله الكلمة من معاني.

دون أن ننسى ترتيب الشاعر المنطقي في سياق الحديث عندما بدأ بالعام (الشريعة الإسلامية) و(العروبة) إلى الخاص (الجزائر)، فهو بهذا التّرتيب يكون قد استمال السّامع لأنّ ما تمّ عرضه متفق عليه ولا نقاش فيه، بل يزيد من انتباه المتلقي للخطاب، ويدعوه إلى الاقتداء بهذا البطل العظيم.

¹-ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 497

1-5-2- الاستدلال من القريب إلى البعيد:

ومن الشواهد التي يبنى فيها الاستدلال من القريب إلى البعيد ما ذكره الشاعر في القصيدة نفسها:

يا ابن باديس يا أبا الشعب قم فاذ	ظر بفخر لشعبك المقدم
قم تجدد دولة الجزائر قامت	وأقامت بالحكم حرّ النظام ⁽¹⁾
كيف تنسى الجزائر اليوم وفداً	كنت تحتل صدره في المقام
يوم جابحت بالدفاع (دلادي) ⁽²⁾	وهو يرغبي مهدداً بانتقام
كتحدي أبي حنيفة للـمـنـد	صور أو مالك برفض الحرام
وسعيد والمنذر بن سعيد،	أو كعمر والعز عبد السلام
أو كيعقوب، وابن يعمر يحيي	وابن تيمية فقيه الشّام ⁽³⁾
هكذا أعلن الأئمة قبلا	سيف إنكارهم على الظّلام ⁽⁴⁾

من خلال التّركيب ينتقل الشاعر بسامعه من الاستدلال القريب وهو الاحتفال بذكرى العلامة عبد الحميد بن باديس إلى البعيد بعداً تاريخياً ليشبّهه بقيادة الحق ومواقفهم الثّابتة والشّجاعة، أئمة الإسلام وأعلام العلم العلماء الذين باعوا حياتهم في سبيل الذود عن دين الله تعالى. فهذا الانتقال التاريخي يُعدّ قيمة استدلالية حيث يشابه فيها الشّاعر بين ما قام به هؤلاء الأئمة الشّرفاء وما قام به الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله، ووجه الشّبه نصرته الحق مهما كلف من ثمن وهنا يتضح البعد الحجاجي لهذا الاستدلال، فيزداد اقتناع السّامع على إثره.

¹ ، السابق، ص499.

² - دلادي: رئيس وزراء فرنسا، ووزير دفاعها؛ يوم أن ذهب وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري إلى فرنسا يحمل مطالب الشعب الجزائري سنة 1936م.

³ - هؤلاء أعلام العلم والعلماء المسلمين الذين باعوا حياتهم في سبيل الله؛ أبو حنيفة التّعمان سجنه المنصور حتى الموت، الإمام مالك خُلعت كتفه، سعيد بن جبير قتله الحجاج.

⁴ - ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص499.

1-5-3- الاستدلال من الجزء إلى الكل:

ومن شواهد ما كتبه الشاعر في قصيدة بعنوان "أيُّها السَّامر"

ت1: أيُّها السَّامر الشَّهية نجوا هُ الحُضَّارُه البليغ كلامه
مستوى القول فيك والفعل والإد راك سامي العروج عال سنامه
حارب الدُّل والخنوعَ وأنقذ شعبك المبتلى فأنت (عصامه)
واعتصم بالإله من كان عاد عزَّ منْ كان بالإله اعتصامه
حفظ الله معشر العلم ماطا ب له بدؤه وطاب ختامه (1)

يقوم الشاعر في هذا الترتيب ببناء الاستدلال من الجزء إلى الكل ، ومن طلب الخاص إلى العام لأنَّ المقام يقتضي ذلك، ولاسيما أن الغرض من الخطاب توجيهي تربوي، مبني على النصح والإرشاد، فقد نصح السَّامر بأن يحارب الدُّل والخنوع، وينقذ شعبه المبتلى، ويكون ذلك بالاعتصام بالله العلي القدير فالانتقال ظاهر من الجزء (واجب السَّامري) إلى الكل (معشر العلم) والدعاء لهم .

1-5-4- الاستدلال من مرتبة كلامية إلى أخرى:

ت2: أيُّها التَّارك للصلاة أبن لي أيَّ عذر له تركت الصلاة
أيَّ عذرٍ له تركت صلاةً تُكسبُ العبد خَشيةً وأناة
أغروراً تركتها أم نفوراً أم كُفُوراً أم سخطاً أم شماتاً؟
كلَّ يوم تقولُ سوف أصلي سوف أقضي من فرضها ما فاتا
هكذا ينقضي زمانك ليلاً ونهاراً توجِّل الأوقاتا (...)
بادر الفرض واسئُر العرضَ أولاً فترقَّب من ربِّك الإعناتا

¹ - السابق، ص 115-116.

(....)

كم غنيّ بالفقر فوجئ يوماً ومعافئٍ إذا به قيل ماتاً¹)
ونجد هذا التركيب الثاني الشاعر قد بنى الاستدلال فيه على النحو التالي:

* أيُّها التَّارِكُ للصلاة ← النداء

* أيّ عذرٍ له تركت صلاةً ← الاستفهام

* أغرور تركتها أم نفوراً ← الاستفهام

أم كُفوراً أم سخطةً ← الاستفهام

* بادرُ الفرض ← الأمر

* فترقب من ربك ← الأمر

* كم غنيّ بالفقر فوجئ ← كم الخبرية/ التكثير

* وأخيراً يتقرّر حصول الإقناع لدى السّامع.

- وبحسب هذا التركيب، فالشاعر يرسم للمخاطب (تارك الصلاة) سبيلاً، باعتماده على الأساليب طلبية إنشائية مرتبة ترتيباً استدلالياً منطقيّاً انطلاقاً من النداء اللافت للانتباه. مروراً بالاستفهام الخادش للمشاعر، والأمر التوجيهي التربوي ووصولاً إلى "كم" الخبرية التي تفيد التكثير، ليتقرّر الإسراع في التوبة لأنّ الوقت لا ينتظر.

وخلاصة هذا البناء الاستدلالي هي أنّه يقوم على استدراج السّامع ليأخذ من مرتبة كلامية إلى أخرى، ومن غرض بلاغي إلى آخر ليحصل في الأخير اقتناعه واستمالته وتلك هي الغاية الحجاجية.

كما يجب الإشارة إلى قيمة النصوص الشعريّة الموجودة في ديوان شاعرنا شاعر العروبة و الدين محمّد العيد آل خليفة، والتي تحمل مقولات متفق عليها في العرف الثّقافي، باعتبارها وسيلة من وسائل تعديل السلوك الإنساني العام.

¹ - السابق، ص 275.

2- المرجع الديني و أشكاله في التراكيب المحجاجية:

لقد تنوعت المراجع الدينية في تراكيب ديوان محمد العيد آل خليفة، لتتعدّد معها الحجج والأدلة من استحضار النصوص القرآنية، أو بعض الأحاديث النبويّة الشريفة أو الألفاظ الدالة على المقومات الدينية أو التاريخية والتي تُعدّ قواسم مشتركة بين الشّاعر المتكلم والسّامع (القارئ)، فإنّ تضمينها في خطابه يمثل حججاً لها تأثيرها في نفس المخاطب، لما تتمتع به من مكانة في الفكر الاجتماعي والتربوي والأخلاقي، وتقتضي خضوع الطرفين (المتكلم - القارئ) لها لاسيما النصوص الدينية.

ومن أشكالها في الديوان ما يلي:

2- 1 - مرجع النصّ القرآني:

جمّة هي التراكيب التي تحيل إلى نصوص قرآنية اقتباساً أو تضميناً وتلميحاً، ولهذا الاستخدام وظيفتان تداوليتان ، إذ تعطي صورة عن ثقافة الشّاعر وسنده الديني، وتعدّ إشارية شخصية، أما الثانية فهي إقناع واستمالة مخاطبيه.

ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾⁽¹⁾

و نجد ذلك في قول الشّاعر:

فإذا فرغتم فاصبوا عملاً بما *** أمرت وصية ربنا العلام.⁽²⁾

¹ - سورة الشرح الآية 07.

² - ديوان محمّد العيد آل خليفة، ص 241.

- وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾^(١)

ونجد هذا في قصيدة بعنوان " رفاق الخير "

كنتم خير أمة أخرج الله للبشر
لا تخافوا لا تحزنوا إن عقباكم الظفر^(٢)

- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾^(٣)

وفي قصيدة بعنوان " الخمر " يقول:

الخمر شرية رجس أم أرجاس الخمر صاعقة تهوي على الرأس^(٤)

- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَزِمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾^(٥)

و يستحضر الشاعر بعض الألفاظ القرآنية لهذه السورة فيقوله:

وبدا التور من وراء الغيابات فما في خلالها اليوم ودق

¹ - سورة آل عمران الآية 110.

² - ديوان محمّد العيد آل خليفة، ص 134.

³ - سورة المائدة الآية 90.

⁶ - الديوان محمّد العيد آل خليفة، ص 281.

⁵ - سورة الفيل الآية (1-5).

وبدا البحر ساكناً غير موجات علتها طير أباييل بهق⁽¹⁾

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾⁽²⁾

ونجد معنى هذا في قول الشاعر :

سئمت على شرخ الشباب حياتي فحرت ولم أملك على ثباتي
أرى حظاً أرذال النفوس مواتياً وحظاً كريم النفس غير مواتي

فأوجس في نفسي من الدهر خيفةً لعلمي بأن الدهر ذو غمرات⁽³⁾

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَصْعَرَ حَذَاكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾⁽⁴⁾

ونجد في قول الشاعر:

وأعلنا المظالم و الشكايا فأخفتها الدسائس و الكيود

وأنغضت الرؤوس لنا هزوعاً وإنكاراً وصعرت الخدود؟⁽⁵⁾

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ

أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾⁽⁶⁾

¹ - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 23.

² - سورة طه الآية (67 - 68).

³ - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 10.

⁴ - سورة لقمان الآية 18.

⁵ - محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 304.

⁶ - سورة آل عمران الآية 149-150.

ونجد بعض معاني هذه الآية في قصيدة "صوت من الغيب"، والتي استنهض فيها همم الشعب قائلًا:

سيروا على ضوء اليق — ...*... بين تأمنوا المعانثا

فالله خير حافظا ...*... والله خير ناصرًا⁽¹⁾

- وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾⁽²⁾ و يظهر الاقتباس في قول الشاعر:

إنَّها ساعة تمر كأن لم تغن فيها عشيَّة أو غداة

فالعشيَّة آخر النَّهار والغداة أول النَّهار أي الضُّحى.

- وقوله تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁽³⁾ وفي قول الشاعر:

ت1: أبي (البشير) سلام زاك وشوق كبير

لا زلت فينا منارًا بضوئه نستنير

قد ارتددت بصيرًا فكيف يغوي البصير؟

¹ - ديوان محمد العيد آل خليفة ص 61.

² - التازعات، سورة 46.

³ - سورة يوسف، الآية 93.

قميص يوسف ألقى به عليّ البشير⁽¹⁾

فالأبيات من قصيدة بعنوان "بين عالم و شاعر" فهي جوابًا على رسالة الأستاذ الكبير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ولقد استطاع الشاعر أن يقتبس من القرآن الكريم، على اعتبار تعاليم الشيخ كانت نورًا الذي أعقب الظلام الدّامس فبدده.

2-2 - مرجع النصّ النبوي:

لجأ الشاعر إلى بعض التراكيب التي تحيل إلى نصوص نبوية شريفة في ديوانه كقول الشاعر لما عاد الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي في مرض وفاته، ولمّا أراد الانصراف أنشده هذه الأبيات:

ت: 1 عليك بحسن الظن بالله إنّه يخصّ بحسن الأجر من أحسن الظننا

وكم محسن للظن بالله جاءه ففاز بما أضفى عليه وما منا

إذا كان حسن الظن بالخلق نافعًا فكيف برحمان رحيم له دنا⁽²⁾

ويستحضر الشاعر في هذا التّركيب قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم إلّا وهو يحسن الظن بالله عزّ وجلّ فإنّ قومًا قد أرادهم سوء ظنهم بالله، فقال لهم: وذلكم ظنّكم الذي ظننتم برئكم أرادكم فأصبحتم من الخاسرين»⁽³⁾

وقول الشاعر في قصيدة بعنوان "شهر الصّيام"

¹ - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 393.

² - نفسه، ص 538.

³ - موطأ الإمام مالك، رواية يحيى بن يحيى اللّيثي إعداد راتب عرموش، دار التّفائس للطباعة والتّشّرع، ط12، 1414 هـ/ 1994م، ص620.

وداع إن أتى رمضان يدعُو به فوق النَّواميس النَّوامي

يقول به لباغي الشرِّ أقصر وباغي الخير أقبل للأمام (1)

ففي البيت الثاني نجد الشَّاعر يستحضر وبشكل جليّ قول الرّسول صلى الله عليه وسلم، فيما روى الترميذي وابن ماجه وابن خزيمة في وراية: « إذا كان أوّل ليلة في شهر رمضان صُفدت الشَّياطين ومردة الجنّ، وغلقت أبواب النّار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنّة فلم يغلق منها باب فينادي منادي: ويا باغي الخير أقبل ويا باغي الشرِّ أقصر، والله عتقاء من النّار وذلك كلّ ليلة». (2)

وفي قول الشَّاعر عن تارك الصّلاة:

أيُّها التّارك الصّلاة ابن لي أيّ عذر له تركت الصّلاة

أي عذر له تركت صلاة تكسب العبد خشية و أنة

أغرورا تركتها أم نفورا أم كفورا أم سخطة أم شماتا ؟

كل يوم تقول سوف أصلي سوف أفضي من فرضها ما فاتا(3)

ينادي الشَّاعر تارك الصّلاة ببناء لافِت للانتباه، ثم يستفهم في حيرة و تحسر على من ترك صلاته، والوقت يمرّ ولا يحرك ساكناً ، وكأنّ الشَّيطان يقعد على مؤخرة رأسه.

ويستحضر في حال تارك الصلاة ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يقعد الشَّيطان على قافية رأسي أحدكم ، إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب مكان كلّ عقدة، عليك ليل طويل فيرقد، فإن استيقظ فذكر الله انجلت عقدة،

1- ديوان محمّد العيد آل خليفة، ص 153.

2- موطأ، الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى، ص 21.

3- ديوان، محمّد العيد آل خليفة، ص 274.

فإن توضأ انجلت عقدة، فإن صلى انجلت عقدة، فأصبح نشيط طيب النفس وإلاً أصبح خبيث النفس كسلان»⁽¹⁾

وفي حديث الشاعر عن تارك الزكاة، قصيدة رائعة قال فيها:

أَيُّهَا التَّارِكُ الزَّكَاةَ لِمَاذَا لَا تَزْكِي وَقَدْ مَلَكَتِ النَّصَابَا

إلى أن يقول:

فَرَضَ الزَّكَاةَ يَدْعُوكَ فَاسْمَعِ صَوْتِ إِذْأَرَهُ وَرَدَّ الْجَوَابَا⁽²⁾

فهو بهذا يستحضر ما ورد في حديث الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن عبد الله بن عمر :
«أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى النَّاسِ صَاعًا مِنْ الشَّعِيرِ عَلَى كُلِّ حَرٍّ أَوْ عَبْدٍ أَوْ أَتْنَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ.»⁽³⁾

والقيمة المحجاجية لهذا التركيب، كما في التراكيب السابقة، والتي تتحدث عن حسن الظن والصيام والصلاة والزكاة فهي تقتضي الخضوع والانقياد والانصياع للأمر الواقع لأنها مبنية على قوّة الاستدلال وما على السامع إلا الإذعان والاستسلام .

ويقول في قصيدة، "وداع الحجاج" :

- أَحْرَمَ لَهُ قَبْلَ النَّزُولِ مُلْبِيًا فَلَكَمِ حَمِي عِنْدَ النَّزُولِ مُضِيمًا

إلى أن يقول :

¹ - موطأ، الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى / ص 122.

² - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 275.

³ - موطأ، الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى، ص 192.

هنالك البيت الذي لجلاله
عنت الخلائق سيّدا وخبديما
كبرّ وطف بالبيت مستسلماً وقف
خلف المقام لركعته مقيما
وإلى الصفا والمروة أغدّ مجشّما
في السّعي نفسك جهّدها تجشّما⁽¹⁾

ففي الأبيات استحضار لما جاء في كتاب موطأ للإمام مالك عن نافع، أن عبد الله بن عمر كان إذا أحرم من مكّة لم يطف بالبيت حتى يرجع من منى، وكان لا يرمل إذا طاف حول البيت إذا أحرم من مكّة⁽²⁾، وعن مالك: « أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا قضى طوافه بالبيت، ركع الركعتين، وأراد أن يخرج إلى الصفا والمروة، استلم الركن قبل أن يخرج.»⁽³⁾

- فحديث الشّاعر عن الإحرام، والبيت العتيق والتكبير والطواف فيه يُعدّ تعظيماً وإجلالاً لشعائر الله فلقد استطاع الشّاعر رسم صورة حيّة لفرائض الحاج، وهذا الخطاب يكشف لنا وظيفتين تداوليتين، إحداهما إشارية شخصية وهي تشبّع شاعرنا بالروح الإسلامية وتعاليمه مما يدل على تقوى قلبه وورعه، والأخرى إحالية تحيل إلى النصّ المشترك بين المتكلم ومخاطبيه، فيزيد من القيمة الحجاجية للتّركيب الهادفة إلى إقناع السّامع والتأثير فيه .

ويقول في قصيدته الرائية بعنوان "أيّها الرافعون القصور" :

فيا أيّها الرّافعون القصور إلى الجو في الأّمة القاصره
ويا أيّها الوادعون النّيام على الحزّ في السّرور الفاخره
ويا عامر الجيب خلّو الفؤاد قرير البصيرة و الباصره

¹ - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 163

² - موطأ، الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى ، ص 288.

³ - نفسه، ص 202

(...)

ألا تذكرون حفاة عـرارة أصابهم الفقر بالفاقره
ألا تكرمون ألا تنقذون وجوها تُكَبِّب في الحافره

إلى أن يقول:

إلى الجود يا قوم فالمعوزون من الناس في عسرة عاسرة

فمن جاد ساد اسمه في الحياة وكان له الخلد في الآخرة⁽¹⁾

فالشاعر يستحضر ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن التَّزْيِيبِ فِي الصَّدَقَةِ، فعن أبي حباب سعد بن يسار، أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا وَكَانَ إِنَّمَا يَضَعُهَا فِي كَفِّ الرَّحْمَانِ، يَرَبِّهَا كَمَا يَرَبِّي أَحَدَهُمْ فَلَوْه * أَوْ فَيُصَلِّهِ، حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ. »⁽²⁾

ففي هذا الحديث ترغيب في الصَّدَقَةِ، وتوضيح لما ذكره الشَّاعر محمد العيد آل الخليفة في أبياته مرغبا في الصَّدَقَةِ ومساعدة المحتاجين والمعوزين، ذاكرا فضل المنفق كيف يسود اسمه في الحياة، ويخلد في الآخرة فالحديث بيّن لنا أَنَّ المنفق صاحب الرِّزْقِ الطَّيِّبِ فَصَدَقْتَهُ تَرَبَّى لَهُ كَمَا يَرَبِّي وَوَلَدَ النَّاقَةَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الْجَبَلِ، فَالْقِيَمَةُ الْحَاجِيَةُ ظَاهِرَةٌ فِي التَّرْغِيبِ وَذَكَرَ فَضْلَ الْمُتَصَدِّقِ، إِنَّمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ اسْتِحْضَارَهَا تَقْوِيَةً لِأَمْرِهِ عَلَى الْمُخَاطَبِ.

و في حديث الشَّاعر عن قيام الليل في قصيدته بعنوان "يا ابن الليل"

¹ - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 251

* - الفلّو: المهر الصَّغِير، ولد الناقة.

² - موطأ، الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى، ص 703.

ت1: قيام الليل حلية كل برّ
 بباب الله قام له خديما
 إذا جن الظلام عليه أغفى
 وقام يسابق الليل البهيمما
 بنافلة يطيل بها قياما
 وقرآن يرتله قوئما
 مضى متهجداً كالنجم يسري
 وجدَّ يسبح الله العظيما (...)

إلى أن يقول:

وما قدمت من خير خفي فإن الله كان به عليما⁽¹⁾

ففي هذا الكلام استحضار لقول الرسول صلى الله عليه وسلم، عن سعيد بن جبير عن رجل عنده رضا*، أنه أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من امرئ تكون له صلاة ليل يغلبه عليها إلا كتب الله أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة»⁽²⁾

وعن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل، أيقظ أهله للصلاة يقول لهم الصلاة الصلاة، ثم يتلو هذه الآية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾⁽³⁾

والملاحظ هو أن فضل قيام الليل كبير وعظيم، لعل هذا ما أشار إليه الشاعر بقوله فإن الله كان به عليما فالله يعلم أن الذي يقوم الليل قد يغلبه النعاس فكتب له أجره، وسياق خطاب الشاعر

¹ - ديوان، محمد العيد آل خليفة، ص 282.

* قيل أنه الأسود بن يزيد النخعي.

² - موطأ الإمام مالك، رواية يحيى بن يحيى، ص 86.

³ - سورة طه الآية 132.

يُوحى بالترغيب في قيام الليل ليستحضر ما جاء في كتاب الموطأ للإمام مالك من ترغيب عمر بن الخطاب لأهله وإيقاظهم آخر الليل، وهنا تظهر القيمة المحجاجية في هذا التركيب رغبة في التأثير على السامع فيستجيب لكلام المخاطب دون تردّد.

الخطمة

بعد هذه المسيرة الطويلة والتي دامت سنوات عشتها مع هذا الموضوع، إلى أن وصل لصورته الحالية بتوفيق من الله وعونه، قدمت فيها ما تيسر لي الاطلاع عليه و الإمام به والوصول إليه في محاولة جادة لخدمة هذه اللغة الشريفة، لغة الضاد.

وبعد أن وفقني الله - عز وجل - لإتمام هذا البحث المتواضع أود أن أذكر بإيجاز النتائج التي توصلت إليها أثناء معالجاتي لمسائل هذا الموضوع، وقد حصرتها في النقاط التالية:

- هناك تحوّل في الدرس اللغوي جراء ظهور النظرية التوليدية على يد تشو مسكي.
- توجد صلة وثيقة بين الشعر و التداولية لأنّ مجال كلّ منهما التّواصل.
- أحاديث الفلسفة التحليلية النظرية في الدور الذي تؤديه اللغة ، يضمن بلوغ التفسير الفلسفي للفكر، عبر اكتشافها درجة الغموض، لتوجه انتباه المتلقي أو المعني، مما أدى إلى التفكير في تأسيس اختصاص فلسفي جديد من طرف جون أوستن ، ضمن المحاضرات التي ألقاها سنة 1955م
- ونسجل اهتمام فلاسفة اللغة بمقاصد المتكلم وعلاقته باللغة ، مقارنة بالجانب السياقي.
- ميلاد التداولية جاء نتيجة مراحل لسانية خالدة ، وبعد افتقاد اللسانيات البنيوية لقواعد الإحالة التفسيرية، وانطوائها على وصفها الشكلاني والصوري، والبعيد عن الأحداث الكلامية الحقيقية في الواقع المجسد .
- تشكل المحاور؛ كأفعال الكلام ، والافتراض المسبق والسياق و الإشارات الحجاجية شبكة تحليل يعتمد عليها الدرس التداولي.
- يمكن الحديث عن التداولية في الشعر من خلال دراسة شروط وصول النص الشعري إلى السامع، وإقناعه بل والتأثير فيه، بواسطة انتقاء أفعال الكلام المناسبة للسياق ، فيتم إثراء الحقل

الخطابي، و تدعيمه بالإشارات الحجاجية، والمراجع الدينية والتاريخية الخالدة والألفاظ المبنية على الانتقال ، التعارض والإدخال ، والتقديم والتأخير، والزيادة أو الإضافة والحذف، فكما في الزيادة إقرار للكلام أو نفي له، فكذلك في الحذف ، لأنّ أعمال الفكر واجب من الطرفين المخاطب والمخاطب.

- إنّ الغرض من الحذف لا يقتصر على تحقيق الإيجاز و الاختصار فحسب، بل وسيلة تعبيرية إذ يعبر عن دلالات معنويّة ونفسية و انفعاليّة.

- ومن خلال المنهج التداولي استطعنا تصوير حياة الشاعر محمد عيد آل خليفة وتقديم جوانب مختلفة منها:

* وقفنا على موقفه الرجولية، و آرائه السديدة، النابعة من عمق ثقافته الإسلامية الشريفة الصائبة، الواضحة الجليّة، جلاء النور للظلام.

* خلصنا إلى أنّ شعره أكثر ملائمة للدراسة التداولية لأنّ غايته التأثير في المخاطب وتعديل مواقفه .

* قصائد الشاعر مشاهد حيّة غنيّة بالقيم التداولية.

- و اعتنى الشاعر بمخاطبيه، في توالي التراكيب الإنشائية لإثارتهم ، وفي المبالغة في الوصف لإحداث الدهشة لدى السّامع ، وفي إجمال الدّلالة وتفصيلها بغية التشويق والإغراء.

- لاحظنا إسهام القوى الإنجازية للتراكيب النحوية في تحقيق الدّلالة، و الغاية منها استدراج السّامع للظّفر بدلالة التّركيب .

- وقفنا على دور الإشارات الشخصية الزّمانية، والمكانية في الإحاطة بدلالة التّراكيب .

- كما وجدنا في الجانب البلاغي للفظ الإستعاري قوّة إنجازية تحيل السّامع على الإقناع ، واختبار المهارة في اكتشاف العلاقة بين المعنى الحقيقي و المجازي.
- إنّ الشّاعر استطاع من خلال التّركيب الكنائي الإشارة إلى المعنى المقصود مصحوباً بالدليل، كإحالة المتكلم في التّركيب إلى تذكّر الماضي.
- لقد اعتمد الشّاعر على وجوه حجاجية كثيرة في قصائده مثل: التّوكيد، والتّذكير، القصر والتّكرار، التّقابل والإدخال، التّقديم والتّأخير والالتفات والانتقال من الجملة الفعلية إلى الاسمية للتعبير إمّا عن الحركة أو التّبات بغرض تقديم إضافة حجاجية إقناعية داخل التّركيب .
- اعتماد الشّاعر على المرجع الديني والتّبوي، يوحى بشخصية الشّاعر وإيمانه القومي بالنّظر إلى عشرات القصائد الحافلة بالحسّ الإسلاميّ المميّز حتى في القصائد ذات الطابع السّياسي والإخواني والشّخصي في شكل تهنئة أو تحية أو غيرها.
- لقد غرّد الشّاعر محمد العيد آل خليفة طويلاً للجزائر، وللوطن العربيّ والعالم الإسلاميّ فأعطى الشّعْر خمسين سنة من عمره، إنتاجاً وعملاً ونضالاً فكرياً مستميتاً.
- إنّ هذه الدراسة التّداولية هي محاولة تقريب المنهج التّداولي، من النّص الأدبي وملاسته، وذلك بالوقوف على الشّيء الضمني في الكلام و الصريح مع بيان جدوى المقاربة التّداولية على الخطاب الشعري.
- ونعتقد جازمين أنّ هذا العمل ما هو إلّا محاولة جادة، نبتغي فيها المنفعة العلميّة العامّة، راجين من المولى عزّ وجلّ أن يتقبله منا وأن ينفع به، فإنّ كان ما قدمناه صواباً، فهو من الله وإنّ كان عكس ذلك فهو من أنفسنا، والله من وراء القصد وهو يهدي السّبيل.

الملاحق

الملحق رقم 1: لمحة موجزة عن حياة الشاعر محمد العيد آل خليفة.

الملحق رقم 2: ملحق خاص بتقديم الطبعة الثالثة للديوان .

الملحق رقم 3: ملحق خاص بمحتويات ديوان محمد العيد آل خليفة.

الملحق رقم 1: لمحة موجزة عن حياة الشاعر محمد العيد آل خليفة.

محمد العيد آل خليفة

هو محمد العيد بن محمد علي بن خليفة من محاميد سوف المعروفين بالمناصير من أولاد سوف. ولد في مدينة عين البيضاء بتاريخ 28 اوت 1904 م الموافق جمادى الاولى 1323 هـ بعد تلقي القرآن والدروس الابتدائية بمدرستها الحجرية عن الشيخين محمد الكامل ابن عزوز وأحمد بن ناجي، انتقل مع أسرته الى بسكرة سنة 1918 وواصل دراسته بها على المشايخ علي بن ابراهيم العقبي الشريف والمختار بن عمر اليعلاوي والجندي أحمد مكي.

وفي سنة 1921 غادر الشاعر بسكرة الى تونس حيث تتلمذ سنتين جامع الزيتونة ثم رجع سنة 1923 الى بسكرة وشارك في حركة الانبعاث الفكري بالتعليم والنشر في الصحف والمجلات (صدى الصحراء) للشيخ احمد بن العابد العقبي (والمنتقد) و (الشهاب) للشيخ عبد السيد بن باديس و (الاصلاح) للشيخ الطيب العقبي.

وفي سنة 1927 دعي الى العاصمة للتعليم بمدرسة الشبيبة الاسلامية الحجرية حيث بقى مدرسا بها ومديرا لها مدة اثني عشر عاما وفي هذه الفترة اسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان من أعضائها العاملين، ونشر الكثير من قصائده في صحف الجمعية (البصائر، السنة، الشريعة، العراط) وكذا في صحيفتي (المرصاد والثبات) لمحمد عباسية الاخضر.

وفي سنة 1940 بعد نشوب الحرب العالمية الثانية غادر العاصمة الجزائرية الى بسكرة ومنها دعي الى باتنة للاشراف على مدرسة التربية والتعليم الى سنة 1947 م ثم الى عين مليلة لادارة مدرسة العرفان الى سنة 1954 م وبعد اندلاع الثورة الكبرى أغلقت المدرسة وألقي القبض عليه وزج به في السجن وامتحنته السلطة الاستعمارية بعد اطلاق سراحه بمحنة غاشمة وفرضت عليه الإقامة الاجبارية ببسكرة فلبث معزولا عن المجتمع تحت رقابة مشددة الى ان فرج الله عليه وعلى الشعب الجزائري بالتحريير والاستقلال.

BUC Tlemcen



R05400

الملحق رقم 2: ملحق خاص بتقديم الطبعة الثالثة للديوان .

مقدمة

للجزائر كما للامم العريقة في المجد والحضارة تراث ادبي وعلمي يربط حاضرها بماضيها فتبني عليه مستقبلا، وهو ضمان لحفظ كيانها، وتدعيم بنيانها، ولم تتأخر الجزائر عن ركب هذه الامم في عصر من العصور .

غير ان كثيرا من الامم ساعدتها الظروف وساعفتها فبقي تراثها محفوظا يتلقاه ابناءؤها جيلا بعد جيل، اما الجزائر فقد نسجت عناكب النسيان خيوطها على جل تراثها العلمي والادبي ولعبت به يد الاستعمار فوضعت في زوايا الخمول، وقد اعان على ذلك ليل الاستعمار الطويل الذي لم ينجل الا بعد قرن وعشرات من السنين الشداد .

وبعد ان اصبحت الجزائر حرة مستقلة عقدت وزارة التربية الوطنية العزم على بعث تراث الجزائر ونشره، وكان فاتحة ذلك هو نشر ديوان محمد العيد. وطبع ديوان محمد العيد أمنية عز منالها قبلا، ولقد

خامرت هذه الامنية نفوس كثير من رجال العلم والادب والاصلاح
بالجزائر، فمات البعض منهم وفي نفوسهم حرقه وأسى عميق من عدم
نشر هذا الديوان لأن شعر محمد العيد ساير نهضة الجزائر الحديثة
وواكبها، فهو قلبها الخافق ولسانها الناطق وترجمانها الصادق، وهو
مع مافيه من بلاغة التعبير وصدق التصوير يمثل الايمان بالدين والوطن،
ويدعو الى الثورة المسلحة على الاستعمار قبل اندلاعها بسنين، ومن الذي
ينكر قوله سنة ١٩٣٧ :

فقم يا ابن البلاد اليوم وانهض

بلا مهل فتقد طال القعود

وقل يا ابن البلاد لكل لص

تجلى الصبح وانسبته الرقود

فخض يا ابن الجزائر في المنايا

تظلك البنود أو اللحود

هذا وعسى الله أن يعين وزارة التربية الوطنية على ان تخطو
بعد هذه الخطوة خطوات، وتثب في هذا الميدان وثبات بثبات،
فبعونه سبحانه تتم الصالحات .

أحمد طالب الابراهيمى
وزير التربية الوطنية

التقديم

لرائد الادباء ورؤيس العلماء
الامام الشيخ
محمد البشير الابراهيمي (رحمه الله)
نشرت في مجلة الشهاب عدد ختم القرآن الكريم
سنة ١٩٢٩ م

الاستاذ محمد العيد . شاعر الشباب ، وشاعر الجزائر الفتاة ، بل
شاعر الشمال الافريقي بلا منازع .

شاعر مستكمل الادوات ، خصيب الذهن ، رجب الخيال ، متسع
جوانب الفكر ، طائر اللمحة ، مشرق الديباجة ، متين التركيب ، فحل
الاسلوب ، فخم الالفاظ ، محكم النسيج ملتحمه ، مترقرق القوافي ، لبق
في تصريف الالفاظ وتنزيلها في مواضعها ، بصير بدقائق استعمال
البلغاء ، فقيه محقق في مفردات اللغة علما وعملا ، وقاف عند حدود القواعد
العلمية ، محترم للاوضاع الصحيحة في علوم اللغة كلها ، لا تقف في شعره

– على كثرته – على شذوذ أو رخصة أو تسمع في قياس ، أو تعقيد في تركيب ، أو معازلة في أسلوب. (بارع الصنعة في الجناس والطباق وارسال المثل والترصيع بالنكت الأدبية والقصص التاريخية).

ومن يعرف « محمد العيد » ويعرف أيمانه وتقواه وتدينه وتخلقه بالفضائل الإسلامية – يعرف ان روح الصدق المتفشية في شعره انما هي من آثار صدق الايمان وصحة التخلق، ويعلم انه من هذه الناحية بدع في الشعراء رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها ، وله في كل ناحية من نواحيها ، وفي كل طور من أطوارها ، وفي كل أثر من آثارها – القصائد الغر ، والمقاطع الخالدة ، فشعره – لو جمع – سجل صادق لهذه النهضة ، وعرض رائع لأطوارها .

وقد سمت نفسه في العهد الاخير الى الشعر الفلسفي وتظهر فيه عدة مقطوعات لزومية رائعة نشر القليل منها .

واذا كان في النهضة العلمية الادبية بالجزائر ، نواحي نقص ، فمنها ان يبقى شعر محمد العيد غير بمجموع ولا مطبوع .

جنيف في ٢٦ شعبان ١٣٥٥

البهاء زهير ينشر في هذا العصر ! (1)

كلما قرأت شعرا لمحمد العيد الجزائري تأخذني هزة طرب تملك
علي جميع مشاعري واقول : ان كان في هذا العصر شاعر يصح ان يمثل
البهاء زهيرا في سلاسة نظمه ، وخفة روحه ، ودقة شعوره ، وجودة
سبكه ، واستحكام قوافيه التي يعرفها القاريء قبل ان يصل اليها وإن
التكلف لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه فيكون محمداً العيد الذي
اقرأ له القصيدة المرتين والثلاث ولا امل وتمضى الايام وعذوبتها في
فمي . كان يظن ان القطر الجزائري تأخر عن إخوته سائر الاقطار
العربية في ميدان الادب ولا سيما في الشعر ، ولعله بعد الآن سيعوض
الفرق بل يسبق غيره بمحمد العيد .

شكيب ارسلان

(١) نشرت هذه القطعة بخط الامر رحمه الله
مع صورتين احدها له بالزى المغربي ، والثانية
للشاعر - في مجلة « الشهاب » ج : (١) م :
(١٣) - ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ -

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الطبعة الثالثة

الشاعر محمد العيد آل خليفة (1904 - 1979م) شخصية متميزة في مسيرة الشعر الحديث، بالقضايا التي عكسها شعره والموضوعات التي تناولها، وشخصيته الفكرية والادبية في شعره، وحسّه الخاص والعام : وطنيا وقوميا أولا، وإنسانيا بعد ذلك بصفة أشمل، فكان شعره نتاج مرحلة هامة من نهوض الحركة الوطنية عموما، والحركة الاصلاحية خصوصا، تفاعل معها وعبر عنها، تعبيرا حيا صادقا، بؤد وإخلاص؛ فجسد شعره جوانب مختلفة مما كان يتفاعل في المحيط حتى مطلع السبعينات، من قضايا وانشغالات، وطموح وآمال، فكان بذلك نغما جوهريا في صوت (الجزائر) بوجهها العربي الاسلامي، وملامحها الانسانية، كما احتل مكانة مرموقة بغزارة إنتاجه وتنوعه، وصدقه في فنه ومشاعره، صدقا يعوض عن بعض من جوانب فنية أخرى لدى آخرين قد يعظم عندهم أمر الأصباغ إلى أبعد حدّ مما قد يخفي زيفا ونفاقا لم يمارسهما (العيد) قط، بل كان يكتب من وحي قناعته وإيمانه : وطنيا وقوميا ودينيا وإنسانيا، واستجابة لانفعال معيّن نحو قضية أو موقف أو فكرة أو شخصية أيضا أو غيرها، منساقا في كلّ الأحوال لقيم الخير والحرية والعدل والمودة والمحبة والرّحمة والتكافل والبذل، ممّا عكسته قصائده الوطنية والانسانية والاخوانية وغيرها في التعبير عن حدث أو فكرة، أو تصوير خاطرة أو سواها، ممّا يعكس حقا شخصية شاعر فنان، يهزه الحدث الكبير كما تطربه اللّفة الصّغيرة، والصورة الجميلة، مثل الفكرة

العابرة، والموقف الانساني النبيل، والسلوك الجميل، بكل أبعاد ذلك وظلاله التي قد تتسع وتنوع، مشبعة بحس أخلاقي وروح وطنية وظلال صوفية أيضا في بعض الحالات. فعاش الشاعر حياة فكرية زاخرة بالعمل والانتاج حتى استفد طاقته في البذل والعطاء، منذ فجر شبابه.

ولد (محمد العيد) يوم : 27 جمادي الأولى 1323 (1904.8.28 م) في مدينة (عين البيضاء) في الجهة الشرقية من الوطن حيث تلقى تعليمه الابتدائي في التعليم الحر، وتابعه في مدينة (بسكرة) التي انتقلت إليها أسرته سنة 1337 (1918 م) ليتقل بعد ذلك إلى (تونس) وعمره سبع عشرة سنة (1921 م) ف قضى سنتين تلميذا في (جامع الزيتونة) الذي كان أحد المراكز التعليمية الهامة في (المغرب العربي) ويستقطب طلبة العلم من (الجزائر) حيث تلقى فيه كثير من رجال الحركة الفكرية والأدبية الحديثة جزءا هاما من تعليمهم؛ كما تخرج فيه بعض من رجال الحركة الاصلاحية، وفي مقدمتهم (ابن باديس) نفسه زعيم الحركة الاصلاحية المعاصرة في (الجزائر).

بعد سنتين اثنتين قضاهما (العيد) في (الزيتونة) نعتقد أنه بدأ فيهما نظم الشعر عاد الى (الجزائر) التي كانت تبدو له الحياة فيها تحت الاحتلال الفرنسي كابوسا مقيما فضاقت بهذا الوضع وقد تمكنت من نفسه مشاعر قاتمة، للوضع العام ولواقعه الشخصي وهو في مطلع شبابه، وقد اجتث الاحتلال الفرنسي من النفوس كل بذور الأمل في الحياة الهائلة السعيدة، كما سد كل آفاق الثقة في الناس والأمل في المستقبل، فوجد هذا الشاب، نفسه وهو في العشرين من عمره يعيش إحساسا بائسا في الثمانين أو في التسعين من عمره ضجرا من الحياة :

سئمت وإن كنت ابن عشرين حجة
أردد طرفي سابرا كنه غورها
تبارك رب العرش لست بملحد
ولكن وجـداني ينم بحسرة
حوادث لا تفك مستعرات
فيرجع طرفي خاسئ النظرات
يحاول طمس الحق بالشبهات
إلى القلب أو يوحى له بشكاة

غير أن الشاعر لم يلبث حتى شرع يتلمس طريقة إلى الخلاص الجزئي من هذه الدوامة البغيضة، فانغمس في التعلم، والتعليم، مشاركا في الحركة الشعرية والاصلاحية، في محيط بدأت الحركة الوطنية فيه تشهد حيوية مطردة، فتولّى التعليم الحر (بسكرة) وغيرها، فعمل معلما ومديرا لمدرسة (الشيبية الاسلامية) في (الجزائر) العاصمة (1928 - 1940 م) التي دعي إليها من (بسكرة) فمدير المدرسة (التربية والتعليم،

في (باتنة) سنوات (1940 - 1947 م) ثم مدير المدرسة (العرفان) في (عين
المليلة) من (1947 م) إلى (1954 م) .

كما عمل عضواً في (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) منذ تأسيسها
(1931 م) الذي أسهم فيه، مشاركاً بشعره في النهضة الأدبية؛ فظفر بلقب (شاعر
الشباب) و (أمير الشعراء) وقد نشر في معظم الصحف العربية الجزائرية : (صدى
الصحراء) (المتقصد) (الاصلاح) (المرصاد) (السنة) (الصراط) (الشريعة)
(الشهاب) (البصائر) .

وقد صار شعره في الصحافة العربية إضافة إلى عمله في مدارس (جمعية العلماء)
الحرّة مصدراً من مصادر المتاعب المتجددة له، فأضحى عرضةً للتحقيق والاستنطاق
والملاحقة والاستفزاز، مما انتهى به في آخر الأمر بعد اعلان الثورة المسلحة (1954)
إلى السجن، ثم الإقامة الجبرية في (بسكرة) التي فرضتها عليه إدارة الاحتلال الفرنسي
حتى الاستقلال (1962) حين استأنف مشواره الشعري مشيداً بكل ذكرى لثورة
(نوفمبر) التي حققت الاستقلال، مبتهجاً بعيد الاستقلال في كلّ ذكرى له أيضاً، معبراً
عن مشاعره وآماله الوطنية وأمته، كان آخرها قصيدة له في الذكرى العاشرة للاستقلال
(1972 م) قال فيها :⁽¹⁾

أيها الشعب المفدي هذه فرصة فيها نعطيك الودادا
ونساقيك كؤوساً حلوة من أفويق الرضى تنفي النكادا
عشت عشرا من سني التحرير بل عشت نشرا بعدما متّ اضطهادا
وقد لاذ الشاعر حيثئذ بعزلة هادئة، في توق صوفي بعيداً عن الصراعات،
متعقفاً عن الخوض في شؤون الناس وشجونهم كتعقّفه عما يتطاحنون حوله،
ملازماً بيته تحت وطأة المرض، سعيداً بالتقدير والاحترام راضياً عن وضع بلاده،
فلم يكن قريباً من فئة باغية مضت تتكالب على الغنائم، ولا من أخرى انتهازية
تسعى بشراسة لتحقيق المآرب المريبة وغيرها، بل كان الإنسان البسيط بساطة

(1) - نشرت القصيدة يومئذ في آخر حوار لنا معه، في مجلة (الأثير) عدد : 5 سنة : 1، عام 1972 بعد بثها
في القناة الأولى صباح يوم (1972.7.5 م) . كما نقلتها بعد ذلك مجلة (الجيش) .
أنظر القصيدة، ومخطوطتها المصوّرة إلى جانب حوار مع الشاعر، في كتاب (شخصيات جزائرية) د: عمر بن قينة،
ص : 91 - 98، مطبعة (البعث) قسنطينة (الجزائر) 1403 هـ (1983 م) .

إيجابية، الطيب بفطرته، القنوع بطبعه، الزاهد في مآرب الدنيا ومتاعها، فكانت أمنيته الوحيدة في عهد الاستقلال : أن يطبع ديوانه ويحج إلى بيت الله الحرام، فلما تحقق له طبع ديوانه وأداؤه فريضة الحج لم يعد يتمنى إلا أن يلقي الله سليما معافى، وعلى هذا الوضع اعتكف في بيته حتى لقي الله في : 1979 مشيعا بالحب والتقدير من تلاميذه وأصدقائه وشعبه.

لقد كان (محمد العيد) من الشعراء العصاميين الذين مكّنوا لدور الشعر نضاليا في حركة النهضة العربية الحديثة، كما كان صوتا متميزا في مسيرة الحركة الشعرية في (الجزائر) التي يعتبر (الأمير عبد القادر) بدايتها في النهضة الحديثة و(العيد) علمها البارز، في التعبير عن مختلف القضايا الوطنية والعربية - الإسلامية، والانسانية، والهموم الاجتماعية العامة، والخاصة أيضا، حين كان الشاعر ذا دور معتبر، وصاحب كلمة واعية، وذا ضمير وطني إنساني حي، كما كان الشعر سلاحا قوميا فاعلا لا إفرافات شخصية، والشاعر مجاهدا بليمانه وفكره وموقفه وروحه في صمت الوثائقين العاملين لا دجّالا انتهازيا مرتزقا، يتاجر بالشعارات، وبالمواقف، ويتلون مع كل وضع وظرف.

و(محمد العيد) الشاعر لم يخرج قط عن موروثه الحضاري العام، إيمانا صادقا في القول وتعبيرا شعريا عن قناعة وموقف وانفعال، وقد صارت وظيفة الشعر عريا عموما وجزائريا خصوصا ووظيفة نضالية في مسيره الكفاح السياسي من اجل الحرية والاستقلال والوحدة سياسيا، ومن أجل الرفاهية والتقدم اجتماعيا واقتصاديا وعلميا.

وهنا يبدو للشعر دور فاعل بأثره واستقطابه، لما يتميز به من نغم قد ينجر الشاعر عبره في خيال بلا شواطئ ولا مرافئ مشدودا لهم قومياً عام، ومتطلعا لحلم وطني لذيذ جميل ذي ألوان مختلفة تشي بظلال لآمال عذبة ساحرة، تختصرها كلمات حرّية، سيادة كرامة، إخاء، صدق أخلاق، وفاء، وحدة وتطور وتقدم وهو ماعانقه (العيد) بوّد حميمي عبر كوكبة من القصائد في ديوانه، حتى آخر قصيدة له، فمكّن بفته ونضاله لأهمية الكلمة الشعرية المصادقة ووظيفة الشعر في الأمة

لقد كان الشعر قطب الفنون الأدبية التي تختلف مستويات فعلها وتأثيرها في الأمم سواء منها تلك التي تنتج هذه الفنون أو تلك التي تتلقاها عبر وسائط

لهذا وغيره يعتبر (محمد العيد) علما متميزا، خاصة من بين الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، بوفرة شعره ذي الموضوعات الكثيرة المتعددة والقضايا المختلفة، ونضاله به وصدقه فيه، وإخلاصه لفنّه، وللقضايا التي تناولها والموضوعات التي كتب فيها باختلاف في الأهمية بينها : كما وتعبيرا وشكلا، في غزارة مادة وجودة تعبير ومستوى تبليغ، فبات ديوانه الضخم الذي ضمّ هذا الشعر معلما بارزا من معالم الحركة الثقافية عموما والشعرية في (الجزائر) خصوصا، بكل ما في ذلك من نضال وأشكال طموح، وألوان انكسار أيضا، فعكس في النهاية خاصة إبان الاحتلال الفرنسي ما اعتمل به المحيط العام، سياسيا واقتصاديا وثقافيا ودينا واجتماعيا، كما عكس أيضا شخصية صاحبه ذات الرؤى الوطنية والقومية المتوثبة، والروح الإسلامية الجياشة، والنفس المتشائمة أيضا من جهة أخرى.

وهكذا تبدو لنا غزارة المادة، كما يبدو لنا تعدّد الموضوعات التي كتب فيها الشاعر، والقضايا المختلفة التي عبّر عنها، في أوضاع عديدة وبرؤى كثيرة، كما نجد ذلك في ديوانه هذا الذي نشرته وزارة التربية أول مرّة سنة 1967 م، وأعدت نشره ثانيا الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في سلسلة (شعراء الجزائر) سنة 1979 م وهي باسمها الجديد (المؤسسة الوطنية للكتاب) تعيد اليوم نشره في طبعة جديدة، إثراء للحياة الأدبية وتقديرا لهذا الشاعر وجهده وفنّه.

ونحن إذ نتصفّح هذا الديوان الزاخر تجدنا أمام ألوان شتى من الصور المختلفة، ومن التعبير عمّا هو وطني وإنساني وديني وشخصي وغيره، عبر مختلف الموضوعات التي تصدرها (الأدبيات والفلسفيات) وهي قصائد في الحديث عن الأدب والشعر وأصحابهما، ووصف المعاناة الشخصية المتعدّدة الوجوه، وقد اتّسم معظمها بضروب من المناجاة وألوان من التأمل، فيناجي الشاعر بحر (الجزائر) وليلها، كما يناجي هزازه وليلاه التي تيمت فذاب فيها هياما، وأصلى بينها قلبه نارا :

أصلت القلب نـارها وأذاقته حينها
منذ تعرفت مرها وتعشقت زينها
لم يجبني سوى الصدى أين (ليلاي) أينها ؟

وهي مناجاة الحرية التي استعار لها الشاعر صفات الحبيبة المحبوبة التي تخطف القلب وتناى فيصعب الوصل ويكبر العناء. وإن لم يكن الشاعر موغلا في الرمز هنا فقد توفّر على تلك الشفافية الأنيقة التي تجعلنا ننفذ بيسر عبر (ليلي) الحبيبة إلى (الحرية) الحلم

الجميل الأنيق، في وطن كان لا يزال (1938م) يترن تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، كما يتأمل الشاعر تامل أديب فيلسوف حاله وحال وطنه مثل تأمله محيطه والناس من حوله، وحتى النظرة العابرة، كما ترى في (آفة العين) حسب تعبيره في العنوان فيعاني ماتجره النظرة الخاطفة على الفؤاد البريئ :

مالطرنى رننا حولله فافتن
سامني في اللدنا بالضنى فامتحن
كما يتألم لوضع البائسين في الأرض ممن حرمو المأوى والكساء، والطعام
والشراب فباتوا من دون كرامة إنسانية :

بدا لعيني ناعس ناعس على الثرى في الصبح بالي الثياب
فهاج من حزني ومن لوعتي كما يهيج النار عود الثياب
وربما تطلع الشاعر من هذه الصورة المحسنة إلى رؤى أبعد :

هل أنت إلا بشر مثلنا أم أنت جنّ زال عنك الحجاب
وكثيرا ما يشبع الشاعر تأمله الهادىء بألوان مختلفة من الوصف الأنيق، فيتفياً مثلا ظلالة
في الزيف الجميل، ريف الطهر والصفاء، والحقل الزاهر والبدر المنير في سماء الجمال
الأخاذ :

عش البوادي نضير لانظيرله
والحقل محتفل الأشجار من طرب
وفي الكرم عنا قيدتحف بها
والبدر في الليل يبدو زاهدا ورعا
أوعاشقا ساهرا في الحي منفردا
ياساهر الليل لآخانتك باصرة
أنزل إلنا قليلا نصطحب زمنا
وجوها لعضال الداء تريباق
تشدو وتهفوا به ورق وأوراق
كأنها في نحو الغيد أطواق
له إلى الله إخبات وإطراق
وقد غفت من رعاة الحي أحداق
ولا عداك على الغافلين إشفاق
فكلنا لجمال البدو عشاق

وتحتلّ الشؤون القومية والإسلامية حيزا معتبرا بعد هذا، فتحفل عشرات القصائد بالحمس الإسلامي المتميز، حتى في القصائد ذات الطابع السياسي والإخواني والشخصي، في شكل تهتة أو تحية أو غيرها، مثل الحديث عن دوريات ومنشورات إسلامية، أو شخصيات من عالم الفكر الإسلامي، إضافة إلى الموضوعات الإسلامية الجوهرية، مثل (ذكرى المولد النبوي) و(وداع الحجاج) والترحيب بهم في عودتهم وكذا الموضوعات القومية بمضمونها الإسلامي، في مثل تحيته (جمال عبد الناصر) أو حديثه عن الثورة الجزائرية ذات الروح الإسلامية :

شعب الجزائر كله أبطالها من حارث فيها ومن همّام
إن الجزائر أصبحت بجهادها تغزو البلاد بصيتها المترامي
فاسأل (نوفمبر) عن بينها إنه أدري بثـرتهم على الأروام
قد دكّ فاتحه المعائل فاتحا ففدا بذلك غيرة الأيام
وهذا الجانب يجد امتداد له بعدة أشكال في قسم الأخلاقيات والحكميات بالديوان، ثم قسم الاجتماعيات والسياسيات، وكذا قسم اللزوميات؛ فهو في أخلاقياته وحكمياته يتحدث عن تارك (الصلاة) و (الزكاة) كما يسرد مواعظ دينية وأخلاقية شعرا هو أول من يعلن الاعتبار بها، في مثل قوله :

يقولون لي أمسيت بالشعر لامعا فهل أنا بعد الموت بالشعر لامع
فيأريح نفسي من دعاو كثيرة يصانعي قولا بها من يصانع
وربّ كلام قلته أو سمعته به أنا في وادي الأضاليل واقع
إذا لم يداركني من الله عفوه فإطراؤهم إزاي للجنب صارع
تناذي المنايا للمتاب بلاوني وتشغلنا آمالنا والمطامع
وتطرّد الأفكار الإسلامية في اجتماعياته وسياسياته، عند الحديث عن ذكريات ومواقف، أو في الحديث عن (فلسطين) و (مصر) و (ليبيا) ومجاهدتها الكبير (عمر المختار) :

خاض الجهاد مظفراً حتى انجلي عَمَّا انجلي والحرب ذات سجال
 كتب الاله له الشهادة مُرّة ليفوز منه بطعمها العَسال
 في كل قلب مؤمن ذكرى له أبدية قرنت بكل جلال
 ويستمر ذلك في لزومياته : قصائد ومقطوعات، في مواضع وخواطر، عند الحديث
 عن شهر (رمضان) وغيره، في مثل هذا الخطاب الذي نفّض فيه الشاعر يده من الناس
 لثقافتهم وريائهم، متوجهاً إلى الله لائذا بحماه :

حسبت للناس عهداً فلم أجهد مـاحسبت
 كم سرتني من رأني وسـاءني يـوغيت
 وليت نحتوك وجهي وتبت يـارب تبت

ثم تتقارب مستويات الحسّ الإنساني بين إخوانيات الشاعر ومراثيه والذكريات
 في الديوان، فهو في الإخوانيات الصديق الحميم الذي يبادل أصدقاءه باقات شعر وودّ
 وإخلاص ووفاء، كما يعلن في المراثي حسرتة وأساه معتبراً مشيداً بالخصال النبيلة، موجّهاً
 مواسياً في النكبات، مرشداً داغياً إلى الاعتبار، كما تبقى الذكريات هنا مرتبطة بالمراثي
 تحمل معظم سماتها العامة في قصائده، عن وفاة كل من (أحمد شوقي) و (حافظ
 إبراهيم) وذكرى الوفاة لكل من (ابن باديس) و (إبراهيم) ثم (الأمير عبد القادر).
 وقد توّسط هذه الموضوعات قسم (الثوريات) وهي قصائد مستمدة جميعها من
 مناخ ثورة التحرير (1954 - 1962)، تأتي بعد هذه وتلك قصائد ومقطوعات مختلفة،
 هي (متفرقات) يتسم معظمها بالقصر، في شكل صور وخواطر وانطباعات، عن أشخاص
 ومناسبات، وهيئات، وغيرها.

أما (الأناشيد) القسم الأخير في الديوان فهي أناشيد للشباب ولفرق كشافة كتبها
 في أوقات مختلفة ومتباعدة (1936 - 1950) من ضمنها أيضاً نشيد (نساء الجزائر).
 وقد تضمن هذا القسم قصيدتين الأولى عن الفاتح العربي (عقبة بن نافع) بعنوان
 (نشيد عقبة) سنة 1965، والثانية في تهته الملك المغربي (محمد الخامس) بمناسبة
 عودته من منفاه (1955 م) بعنوان (أمير المؤمنين غنمت نصراً).

وبين (المتفرقات) (والأناشيد) يجد القارئ قسما صغيرا للألغاز يتكوّن من تسعة ألغاز بسيطة بين قصيدة ومقطوعة، لم يكن الشاعر مرتاحا لادراجها في الديوان عندما طبع لأول مرة، لأنه يعتبرها محاولات بسيطة أملتتها مناسبات عارضة مع تلاميذته، ماكان ينبغي على القائمين بأمر الديوان إعدادا وطبعاً إثباتها⁽²⁾.

وهي وجهة نظر الشاعر التي تختلف عن وجهة النظر لدى غيره، فمهما قلّ شأن هذه الألغاز فهي تحتفظ - بالنسبة لشاعر كبير - بدلالتها على جانب معين مهما صغر أو تضاعف من شخصية الشاعر وروحه، إضافة إلى مايمكن تلمسه فيها من بعد ما اجتماعي خاص أو غيره في (القهوة) بعنوان (الجارية السوداء) حين اختفت من الأسواق في (الجزائر) عند اندلاع الحرب العالمية الثانية :

وجارية سوداء عزّ منالها على البيض واستعصى عليهم وصالها
نزلت وصلّت عنهم فعروضوا جوارى أخرى لا يطاق احتمالها
لقد تنوّعت موضوعات شعر (العيد) تنوعاً كبيراً، وبرزت فيها شخصية الشاعر المؤمن الصادق، كما برزت فيها أشياء مختلفة، منها مايتعلق بظروفه وطبيعة تكوينه الاجتماعي والنفسي، ومنها مايتعلق باتجاهه القومي من منظور ديني، ففي زاوية من الجانب الأول نلمس نزعة التشاؤم التي بكرت في وفودها عليه، وهو في العشرين من العمر حين قال :

سئمت وإن كنت ابن عشرين حجة حوادث لا تنفكّ مستعرات
وهذا يعني أن القصيدة في حدود (1924 م) وهو الشعور الذي بقي مطرداً في سنة (1936 م) بعد اثنتي عشرة سنة :

عوجلت بالهمّ طفلاً وفي شبّابي شبت
في صحتي هدّ جسمي وفي هـواي نكبت

(2) - راجع رأيه في حديث لنا معه، تضمّن كتاب (شخصيات جزائرية) ص : 92، مطبعة البعث، قسنطينة (الجزائر) 1983 م.

وهو إن أوحى ببعض المبررات الخاصة والعامّة ميّكراً، فقد أبقى أيضاً في (1937 م) على هذا التزوع التّشاؤمي نفسه الذي انجرّ عن علاقته بالآخرين :

لأنّح الناس ميثاقي ولاثقني وإن أحاطت بي الأفواج والحلق
أصبحت أيأس صاد لايعلّني حتى الشراب، فلا ماء ولا ألق
ثم يدخل الشاعر في صراع مع نفسه (1950 م) وهو يتمرّق أمام الآمال الكايبة في ألم
مقيم معاقباً نفسه عما هي عليه من مشاعر سود، توقاً للخلاص من هذا الكابوس :

هجدت فضاء حظّي في هجودي ولم أقض اللبّانة من وجودي
وتنأى بي عن الآمال نفس تنوء بوزرها تحت القيود
فيأنفسي عن الكدرات عني وعودي للصفاء المحض عودي

هذه التزعة التّشاؤمية المبرحة جعلت الشيخ (محمد البشير الإبراهيمي) يكتب له ذات يوم من (تلمسان) سنة 1355 هـ (1936 م) قائلاً : طالما قرأت في وجهك الشاحب آيات الحزن وتلمحت في قسماثك دلائل الهمّ والأسى وكم حركتك بمعاريض من القول علّني أستبين شيئاً من حقيقة هذا الهمّ الدفين ... وهذا الأسى المبرح الذي أعلم أنك تقاسيه فكنت كمن يستجلي المعني الدقيق من اللفظ المعقّد ... أتظنّ أننا جاهلون بهذه المنازع العجيبة التي تنزعها في شعرك وبمناشئها من نفسك ... طالما سمعت منك كلمة (اليأس) وبودّي ألا أسمعها منك مرة أخرى، لأنني أعدها غميرة في شاعرتك، ولولا شذوذ تعرفه في نفوس الشعراء كأنه من معاني كمالهم لما صدقنا باجتماع اليأس والشعر، وكيف ييأس الشاعر وهو ملك مملكة الآمال وسلطان جورّ الخيال ...⁽³⁾، فما كان من الشاعر إلا الرّد شاكرًا معلنا صعوبة الخلاص من دائه :

اليأس داء عسيف والبـرء منه عسير
يـلدقّ بين ضلوعوي قلب كسيف كسـير
أخشي عليه انتكاسا والانتكاس خطير

(3)- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج : 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1398 و (1978) ص : 159 - 160، وقد نشرت الكلمة مع قصيدة الشاعر بعنوان (بين عالم وشاعر) في مجلة الشهاب ج : م : 12، جوان 1936 م، وبنفس العنوان وردت معاً في المصدر أعلاه، وفي ديوان الشاعر.

هذا الانتكاس الذي يرهبه الشاعر بقي معلنا حضوره، وإن تلوّن أحيانا في أشكال مختلفة، غير أنّ أملا سياسيا ما لاح في الأفق سنة (1962 م) فكسر قليلا تواجد ذلك التشاؤم، حين أحسّ الشاعر قرب الإفراج عنه في إقامته الجبرية وإعلان الاستقلال عندما نقرت نافذته فراشة تدعى (بوبشير)⁽⁴⁾ يتفاءل الناس برؤيتها التي يعتبرونها إيدانا بأخبار سارة وشيكة :

جزمت بقرب إطلاق الأسير غداة سمعت صوت (أبي بشير)
أناجيه بآمالي وحالي وأستفثيه عن شعبي الكسير

حتى يقول :

ودع عنك التشاؤم فهو وهم وهم ليس يجمل بالبصير

وإن اتخذت نزعة التشاؤم منعرجا نحو التزوع الى التصوف، فقد أبقى الشاعر على كوة الأمل الواسعة في خير وطنه ومستقبله في عهد الاستقلال، وهو ما عبّر لنا عنه تعبيرا مباشرا سنة (1972 م) حين قال : « كيف أتشاءم (الآن) في عهد تحررت فيه بلادي، وأحرز الشعب على استقلاله، لم أكن أتصوّر أنني سأعيش حتى أشهد الاستقلال »⁽⁵⁾.

هذا جانب مما يلفت النظر والفكر بوضوح في ديوان (العيد) إلى جانب ثورياته واجتماعياته وغيرها أيضا، لكنّ الذي يبقى جليا عبر مختلف أقسام الديوان هو ذلك الشعور الإسلامي الفياض، والإحساس العميق بالانتماء للأمة العربية، حيث تبدو العروبة والإسلام محور تفكيره وانفعاله بالقضايا والأحداث، سواء منها ما تعلّق بالجزائر أو بسواها.

هو الإيمان القومي الذي نجده يتواجد لأدنى سبب في قصيدة أو في مقطوعة زيادة على القصائد التي يكون موضوعها، في مثل الحديث عن أقطار عربية وإسلامية عموما، أو قضاياها المختلفة.

(4) - تذكّر هذه الفراشة (بوبشير) لاعتبارها طائرا صغيرا، ووتوّث (أم بشير) لاعتبارها فراشة كبيرة.

(5) - د : عمر بن قينة، شخصيات جزائرية، مطبعة (البعث) ط : 1، الجزائر، 1403 هـ (1983) ص : 93.

والانتماء للعروبة لديه جزء أساسي من الانتماء القوي الأشمل للأمة الإسلامية، كما أنه لا عروبة بلا إسلام، وهو انتماء أبدى طموحا في نفس الشاعر إلى وحدة رشيدة تكون مصدر المنعة والقوة والغلبة في النهاية :

نبي العروبة من جديد قلعة من حولها قصف المدافع يرعد
فلتحي وحدتنا بها في منعة ومن المحيط إلى الخليج تمدد
وليحي في ظل العروبة ودنا ملء القلوب وعهدنا المتأبد
لهذا يعلن الشاعر إيمانه بضرورة الوحدة كحتمية تاريخية لمغادرة التخلف نحو العزة
والمجد والسؤدد :

ومن مطلبي جمع العروبة كلها على وحدة عظمى بشرق ومغرب
وحين يتحدث عن بلده (الجزائر) يربط ذلك بمحيطها العربي والإسلامي خاصة في
المناسبات الكبرى، فيقول عنها :

بين المشارق والمغارب إخوة لك عصابة بقلوبهم والأذرع
مدوا إليك بها جبال إخوانهم فصلي جبال إخوانهم لا تقطعي
وهذا الموقف غير مفصول عن تفكيره الإسلامي الذي لا يرى أي خيار للشعب
الجزائري أو « الأمة الجزائرية » خارج محيطها الإسلامي :

تأبى سوى الإسلام فيها مهيمًا لسلوكتها أعظم به من مهيع
من نفس الرؤية يدعو المسلمين جميعا للنهوض مسترشدين بدينهم الذي هو دين عمل
وقوة وعزة ومجد :

بني الإسلام أحيوا الدين أحيوا شعائره وأوفوا بالعقود
فدين محمد دين الترقّي ومجد محمد مجد الخلود
من هذا المنطلق يؤكد في مواضع مختلفة من الديوان هذا الانتماء لأمة عربية
إسلامية بتكامل العنصرين لاتنافرهما، في مثل قوله :

يسألني عن نسبي كل وافد عليّ وعن شعري وعن كنه مطلبي
فقلت لهم أرض العروبة موطني وديني هو الإسلام والقادة النبي

يعلن ذلك دونما تعصب أعمى عرقيا أو دينيا، وإن هو رأى الجامع بين العرب اللغة العربية زيادة على روابط الدين والأرض والتاريخ، فهو يرى أنها بدورها لغة القرآن التي يجعلها بل يقدّسها غير الناطقين بها من المسلمين في معظم أقطارهم حيث يعتبر الإسلام واجبا « وجوب المقاصد، وهي واجبة وجوب الوسائل »⁽⁶⁾ بتعبير (فضيل الورتلاني) ومن ثمّ فهي دعامة لهذا الانتماء الإسلامي وليست أداة لتزوع عنصري :

في الدين والدم واللسان أواصر مايننا تقضي بكلّ وثام
 مالعنصرية غير داء مزمن صعب العلاج ومعول هدام
 فدعوا الهوى، والعاكفين على الهوى إنّ الهوى صنم من الأصنام

ومهما يكن من شيء فإنّ المتصفح ديوان (محمد العيد) يدرك بوضوح تنوع الموضوعات واختلاف المستويات الفنية : جودة وضعفا في التجربة الشعرية التي استمرت لديه نصف قرن، في إطار بيئته ومحيطه، ولم يشنه كثيرا في ذلك الشكل التقليدي، لأنّه أيضا لم يأسره نهائيا في قوالب جاهزة ، قد عزز الإيمان والصدق والواقعية مكانته الشعرية، وهو الذي عبّر بإخلاص عبر قضايا ووصف أوضاعا ومناسبات كما مدح الرسول (ص) وغيره من أعلام تاريخ وفكر، وشخصيات دينية، مثلما مدح وطنه الأصغر (الجزائر) ووطنه الأكبر (العربي) وتغنّى بهما، كما مدح أمته الإسلامية الكبرى بحبّ ووفاء تام.

كل ذلك بلغة الودّ الصادق والرغبة الجادة في التبليغ، لا لغة الزخارف والأصباغ التزييفية واللّهو اللفظي والشعوذة الفكرية.

(7) فإن كنت تجد نفسك - إذن - في الركام الشعري المختلف، المتعدد الوجوه أمام تجارب لشعراء آخرين لا يتعدى عمل بعضهم أشكالا تنعت بصفة (الاستمناء الأدبي) غير الموجّه لأحد، أو لقضية خارج رغبة الإفراز المجردة فإنّك واجد في شعر (العيد) طابع المعاناة، ونية التوصيل والتبليغ العام التي ترفض أن يكون تبليغا لفئة محدودة في إطار إيديولوجي ضيق.

(6) - الفضيل الورتلاني، جريدة البصائر، سلسلة أولى، ع : 16. الصادر في 2 صفر 1355 هـ (24) أبريل - د.
 1936 (الجزائر).

ليس المعيار الفني هنا إذن محدداً بأشكال معينة في التجديد ولا محصوراً في قوالب تقليدية زخرفية أيضاً، بل يتجاوز الأشكال والزخارف المصطنعة، والأصباغ والشطحات البهلوانية بالألفاظ كما هو شائع عند بعض إلى الأنفعال بالحدث وحسن التعبير عن التجربة وجودة بنائها، والأثر في المتلقي، وهذه نقطة أساسية في العملية الإبداعية حيث ينحو الأثر نحو الإيجاب بدخول المتلقي في حالة شعورية ذهنية، فكرية روحية حين يشارك الشاعر التجربة وينفعل بها معه، ممّا يخولنا القول : إنَّ التجربة ناجحة، وهو نجاح غير متظر في غياب الصدق الفكري والواقعي، والفني، وقوة العاطفة في ذلك، وصدق الانفعال وجودة التبليغ، وهي عناصر تتوقف عليها في النهاية عملية الإفادة والإمتاع، وحصول « النذة الفنية » أو « الطرب الفني » بتعبير (ج. ب. سارتر) وهو ما توفّر على جانب منه (محمد العيد) في شعره الذي كان شاهداً أميناً صادقاً عن جوانب مختلفة في الحياة على أتمامه، فكان اللسان الصادق والنغم المتميز في (صوت الجزائر) المعبر عن روحها وانتمائها الحضاري.

فلا عجب بعد كلّ هذا أن يكون محور شعره ذلك الشعور بالانتماء الأكبر للعروبة والاسلام : موطننا وهوى.

لقد غرّد (محمد العيد) طويلاً للجزائر، وللوطن العربي والعالم الإسلامي، فأعطى الشعر والوطن خمسين سنة⁽⁷⁾ من عمره، إنتاجاً وعملاً ونضالاً فكرياً مستميتاً، ولم يتوقف إلا بعد أن زحفت عليه متاعب صحية مختلفة، حاول في الذكرى العاشرة للاستقلال (1972) أن يتجاهل طلائعها المكثفة الجادة جداً لينجز آخر قصيدة له محيياً العاملين الجادين داعياً الجيل الجديد للعمل والإخلاص

(7) - مما كتبه وهو في العشرين من عمره (أي سنة 1924 م) :

- أسطر الكون

- صدر الصحراء.

وهما قصيدتان ناضجتان تدلان على أنّ هناك تجارب شعرية سابقة للشاعر، قبل العشرين من عمره، ولم تنشر هذه التجارب في إitanها لأسباب مختلفة، لم يضمها الديوان أيضاً لتلك الأسباب وغيرها أيضاً، كضياعها أو الإكتفاء الشاعر بما سبق نشره في الصحافة عموماً وأتداولة التلاميذ والأصدقاء. ثمّ اكتفاء في النهاية بما ضمّه ديوانه في الأخير لقوله ذات يوم بالخصوص :

إنّ الديوان ضمّ أكثر شعري، ومالم يتضمّه الديوان لا يخل في شيء .

- د. عمر بن قينه شخصيات جزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة (الجزائر) 1983 م ص : 92

أنظر أيضاً : صوت الجزائر في الهامش التالي، رقم (4)

ني
أمّتحان
مثلى دعاني

يعلن ذلك دونما تعصب أعمى عرقيا أو دينيا، وإن هو رأى الجامع بين العرب اللغة العربية زيادة على روابط الدين والأرض والتاريخ، فهو يرى أنها بدورها لغة القرآن التي يجعلها بل يقدّسها غير الناطقين بها من المسلمين في معظم أقطارهم حيث يعتبر الإسلام واجبا « وجوب المقاصد، وهي واجبة وجوب الوسائل »⁽⁶⁾ بتعبير (فضيل الورتلاني) ومن ثمّ فهي دعامة لهذا الانتماء الإسلامي وليست أداة لتزوع عنصري :

في الدين والدم واللسان أوامر مايننا تقضي بكلّ وثام
 مالعنصرية غير داء مزمن صعب العلاج ومعوّل هدام
 فدعوا الهوى، والعاكفين على الهوى إنّ الهوى صنم من الأصنام
 ومهمايكن من شيء فإنّ المتصفح ديوان (محمد العيد) يدرك بوضوح
 تنوّع الموضوعات واختلاف المستويات الفنية : جودة وضعفا في التجربة
 الشعرية التي استمرت لديه نصف قرن، في إطار بيئته ومحيطه، ولم يشنه كثيرا
 في ذلك الشكل التقليدي، لأنّه أيضا لم يأسره نهائيا في قوالب جاهزة ، قد
 عزز الإيمان والصدق والواقعية مكانته الشعرية، وهو الذي عبّر بإخلاص عبر قضايا
 ووصف أوضاعا ومناسبات كما مدح الرسول (ص) وغيره من أعلام تاريخ وفكر،
 وشخصيات دينية، مثلما مدح وطنه الأصغر (الجزائر) ووطنه الأكبر (العربي)
 وتغنّى بهما، كما مدح أمته الإسلامية الكبرى بحبّ ووفاء تام.
 كل ذلك بلغة الودّ الصادق والرغبة الجادة في التبليغ، لا لغة الزخارف
 والأصباغ التزييفية واللّهو اللفظي والشعوذة الفكرية.

فإن كنت تجد نفسك - إذن - في الركام الشعري المختلف، المتعدّد
 الوجوه أمام تجارب لشعراء آخرين لا يتعدّى عمل بعضهم أشكالا تنعت بصفة
 (الاستمناء الأدبي) غير الموجه لأحد، أو لقضية خارج رغبة الإفراز المجردة
 فإنّك واجد في شعر (العيد) طابع المعاناة، وتيّة التوصيل والتبليغ العام التي
 ترفض أن يكون تبليغا لفئة محدودة في إطار إيديولوجي ضيق.

(6) - الفضيل الورتلاني، جريدة البصائر، سلسلة أولى، ع : 16، الصادر في 2 صفر 1355 هـ (24) أبريل - د. عم
 1936) الجزائر.

ليس المعيار الفني هنا إذن محدداً بأشكال معينة في التجديد ولا محصوراً في قوالب تقليدية زخرفية أيضاً، بل يتجاوز الأشكال والزخارف المصطنعة، والأصباغ والشطحات البهلوانية بالألفاظ كما هو شائع عند بعض إلى الأنفعال بالحدث وحسن التعبير عن التجربة وجوداً بنائها، والأثر في المتلقي، وهذه نقطة أساسية في العملية الإبداعية حيث ينحو الأثر نحو الإيجاب بدخول المتلقي في حالة شعورية ذهنية، فكرية روحية حين يشارك الشاعر التجربة ويفعل بها معه، مما يخولنا القول: إن التجربة ناجحة، وهو نجاح غير متظر في غياب الصدق الفكري والواقعي، والفني، وقوة العاطفة في ذلك، وصدق الانفعال وجوداً التبليغ، وهي عناصر تتوقف عليها في النهاية عملية الإفادة والإمتاع، وحصول « الندة الفنية » أو « الطرب الفني » بتعبير (ج. ب. سارتر) وهو ما توفّر على جانب منه (محمد العيد) في شعره الذي كان شاهداً أميناً صادقاً عن جوانب مختلفة في الحياة على أيامه، فكان اللسان الصادق والنغم المتميز في (صوت الجزائر) المعبر عن روحها وانتمائها الحضاري.

فلا عجب بعد كل هذا أن يكون محور شعره ذلك الشعور بالانتماء الأكبر للعروبة والاسلام: موطننا وهوى.

لقد غرّد (محمد العيد) طويلاً للجزائر، وللوطن العربي والعالم الإسلامي، فأعطى الشعر والوطن خمسين سنة⁽⁷⁾ من عمره، إنتاجاً وعملاً ونضالاً فكرياً مستميتاً، ولم يتوقف إلا بعد أن زحفت عليه متاعب صحية مختلفة، حاول في الذكرى العاشرة للاستقلال (1972) أن يتجاهل طلائعها المكثفة الجادة جداً لينجز آخر قصيدة له محيياً العاملين الجادين داعياً الجيل الجديد للعمل والإخلاص

(7) - مما كتبه وهو في العشرين من عمره (أي سنة 1924 م) :
- أسطر الكون

- صدر الصحراء.

وهما فصيحتان ناضجتان تدلان على أنّ هناك تجارب شعرية سابقة للشاعر، قبل العشرين من عمره، ولم تنشر هذه التجارب في إبانها لأسباب مختلفة؛ لم يضمّها الديوان أيضاً لتلك الأسباب وغيرها أيضاً، كضياعها أو الإكتفاء الشاعر بما سبق نشره في الصحافة عموماً أو تداوله التلاميذ والأصدقاء، ثم اكتفاء في النهاية بما ضمّه ديوانه في الأخير لقوله ذات يوم بالخصوص :

إنّ الديوان ضمّ أكثر شعري، ومالم ينضمّه الديوان لا يحل في شيء »

- د. عمر بن قينة شخصيات جزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة (الجزائر) 1983 م ص : 92

أنظر أيضاً : صوت الجزائر في الهامش التالي، رقم (4)

فيه، وفاء لأجيال التضحية والفداء، وكان راضيا عما استطاع أن يخدم به وطنه، قانعا بوضعه، وهو الذي عزف عن الملذات، ولم يكن من فئات انتهازية مختلفة جنت مطامعها ومطامحها المادية، وتنوعت مآربها وأغراضها المختلفة، فقنع بحصول الحلم الجميل، في أن يرى وطنه مستقلا ظافرا بحرية طالما غازلها أو غازلته سرا وعلانية، رمزا ومباشرة.

وقد أبقى على هذا الحب المقدس للوطن في النفس حتى آخر لحظة من حياته، حين لقي ربه، سعيدا راضيا، بعد ما « ... أدى بجهد وبشعره رسالة نضالية مضنية، وإن لم يتوفر في شعره فن رفيع كما ينتظره البعض (وذلك من طبيعة الظروف والمرحلة التي نشط فيها)، فقد توفّر فيه التأثير القومي والنضالي، والموقف الواضح في التوعية والصدق الخالص في التعامل مع التجربة الفنية، ونقلها مفعمة بالحرارة والحب، إلى قارئه في الجزائر وخارجها.. في وطنه الأكبر.. وطن العروبة والإسلام»⁽⁸⁾

فديوانه إذا كتعلم فكري بارز ورصيد وطني هام جدير بكل عناية ورعاية ومن الوفاء لقيم العمل والتضحية والاخلاص ورسالة الشعر والأدب والفن أن لا يحرم منه القارئ العام والطالب والأستاذ والباحث في طبعة جديدة بعد نفاذه من رفوف المكتبات ..

ومن الله الجزاء .. وبه التوفيق.

عمر بن قينه

الجزائر 27 - 08 - 1992 م

(8) - د. عمر بن قينه، صوت الجزائر في الفكر العربي، محفوظ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 36

الملحق رقم 3: ملحق خاص بمحتويات ديوان محمد العيد آل خليفة.

اعتراف بحميل

سيحمد ديواني لـ «أحمد طالب»
يبدأ منه طولي قدّمته لينشرا
تحمل أعباء الوزارة قادرا
فأورد عن رأي سديد وأصدرا
ووكّل بالديوان أكفأ نخبة
بتبصرة أعطى بها القوس من برى
لقد أدلجت والصدق رائد ركبها
فلا ريب عند الصبح أن تحمد السرى

بكرة في ١٠ شعبان ١٣٨٥ هـ - ٨ ديسمبر ١٩٦٥ م.

محمد العيد آل خليفة

الفهرس

37	آفة العين	5	مقدمة
40	المرء في حقيقته المجردة	7	التقديم
41	أين ليلاي	10	البهاء زهير ينشر
43	قوس قزح	12	فاتحة ثناء وابتهاال
45	ياليل	14	<u>ادبيات وفلسفيات</u>
49	يا هزاري	17	الاهداء
51	الشعر و الادب	20	يادار
52	وصف فوارة	23	اسطر الكون
54	يا فؤادي	24	صدى الصحراء
56	جمال الريف	26	هذه خطوة
58	صوت من الغيب	28	وقفه على بحر الجزائر
62	اقتران اصدقاء	31	بين الشك والتشكي
63	يا بحر	33	الصحو
68	زلزلة الاصنام	34	لوح الخيال
	<u>اسلاميات وقوميات</u>		عامان مقبل ومدبر
75	ذكرى المولد النبوي		منظر تاعس ناعس
79	تحية دار الحديث		وداد
83	براك الله للذكرى حساما		شاعرية الرصافي
			دمعة على القمر الخاسف

169	بشرى البراءة	85	هذيان آشيل
174	يا أمة الخير	87	تحية الشهاب للشباب
176	ويخلد الاسلام	89	يا معشر الطلاب
181	فتح جديد	92	تحية ايها النادي
185	رعد البشائر	94	يا قوم
190	اعزم السير	96	تحية جريدة السنة
192	وداع الحجاج (٢)	99	عيد الحرم
194	الترحيب بالحجاج	102	دعاة الى الحسنى
198	سلوا التاريخ	105	تحية مجلة نور الاسلام
202	الى العلم	108	تحية الشيبية
206	تهنئة الأزهر بشيخه الجديد	112	هيات يخزى المسلمون
211	بشرى للجزائر	115	ايها السامر
214	تحية المسلم الجديد	117	في أذن الشرق
216	في يوم باتنة العظيم	122	حمتك يد المولى
220	تحية شاعر الى الرئيس عبدالناصر	125	تحية ووصية
226	العروبة أمثنا الكبرى	129	حزب مصلح
231	يا فتية العلم شدوا العزم	132	رفاق الخير
233	دعائك الأمل	135	بلادي
238	الثورة العظمى كسبنا نصرها	140	كلمة في الرسالة
	<u>اخلاقيات وحكميات</u>	143	استوح شعرك
247	تحية العلماء	151	شهر الصيام
250	ايها الرافعون القصور	156	ختمت كتاب الله
254	في ظلال الخير	162	وداع الحجاج (١)
258	دار الخيرية	166	أنشودة الوليد

315	ياوادي السان	259	يا شباب
317	بعد هذا	262	إذا كان صوت الحق
319	يا وفد سائل فرنسا	265	هذه قمة الفتوة
320	من الشعر الرمزي	274	تارك الصلاة
322	كن قويا	275	تارك الزكاة
325	لا أنسى	276	فوض الى الله
328	هيجت وجدى	277	وعظ دقائق القلوب
333	جد في هزل	278	متى أنت راجع
334	فلسطين العزيزة	279	فتاة العصر
336	خطر العلم على البشرية	280	كن أبدأ مع الابرار
339	ياقوم هبوا	281	الخمير
344	يا مصر	282	يا ابن الليل
347	بلادنا أسيرة		<u>اجتماعيات وسياسيات</u>
348	استقلال ليبيا	285	باخرة الموت
351	اطلال	288	يا نفس
354	استقلال السودان	291	هذه جذوة
358	كلام الناس	294	يا فرنسا
	<u>اللزوميات</u>	295	هل من جديد
361	إيراد وإصدار	296	يا شرق
362	الدنيا	299	يا وفد
363	خلا القلب	303	ذكرى المؤتمر
364	وليت نحوك وجهي	306	يوم الشعب
366	يا قلب	311	تقريظ كتاب محمد عثمان باشا
368	لو...	314	تقسيم فلسطين

401	له خبر	369	جولة طرف
403	ذكرى زفاف	371	مع الشمب
404	سلبت روايتك النهى	372	مالي وثلاذى
406	قدوة للشباب	373	وداع رمضان
408	شاعران يلتقيان	374	بني التاميز
409	ان الحجى نعم العطى	375	الحق
410	تهنئة الرئيس الإبراهيمى	376	سر الكون
412	بين أستاذ وتلميذه	377	الناس
413	اديبان يزوران الشاعر	378	ضيف كريم
414	شهر الصوم	379	تفاؤل
	<u>الشوريات</u>	380	رهين المحابس
		381	فتنة الوجوه
417	صرخة ثورية	382	المسجونون من العلماء
420	من للجزائر	383	يا فؤاداً
422	مناجاة بين أسير وأبى بشير	385	ابن آدم
425	ابا المنقوش	386	جاهل نفسه
427	صوت جيش التحرير	387	يا عام
430	ثورة بنت الجزائر		<u>الاخوانيات</u>
432	تهنئة الجيش وتحية العلم	391	بين كاتب وشاعر
435	وقفه على قبور الشهداء	392	بين عالم وشاعر
438	الذكرى العاشرة لفاتح نوفمبر	395	باقة شعر
442	علم الجزائر	396	بين اميرين
443	من وحي الثورة	398	هنيئاً
		400	بين شاعرين

<u>المتفرقات</u>		<u>المراثي</u>	
515	ه يوليه	449	رثاء رشيد
»	الضيف الثقيل	451	ابي صديقي الجلالى
516	كدر	454	رثاء حافظ ابراهيم
»	هزات أرضية	457	الى روح شوقى
517	تشطير لبستي الرؤوس	460	قصة شهيدين
»	ويح الشيوخ	463	الوداع الوداع
418	ويح الشباب	466	في ذمة الله يا خالد
419	سحر البيان	467	رثاء غازي الأول
»	احتساب المعلم	470	عزاء لتركيا
520	رسم الامام ابن باديس	471	رثاء رشيد بطحوش
»	مثال التآخي	474	يا قبر
521	صورة شوقي	475	دمعة منهمة
»	صالح الاعمال	479	تأبين الشاذلي خز ندار
522	ضحك الناس	482	فقدنا مليكاً عادلاً
»	في حافلة عمومية	485	عزاء في فجيعتنا
523	انشودة حلوة الغنة	488	ابت النفس
524	الوعد المكذوب		
»	وعد تحقق		
525	يا كامل	493	ذكري شاعرين
»	العيد	497	عاش وقفاً على الجزائر
526	رجاء	501	يا رائد الشعب
527	تعلم	506	أهلاً وسهلاً بالأمير
	تفاوت الكتاب	510	فابشر يا بن محي الدين
			<u>الذكريات</u>

	<u>الالفـاز</u>	528	الرحالة المسلم الكبير
555	لغز ادبي	529	الرحالة التركي
557	لا النافية	»	قلعتنا
558	اللغز	530	العلم المرجى
559	لغز في الطربوش	»	ابن النار
560	لغز في الاذن	531	ومن يخلد الى العلماء يخلد
561	لغز في الاسنان	533	مناجاة شعرية
562	لغز في التعلين	535	سامضي واترك شعري
563	لغز في قريون	536	يا سامر الانس
564	الجارية السوداء	538	حسن الظن بالله
	<u>الانـشـيد</u>	»	هدى وشفاء
		539	الاعمى
567	نشيد كشافه الرجاء	»	قلعة الشيبية
568	نشيد الشباب	540	مراحل ديواني
570	نشيد كشافه الاقبال	541	هي الهمة القمصاء
571	نشيد كشافه الصباح	543	عز الاوطان
572	نشيد الاخوان	544	رسم تاريخي
574	نشيد نساء الجزائر	»	قومي بنو الاسلام
576	نشيد مدرسي	545	امام داع وشباب واع
578	نشيد عقبة	546	الاقلام اسلاك المناجاة
581	امير المؤمنين	548	يسألونني
585	المجد اللبناني	549	كلمة الشكر
587	اعتراف بجميل		

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم. برواية حفص.

- 1- الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ،بيروت ،لبنان
- 2- أثر النحاة في البحث الدلالي، عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، دط، دت.
- 3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تفسير أبو سعود، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1414هـ
- 4- الأدب ، رينيه وارين وبيك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، د ط، 1987م.
- 5- أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، لبنان، ط1، 1426- 1427هـ، 2006م.
- 6- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد الله محمد هارون، مكتبة الخانجي، بمصر، ط2، 1979م
- 7- استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية لغوية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديدة بيروت لبنان، ط، 1 2004 م .
- 8- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد شاکر ، مطبعة المدني بالقاهرة، دت
- 9 - الأصول دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1430هـ-2000م.
- 10- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نخلة، دار المعرفة الجامعية مصر (د ط) 2002
- 11- الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، علي محمود حجي ، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب القاهرة ط1، 2008م.

قائمة المصادر والمراجع

- 12- أوضح المسالك في شرح ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري ، تح :مصطفى السيقا ، إبراهيم الأنباري عبد الحفيظ شلي دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ط6، /1980م.
- 13- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني ، شرح وتعليق، وتنقيح ،محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب
- 14- البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 2003م.
- 15- البحوث في اللسانيات العامة ، رومان جاكسون، تر: علي حاكم وحسن ناظم ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2002م.
- 16 - البرغماتية الفائداتية، دنحا طوبيا كوركيس، جامعة جدار للدراسات العليا، الأردن، د ط، د.ت.
- 17- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ،دار الجيل بيروت ،لبنان ، 1988م ،
- 18- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، 1965 م
- 19- بلاغة الخطاب وعلوم النص ،أديبات، صلاح فضل ،الشركة المصرية العالمية، لون جمان ، إشراف محمود مكي علي . ط 1 .1996م.
- 20- البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها. محمد العمري ، إفريقيا ،الشرق و المغرب، د ط ، 1999.
- 21- البيان و التبيين ، الجاحظ، تحقيق درويش جويدي ، المكتبة العصرية ،بيروت ، ط1 / 1999م
- 22- التحرير والتّوير، محمد طاهر بن عاشور، ، ط2 الدار التونسية للنشر، تونس 1984.
- 23- تحرير الخطاب الشعري(إستراتيجية التّناص)، محمّد مفتاح ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، 1992.

قائمة المصادر والمراجع

- 24- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمد عكاشة، دار النشر للجامعات، ط1، 2005م
- 25- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، عمر بلخير، منشورات الاختلاف ط1، 2003م
- 26- التداولية عند العلماء العرب ، مسعود صحراوي ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، بيروت، دار الطليعة ، 2005م .
- 27- التداولية من أوستين إلى قوفمان ، فليب بلا نشيه : تر: صابر الحباشة ، دار الحوار ، سورية، اللاذقية ، ط2، 2007م .
- 28- التداولية والحجاج ، مداخل ونصوص، صابر الحباشة ، صفحات للدراسات والنشر سورية - دمشق- ، ط1، 2008م .
- 29- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن رو بول وجاك موشلار، ترجمة ، سيف الدين زغفوس ومحمد الشيباني دار الطليعة ، بيروت - لبنان ، ط1 / 2003م.
- 30- تفسير الإمامين الجليلين للقران الكريم، جلال الدين السيوطي ، وجمال الدين المحلي: ، حققه ونسقه الشيخ محمد الصادق القمحاوي، مكتبة رحاب، الجزائر.
- 31- تفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء، مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف، بإشراف صالح بن عبد العزيز بن محمد آل شيخ، ط2، 1430هـ / 2009م.
- 32- التفكير البلاغي عند العرب، أسسه و تطوره، منشورات ، حمادي صمود، الجامعة التونسية، د.ط، 1981م.
- 33- التفكير اللغوي الدلالي عند علماء العربية المتقدمين، حمدان حسين محمد ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 2002م .
- 34- التوليد الدلالي في البلاغة و المعجم، محمد غاليم، دار توبقال للنشر، ط1، 1987م.

قائمة المصادر والمراجع

- 35- جامع الدروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة جديدة منقحة، 2009 م.
- 36- الجمل في النحو، الزجاجي، حقّقه وقَدّم له، علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ط2، 1985م
- 37- الجملة العربية في اللّغة العربيّة، أحمد المتوكل، منشورا عكاظ، الرباط، المغرب، 1988م
- 38- الحيوان، الجاحظ، تح، يحي الشامي، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط3، 1977 م.
- 39- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن الجني، تح الدكتور عبد الحميد الهنداوي، دار الكتاب العلمية بيروت ط2.
- 40- - الخصائص، ابن الجني، تحقيق عبد الحكيم بن محمد المكتبة التوفيقية، 1418هـ
- 41- خصائص الأسلوب في " الشّوقيات"، محمد الهادي الطرابلسي، المطبعة الرسمية، تونس 1981
- 42- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر جرجاني، تحقيق محمّد شاكر، مطبعة المداني بالقاهرة ط3 (1431هـ/ 1992م).
- 43- ديوان محمّد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1992 م
- 44- الشّعر و الشّعريّة؛ الفلاسفة والمفكرون العرب، وما أنجزوه و هفوا إليه، محمّد لطفي اليوسفي، الدار العربية للكتاب، د ط، 1992م.
- 45- شرح ابن عقيل على ألفية مالك ومعه كتاب منحة الجليل، محمد محي الدين عبد الحميد، بتحقيق شرح ابن عقيل، القاهرة، ط2، 1961م.
- 46- شرح الكافية، الرضي الاستريادي، دار الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1979م
- 47- شرح المفصل، ابن يعيش، مكتبة المتنبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج1، 1940م
- 48- الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، لبنان، ط1، 1993م

قائمة المصادر والمراجع

- 49- الصّورة الشّعريّة في الخطاب البلاغي والنقدي، الولي محمد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب، 1990م.
- 50- علم الدلالة، أحمد مختار، عالم الكتب القاهرة ، ط 5 ، 1998م
- 51- علم اللغة الاجتماعي، هديسون، تر/ محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط 3 ، 2002م
- 52- علم اللّغة نشأته و تطوره، محمود جاب الرّب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985م
- 53- علم النّص، مدخل متداخل الاختصاصات، فان ديك، ترجمة وتعليق محمد سعيد البحيري، القاهرة، ط1 2001م.
- 54- علم الكلام و النظرية البلاغية عند العرب، محمد التّويري، دار محمد علي الحامي صفاقص، ط1، 2001م
- 55- العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق، حققه وفصله ، وعلّق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، ط5 ، 1981 م .
- 56- عندما نتواصل نغير " ، عبد السلام عشير مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2006 م.
- 57- عيار الشّعر، ، ابن طباطبا، حققه عباس عبد الستار راجعه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1982م
- 58- الفروق اللّغوية، أبو الهلال العسكري، ضبط وتحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتاب العلمية الطبعة الأولى بيروت 1401-1981م.
- 59- فلسفات التربية ، ناصر إبراهيم ، عمان ، دار وائل للنشر والتوزيع ، ط2، 2004م
- 60- الفلسفة و التواصل، عز الدين خطابي ، الرهان والممكن ، مجلة فكر ونقد، العدد 39، دت.
- 61- الفلسفة المعاصرة في أوروبا، بوشنسكي، ترجمة : عزّت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني الأعلى للثقافة ، الكويت، 1992م.
- 62- الفوائد ، ابن قيم الجوزية، المكتبة الثقافية، بيروت، ط1، 1993م

قائمة المصادر والمراجع

- 63- في اللسانيات التداولية ، خليفة بوجادي، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، ط1، 2009م
- 64- في البلاغة العربية (علم المعاني) ، محمد أحمد نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
- 65- قاموس المحيط، الفيروز آبادي، محمد مجد الدين بن يعقوب محمد ابن إبراهيم الشيرازي الشافعي (ت817هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1، 1995م.
- 66-- قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ، إميل يعقوب و آخرون ، عربي انجليزي فرنسي، دار العلم للمليين ، بيروت ، ط1 ، 1987م.
- 67- قضايا شعرية ، رومان ياكسون، دار توبقال للنشر، دط ، 1988م
- 68- قضايا اللّغة العربيّة في اللّسانيات الوظيفية ، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط المغرب، ط1، 2001م.
- 69- الكامل، المبرد، عرضه بأصوله وعلّق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر ، د.ت.
- 70- الكتاب ، سيويه، أبو بشر، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجليل ، بيروت ، ط1 ، 1991م.
- 71- كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي التهاوني، وضح حواشيه أحمد حسين شيخ ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1 ،، مج3، 1991
- 72- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، الزمخشري، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ، د.ت.
- 73- لسان العرب، ابن منظور ، دار صادر، بيروت لبنان، تحقيق عامر أحمد حيدر، ومراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم ط3، 1999م.
- 74- اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م

قائمة المصادر والمراجع

- 75- اللّسانيات المجال و الوظيفة والمنهج، سمير شريف، علم الكتب الكويت ، جدار للكتاب العالمي ، /1425هـ ط2 2008م/ 1429هـ .
- 76- اللّسانيات وأسسها المعرفية ، عبد السلام المسدي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر أوت 1986م.
- 77- اللّسانيات والتّواصل ، عمر وكان، دار إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء - المغرب، ط1 ، 2001م
- 78- اللّسانيات والدلالة، مركز الأنماط الحضاري، منذر العياشي، ط 1 ، 1991م
- 79- اللّسانيات الوظيفية ، أحمد المتوكل مدخل نظري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط2، 2009م
- 80- اللّغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، عالم الكتب للنشر والتوزيع و الكتابة ، ط2، 1998م .
- 81 - اللفظ والمعنى بين الإيديولوجيات و التأسيس المعرفي للعلم، طارق النعمان ، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1994م.
- 82- مبادئ في اللّسانيات ، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصة للنّشر ،الجزائر ، ط 2 ، 2002م.
- 83- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ابن الأثير ، تحقيق محمد محي الدين ،المكتبة للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ، ج1، ص3 ، 1990م.
- 84- مختار الصّحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي، عُني بترتيبه محمود خاطر بك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع طبعة 1401-1981م./ دار الجيل، بيروت، لبنان، 1987م
- 85- معجم التعريفات، محمّد السيّد الشّريف الجرجاني ، ، تح، و دراسة محمد صديق دار الفضيلة للنشر، والتوزيع، ط2، 2004م.

قائمة المصادر والمراجع

- 86- معجم العين ، أحمد خليل الفراهيدي ، تحقيق مهدي المخزومي ، دار الرشيد ، بغداد 1980م.
- 87- المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، دط، 2001م
- 88- المعنى وظلال المعنى : أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، ط2، دار المدار الإسلامي ، بيروت - لبنان ، 2007م،
- 89- مفتاح العلوم ، السكاكي ، علق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط2، 1987 م.
- 90- مقدمة لدراسة التراث المعجمي ، حلمي خليل ، دار الهدى العربية للطباعة والنشر ، ط1، 1997م
- 91- معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة السور السبع الطوال أمودجا، سعيد فاهم، دراسة دلالية معجمية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية بالجزائر جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب و اللغات 2012م
- 92- منهج الأصوليين في بحث الدلالة اللفظية و الوضعية، مولود السريري ، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
- 93- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تقويم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986م.
- 94- المستصفي، الغزالي، ضمن كتاب مفهوم السببية عند الغزالي أبو يعرب المرزوقي، دار أبو سلامة للطباعة تونس ج1، ط1. دت.
- 95- المنهاج في الترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي ، تح، عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، ط2 المغرب 1987م.

قائمة المصادر والمراجع

- 96- المقاربة والتداولية ، فرانسوان أرمينيكو، ترجمة سعيد علّوش، الرباط ،مركز الإنماء القومي ، 1986م،
- 97- المقتضب، المبرّد، تحقيق، عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
- 98- المعاجم اللّغوية في ضوء دراسات علم اللّغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، ط1، 1996م. تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، نوري حمودي القيسي، يونس أحمد السّامري، نصوص أدبية، ط1.
- 99- المنجد في اللّغة و الإعلام، معلوف لويس، دار المشرق، بيروت ، لبنان، ط31، 1991م.
- 100- المنهاج في القواعد و الإعراب ، محمّد الأنطاكي ، دار الشّرق العربي للطّباعة والنّشر ، ط1، 2005م.
- 101- موطأ، الإمام مالك، رواية يحيى بن يحيى اللّيثي، إعداد راتب عرموش، دار النّفائس للطباعة والنّشر، ط12، 1414 هـ / 1994م.
- 102- نظرية أفعال الكلام العامّة، جون أوستن ، ت ر: عبد القادر قنيني، دار البيضاء إفريقيا الشماليّة، 1991 م
103. - نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين، والبلاغيين العرب ، طالب سيد هاشم الطبطّائي، منشورات جامعة الكويت، 1994م
- 104- التّظريّة الحجاجية، محمد طروس، من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار الثقافة ،الدار البيضاء ، ط 1 ، 1426 هـ / 2005 م
- 105- نظرات في التراث اللّغوي العربي، عبد القادر المهدي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993م.
- 106- نظرية اللّغة في النقد الأدبي، عبد الحكيم راضي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م.

قائمة المصادر والمراجع

- 107 – النظريات اللسانية الأدبية و البلاغية، من خلال البيان و التبيين، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
- 108- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي ، فان ديك، تر: عبد القادر قنيبي، الدار البيضاء ، المغرب ، 2000م.
- 109- نظرية اللغة والجمال والنقد العربي، تامر سلوم، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية، سورية (د.ت).
- 110- الوظائف التداولية في اللغة العربية المقاربة المعيار، أحمد المتوكل، منشورات الاختلاف، ط1، 2016م

المراجع باللغة الأجنبية :

1- jaque Moeschler - Anne Reboul. Dictionnaire Encyclopedique.de pragmatique. Edition seuil 1994.

المجلات والدوريات:

- 1- تحليل الخطاب الشعري، رثاء صخر نموذجاً، نور الدين السد، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، العدد 8، 1996م.
- 2- الحجاج والاستدلال الحجاجي ، حبيب أعراب، مجلة علم الفكر .العدد1. المجلد 30
- 3- تداولية الاستعارة من خلال أسرار البلاغة ، خليفة بوجادي ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد الخامس، 2013م.
- 4- التداولية البعد الثالث في سيميو طيقا موريس ، عيد بلبع، مجلة فصول، القاهرة ، العدد 66، ربيع 2005م

قائمة المصادر والمراجع

- 5- التداولية، ترجمة وبّا محمّد، / مجلة الفكر والنقد، فردناند هالين، العدد 24، السنة الثالثة، ديسمبر 1999م.
- 6- التداولية البرغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، حنفاوي بعلي، مجلة اللغة والأدب، مجلة أكاديمية محكمة يصدرها معهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 17، جانفي 2006م.
- 7- التداولية بقلم فردناند هالين، عز الدين العوف، مجلة الآداب الأجنبية، مجلة فصلية تصدر عن إتحاد الكتّاب العرب بدمشق، العدد 125، شتاء 2006م
- 8- التداولية في الفكر الأنجلو سكسوني، المنشأ الفلسفي و المال اللّساني، قويدر شنان، مجلة اللّغة والأدب، مجلة أكاديمية محكمة، يصدرها معهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 17، جانفي 2006م
- 9- التداولية اللّسانية، الطاهر لوصيف، مجلة اللّغة والأدب جامعة الجزائر، العدد 17، جانفي 2006م
- 10- روافد الاتجاه الجمالي في التراث النقدي العربي، كريب رمضان، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، العدد 5، ماي، 2005م.
- 11-- في أساليب الإتياع الدّلالي في الحديث النبوي الشريف، تنوير أحمد هندي، مقال مجلة دراسات أدبية العدد 21، سلطان دار الخلدونية للنشر والتوزيع.
- 12- اللّغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، (مقال) محمّد سويرتي، مجلّة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مج 28، يناير/مارس 2000م
- 13- مفهوم الشعر، عبد الله حمادي، (مقال) مجلة علامات في النقد، الفلاح للنشر والتوزيع، منطقة الجامعة العربية، بيروت، لبنان، النادي الأدبي، جدة، المجلد 40، جوان 2001م.
- 14- مفهوم الحجاج عند بيرلمان في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد الأمين "مقال" مجلة عالم الفكر، العدد 4

قائمة المصادر والمراجع

15- موقف التّحويين من الآيات المعضلة إعرابا، مظاهره و أسبابه، عبد الله بن عويقل السلمي، مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، دبي، العدد 15، رمضان 1424هـ، أكتوبر 2003م

16- نظرية أفعال الكلام عند أوستن، نصيرة غماري، مجلة اللغة والأدب العربي، معهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 17، جانفي 2006 م.

المواقع الالكترونية :

1- أصول النّظرية السّياقية الحديثة عند علماء العربية ودورها في التوصل إلى المعنى ، محمد سالم صالح

www.wahlahdeeth.com/vb/attachement.php.

2- التداولية ظهورها وتطورها، عادل الشمري ، www.eleph.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

أ:مقدمة
7	المدخل: دوافع التداولية وعلاقتها بالشعر
8	1-اللفظ والمعنى في الدرس اللغوي
22	2-دوافع التداولية.....
25	3- ماهية الشعر وعلاقته بالتداولية
28	4-علاقة الشعر بالتداولية
31	الفصل الأول: التداولية أنواعها ومباحثها
32	1-أصل مصطلح التداولية وروافدها.....
32	1-1 - مصطلح التداولية
33	1-1-1 مفهوم التداولية عند الغرب.....
34	1-1-2 مفهوم التداولية عند العرب.....
37	1-2-1 روافد التداولية
39	1-2-1 الفلسفة التحليلية.....
40	1-2-2 اللسانيات الاجتماعية.....
40	1-2-3 اللسانيات النفسية وعلم النفس.....
40	1-2-4 علم الدلالة التوليدي.....
42	2- علاقة التداولية بالأبحاث اللغوية
42	1-2 اللسانيات والتداولية
43	2-2 الفلسفة الذرائعية والتداولية.....
44	2-3 الدلالة والتداولية
46	3-أنواع التداولية ومهامها ومفاهيمها.....

46 3-1-1-1 - التداولية الاجتماعية
47 3-1-2 - التداولية اللغوية
47 3-1-3 التداولية التطبيقية
47 3-1-4 التداولية العامة
47 3-2 مهام التداولية وأهدافها
49 3-3 مفاهيم التداولية
49 3-3-1 مفهوم الفعل
49 3-3-2 مفهوم السياق
50 3-3-3 مفهوم الإنجاز
50 4- مباحث التحليل التداولي
50 4-1- الأفعال الكلامية
51 4-1- أ الأفعال التقريرية
51 4-1- ب الأفعال الانجازية
53 4-1-1 الأفعال الكلامية المباشرة
54 4-1-2 الأفعال الكلامية غير المباشرة
54 4-2- السياق
58 4-3- الحجاج
63 4-4- المباحث البلاغية والنحوي للتداولية
63 4-4-1- المبحث البلاغي
65 أ-تداولية المتكلم
66 ب-تداولية المخاطب
67 ب-1- الحذف

68ب-2- الالتفات
68ج-تداولية الخطاب أو النص
70ج-1- المتكلم
70ج-2- المخاطب
71ج-3- الخطاب
74	الفصل الثاني: أفعال الكلام في ديوان محمد العيد آل خليفة
75تمهيد
751- أفعال الكلام في الديوان
761-1 الأفعال الطلبية
76أ- الطلب بصيغة الماضي
77ب- الطلب بصيغة المضارع
78ت- الطلب بصيغة الخبر
791-2 الأفعال الإيقاعية
79أ- أفعال الدعاء والرجاء
80ب- أفعال الشكر
81ت- أفعال التحية
83ث- أفعال الرأي
84ج- أفعال القسم
841-3 الأفعال الإخبارية
84أ- أفعال الأخبار عن واقع الماضي
86ب- أفعال الأخبار عن الواقع الحاضر
871-4 الأفعال الإلزامية

87 * أفعال الوعد
90 5-1 الأفعال التعبيرية
91 أ- أفعال الحزن
91 ب- أفعال إبداء الحيرة
93 ت- أفعال التمني
94 ث- أفعال التحسر
95 ج- أفعال المدح والذم
95 ح- أفعال التهئة والسرور
95 خ- أفعال الشكر
97 2- صيغ الأفعال الكلامية في الديوان
97 1-2 اختلاف الأفعال الكلامية
97 أ- تركيب الخبر على الإنشاء
99 ب- تركيب الإنشاء على الخبر
101 ت- تركيب الخبر على الخبر
102 ث- تركيب الإنشاء على الإنشاء
103 2-2 تجانس الأفعال الكلامية
103 أ- تركيب الخبر على الخبر
105 ب- تركيب الإنشاء على الإنشاء
106 3- أغراض أفعال الكلام في الديوان
107 1-3 أغراض الإنشاء في الديوان
107 أ- الاستفهام
107 أ-1 خروج الاستفهام إلى الخبر

108	أ-1-1 الاستفهام للإنكار.....
110	أ-1-2 الاستفهام للنفي.....
113	أ-1-3 الاستفهام للتأنيب.....
115	3-3- خروج الاستفهام من المعنى الحقيقي إلى معاني إنشائية أخرى.....
115	أ-2-1 الاستفهام للدلالة على الأمر.....
117	أ-2-2 الاستفهام للدلالة على التمني.....
118	أ-2-3 الاستفهام لإنشاء على التعجب.....
119	ب- الأمر
120	ب-1 خروج الأمر إلى الخبر.....
120	ب-1 - 1 الأمر للنصح والإرشاد
122	ب-1-2 الأمر لإبداء الشكوى.....
124	ب-1-3 الأمر للتذكير.....
124	ب-1-4 الأمر للتهنئة
125	ب-2: خروج الأمر من المعنى الحقيقي إلى معاني إنشائية أخرى
127	ج- النداء
127	ج-1- خروج النداء إلى الخبر
128	ج-1-1 لإبراز الحيرة
128	ج-2-2 النداء للنصح والإرشاد.....
130	ج-2 خروج النداء من المعنى الحقيقي إلى معاني إنشائية أخرى.....
130	د- النهي
133	3-2 أغراض الخبر في الديوان
133	أ- خروج الخبر إلى الإنشاء.....

- أ-1- خروج الخبر إلى الأمر..... 133
- أ-1-1 وجود الأمر بعبارة غير صريحة في الخبر للإغراء..... 135
- أ-1-2 وجود الأمر بعبارة غير صريحة في الخبر يتضمن إحالة تاريخية..... 136
- أ-2 خروج الخبر إلى الدعاء..... 138
- أ-3 خروج الخبر إلى التمني..... 139
- ب- خروج الخبر من معناه الحقيقي إلى معان إخبارية أخرى..... 140
- ب-1 خروج الخبر إلى الشكوى..... 140
- ب-2 خروج الخبر إلى الإعجاب بأرض البدو..... 141
- ب-3 خروج الخبر إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم..... 142
- ب-4 خروج الخبر إلى الفخر..... 143
- ج- خروج الخبر إلى التحسر..... 146
- 145 **الفصل الثالث: تداولية التراكيب في الديوان**
- 1- القوى الانجازية في التركيب النحوي..... 146
- أ- إثارة المخاطب بواسطة التراكيب الإنشائية..... 146
- ب- أغراض الزيادة بالوصف في التراكيب..... 147
- ب-1 أحداث الدهشة لدى السامع..... 147
- ب-2 المبالغة في عرض حال النفس..... 148
- ب-3 الشكوى والاستعطاف..... 149
- ج- فصل دلالة التركيب السابق عن اللاحق..... 150
- د- تعجيل الطلب وتأخير المنادى وأداته..... 151
- هـ- اتفاق التركيب أو تعارضه قصد إغراء السامع وإثارته..... 154
- و- تقديم الضمير عن الاسم العائد عليه قصد انتباه وانشغال السامع..... 156

- 157 2- التركيب النحوي وعلاقته بالعمليات الذهنية للمتكلم
- 157 أ- توافق التركيب لأحاسيس الشاعر ترتيباً
- 158 ب- توافق ترتيب التراكيب للواقع
- 159 ج- مخالفة ترتيب التراكيب للواقع
- 160 3- القوة الانجازية للتراكيب النحوية
- 160 أ- أنواع القوى الانجازية في الديوان
- 160 أ-1 الدعاء
- 161 أ-2 النداء
- 163 أ-3 النعت
- 164 أ-4 المحال
- 166 أ-5 التكرار (الترداد)
- 169 أ-6 التوكيد اللفظي والإضافات
- 170 ب- تعدد القوى الانجازية
- 170 ب-1 تعدد الإشارة في التراكيب
- 171 ب-2 تعدد الدعاء في التراكيب
- 172 ب-3 اتحاد النداء والاستفهام والأمر في التركيب الواحد
- 174 ب-4 اتحاد الأمر والنداء والنهي والاستفهام في التركيب الواحد
- 175 ب-5 اتحاد التكرار والتوكيد في التركيب الواحد
- 176 4- اللواحق الانجازية في تراكيب الديوان
- 176 أ- الإشارات
- 176 أ-1 الاشارات التشخيصية
- 177 أ-2 الاشارات المكانية

180	أ-3 الاشارات الزمانية.....
181	ب-إنجازية الألفاظ
181	ب- 1 (سوف).....
182	ب- 2 إذن.....
182	ب-3 إذا
183	ب-4 بل.....
184	4- القوة الانجازية في التركيب البلاغي:.....
187	4-1 تداولية الاستعارة في الديوان.....
192	4-1-1 تداولية المتكلم في التركيب الاستعاري.....
194	4-1-2 تداولية المخاطب في التركيب الاستعاري.....
196	4-2 تداولية الكناية في الديوان :.....
197	4-2-1- تداولية الكناية.....
201	4-2-2- تداولية المتكلم في التركيب الكنائي.....
204	4-2-3- تداولية المخاطب في التعبير الكنائي.....
205	4-3- تداولية التشبيه في الديوان
206	4-3-1 ارتكاز التشبيه على التفصيل.....
210	4-3-2 ارتكاز التشبيه على الإجمال.....
213	الفصل الرابع :البنية الحجاجية في ديوان محمد العيد آل خليفة
214	تمهيد.....
215	1-المظاهر الحجاجية في ديوان محمد العيد آل خليفة.....
216	1-1 الاضافة في التركيب لأبعاد حجاجية
216	أ-التوكيد.....

216	أ- 1-المخالفة
221	أ-2 التذكير.....
223	ب-العطف.....
223	ب-1 عطف الخاص على العام
224	ب-2 عطف العام على الخاص.....
226	ب-3 عطف التفصيل.....
227	ج-النعث.....
229	د-القصر.....
231	هـ-التتابع والتوالي.....
231	هـ-1تابع الصفة والضمير.....
232	هـ-2تابع المبتدأ.....
233	هـ-3تابع اسم الفاعل.....
233	و-التقابل.....
235	ز- التعارض.....
237	ح-الإدخال.....
238	ح-1الإدخال للاستئناف.....
239	ح-2الإدخال بالاعتراض
241	1-2-الحذف في التركيب لأبعاد حجاجية:.....
241	1-2-1-حذف الفعل لدلالة السياق عليه
243	1-2-2-حذف المبتدأ لدلالة السياق عليه
244	1-2-3-حذف الضمير(الخبر) لدلالة السياق عليه
245	1-2-4-حذف ما لا ينبغي ذكره.....

246 1-3-الانتقال بين التراكيب لأبعاد حجاجية
246 1-3-1-التقديم والتأخير
249 1-3-2-الانتقال من الاسم إلى الفعل والعكس
251 1-4-الالتفات
252 1-4-1-الالتفات من الغيبة إلى التكلم
253 1-4-2-الالتفات من المتكلم إلى الغيبة
255 1-4-3-الالتفات من خطاب المفرد إلى خطاب الجمع
256 1-5-الاستدلال في التراكيب لأبعاد حجاجية
256 1-5-1-التدرج من مستوى استدلالى إلى آخر
258 1-5-2-الاستدلال من القريب إلى البعيد
259 1-5-2-الاستدلال من الجزء إلى الكل
259 1-5-3-الاستدلال من مرتبة كلامية إلى أخرى
261 2-المرجع الدينى وأشكاله في التراكيب الحجاجية
261 2-1-مرجع النص القرآنى
265 2-2-مرجع النص النبوى
272 الخاتمة
276 الملاحق
307 قائمة المصادر والمراجع
320 فهرس الموضوعات

الملخص:

تبحث هذه الرسالة العلمية في الجانب اللساني، من خلال تناولها تداولية التركيب الشعري في ديوان محمد العيد آل خليفة لتفحص وتحدد وظيفته، مُبيّنةً موقع التداولية لدى المتكلم والمخاطب، عبر تحليل بنيات النص الشعري النحويّة و البلاغيّة و الحجاجية، مع إبراز طرق تركيب الأفعال الكلامية، وأغراضها البلاغية، وصولاً إلى محاولة تقريب المنهج التداولي من النص الأدبي اقتراباً يقف على الصريح والضمني فيه، ويهدف صاحب هذا البحث من هذه الدراسة إلى سدّ حاجة المتمرّسين والدارسين في هذا الميدان.

الكلمات المفتاحية : التداولية، الشعر، التركيب، الحجاج، الأفعال الكلامية، الانجاز، الاستدلال

Résumé:

Cette thèse examine l'aspect linguistique de la structure poétique du D'iwan de Mohammed Al-Eid Al-Khalifa pour examiner et déterminer sa fonction, en indiquant la position délibérative du locuteur et du communicateur en analysant la structure du texte poétique grammatical et rhétorique, et essayer de rapprocher l'approche délibérative du texte littéraire d'une manière qui se démarque explicitement et implicitement. L'objectif de cette recherche étant de répondre aux besoins des enseignants et des universitaires dans ce domaine

les mots clés : pragmatique , Poésie, composition, argumentatives, verbes, réalisation, inférence

Summary :

This thesis examines the linguistic aspect of the deliberative poetic structure in the book of verses "Diwan" of Muhammad Al-Aid Al-Khalifa to analyze and determine its function, indicating the deliberative position of the speaker and the addresser through analyzing the grammatical, rhetorical and argumentative structure of the poetic text as well as showing the methods of oral verbs construction and its rhetorical purposes, attempting to bring the deliberative approach closer to the literary text in a way that stands out explicitly and implicitly. This thesis' researcher aims at filling the need of teachers and scholars in this field.

Keywords: deliberative, Poetry, composition, argumentative, oral verbs, achievement, inference.